عباس محمود العقاد





١١

ديوان من دواوين







مقتبس مِن : يَقَظة الصباح . وَهَج الظهيرة .
أشباح الأصيل . أشجان الليل .
وحي الأربعين . هديَّة الكروان .
عابر سبيل . أعاصير مغرب .
بعد الأعاصير . . . . ما بعد البَعد .

نظم
عبَّاس محمود العقاد



اسم الكتاب: ديوان من دواوين

اسم المؤلف: عباس محمود العقاد .

الطبعة الأولى فبراير ١٩٩٦

رقم الإيداع: ٣٣٠٨/١٩٩٦ .

الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0406 -7

تصميم الغلاف: م / محمد العتر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة

مدينة السادس من أكتوبر

ت: ٣٣٠٢٨٨ - ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ .

فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦ .

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة .

ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ .

فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥

ص.ب: ٩٦ الفجالة

إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - القاهرة

ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ .

فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦

ص.ب: ٢٠ امبابة

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى القراء

اسم هذه المجموعة يدل على موضوعها ، لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم ، وهى : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، وأشجان الليل ، ووحى الأربعين ، وهدية الكروان ، وعابر سبيل ، وأعاصير مغرب ، وبعد الأعاصير ، ومايلى من شعرٍ نُظم بعد صدور هذا الديوان الأخير .

وقد نفدت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفدت فى حينها ، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعا إلا القليل ، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعا ويطلبون إرسالها إليهم ، وبخاصة قراء البلاد العربية التى لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها فى بعض العهود ، فترددنا بين طبعها فى مجلد واحد وبين إعادتها أجزاءً متفرقة كما صدرت أول مرة ، وكلاهما لا يغنى فى تيسير المطلوب منها ، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن ، فآثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التى تنوب عن شعر الدواوين جميعا إلى حين ، وتتم أبواب الشعر فى جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء .

ويطيب لنا أن نشير إلى نفاد هذه الدواوين لأننا نستفيد منه ميزانا من موازين الأدب فى عمومه ، وميزانا من موازين الشعر على الخصوص ، وميزانا من موازين الشعر فى عصرنا هذا على الأخص ، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان ، وإلى بيان .

فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقاد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال .

وأصدق ما يكون ذلك الميزان فى دلالته على القول الأخير فى نقد الشعر أن يكون هذا الشعر مما يتفق محبوه وخصومه على أنه كلام لا يوصف بالصبغة السطحية ولا يستهوى الجهلاء ببهرج رخيص قليل الحظ من الفهم والتفكير ولا يستثير الغريزة التى تسوّغ ما ليس بالسائغ فى موازين النقد والتمييز .

وبين يدى هذا المرجع الأمين ، بل هذا الموئل القرير الذى لا نرتضى لكلام نقوله موئلا سواه ، نقدم هذا الديوان من الدواوين كما قدمناها جميعًا من قبل ، شاكرينً ذاكرين .

عباس محمود العقاد


خواطر وتأملات

النـــــور (*)

(. . . إلى أين ينتهى بنا تحليل النور على
أيدى علماء الطبيعة فضلا عن الفلاسفة
والمتصوفة ؟ ينتهى بنا إلى أنه « معنى »
يشبه المعانى المجردة ، ولو أمكن تحليل
الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور
التقاء القريب بالقريب) .

النور سر الحياة — النور سر النجاة
النور وحى النُّهى — النور وحى الصلاة
النور شوق الفتى — النور شوق الفتاة
لمحْــهُ بالروح لا — لمح العيون الخُواة
ما تبصر العين من — معناه إلا أداة
هذا سبيل الهدى — لا ما افتراه الهُداة !

* * *

إلى غاندى (*)

حين أعلن الصيام

أتيتَ إلى الدنيا العريضة عاريا — وتقضى بها جوعًا ، وماعزَّ مأكل !
تركتَ لهم حتى الطعام فقل لنا — على أى شىء بعد موتك تُقبِل
إذا البؤس والحرمان كان شفاعةً — لعالمك الأعلى ، فما هو أفضل
إذا كان ماندعوه بؤسى غنيمةً — لمن يطلب النعمى فبئس المعوّل

(*) النور : وحى الأربعين .

(*) إلى غاندى : وحى الأربعين .

الوجه الفيلسوف(*)

أرى لك أنتَ فلســفــةً صُــراحًــا ... بلمح العين أقــرأها جــمــيــعــا
أذم العــيش فى ألفَىْ كِــتــاب ... وتَعــرض لى فــأمــدحــه ســريعًــا
إذا مــا الفــيلســوف أطال ســخطى ... على لؤم الحــيــاة فكن شــفــيــعــا
غنيتَ عن الأدلة والأحــاجى ... ومن حــاجــاك[1] لم يكُ مــســتطيعــا

* * *

القدر يشكو(*)

صــغــيــرٌ يطلب الكبَرا ... وشــيخ ودّ لو صــغــرا
وخــال يشــتــهى عــمــلا ... وذو عــمــل به ضــجــرا
ورَب المــال فــى تــعــب ... وفى تعب مَن افــتــقــرا
ويشــقى المرء منهــزمــا ... ولا يرتاح منتــصــرا
ولا يرضى بلا عَــقِــب ... فإن يُعقبْ ، فلا وزرا[2]
ويبــغى المجــد فى لهَف ... فــإن يظفــر به فــتــرا
ويخــمــد إن ســلا ، فإذا ... تولّه قلبــــه زفــــرا
فــهل حــاروا مع الأقــدا ... ر أو هم حيــروا القــدرا ؟
شكاةٌ مــالهــا حَكَمَ ... سوى الخصمين إن حضرا

(*) الوجه الفيلسوف : وحى الأربعين .
(١) حاجاه : غالبه بالحجى : أى العقل ، أو ألقى عليه الأحاجى والألغاز .
(*) القدر يشكو : وحى الأربعين .
(٢) الوزر : الملجأ والمعتصم .

الحمد المعكوس (*)

يارب حـــمــــدٍ لم ينله الذى قــد ناله إلا لهــجـــوى أنا
ورب هجـــوٍ طافَ بى لم يكن يطوف بى لو لم أكن مـحـسنا

* * *

عدل الموازين (*)

إنّا نريد إذا مـــا الظلم حـــاق بنا عـــدل الأناسىٌ لا عـــدل الموازين
عـدل الموازين ظلمٌ حين تنصـبـهـا على المســاواة بين الحـــرّ والدون
مـافـرّقت كـفـة الميـزان أو عـدلت بين الحلىٌ وأحـــجـــار الطواحين

* * *

الخبز والفقير (*)

أحـــسب الخـــبـز لو درى لتـــأبّى فى يد الجـــائع الفـــقـــيـــر إليـــه
إنما تُسلس الطّلاب جـــمـــيـــعـــا لامـــرىءٍ هانت الطلاب عليـــه

* * *

شـــطـور (*)

دليلٌ على أن الكمـــال مـــحـــرّمٌ إناثٌ خُلقنا بينهـــا وذكـــور
فــمـا المرء فى جـسم وروح بكامل ولـكـنٌ كـل الـعــــالمين شـطـور

(*) الحمد المعكوس : وحى الأربعين . ٤٢ (*) عدل الموازين : وحى الأربعين . ٤٣
(*) الخبز والفقير : وحى الأربعين . ٤٣ (*) شطور : وحى الأربعين . ٤٥

الآمال (*)

كانت الآمال تحملني ... فأراني اليوم أحملها
إن أحلاما تعللني ... غير أحلام أعللها

* * *

يوم ميلادى (*)

يوم ميلادى تقدَّمْ ... وتأخَّرْ ... وتكلَّم
لاتقل لى قبل عام ... كيف كنا ؟ أنا أعلمْ
لا تقل لى بعد عمرى ... كيف نُمسى ؟ لستَ تعلم
غاية الأمر أظانين ، وبعض الظن يأثم
سوف نمسى مثل ما كنَّا ، ولم نولد ونُفطَم

إن يكن ذلك شيئًا ... لستُ بعد الموت أعدَم
أو يكن ليس بشيءٍ ... أترى « لاشيء » يندم ؟
أَية الحالين قل لى ... بعد طول العمر أسلم ؟ !
تظلم الموت إذا قلـ ... ـت ظلومٌ ليس يرحم
نحن لا بالموت أُعطيـ ... ـنا ولا بالموت نحرم
من يَعُدْ يومًا كما كا ... ن فقدتمّ وتمَّمْ
صفقة الأعمار فيها ... قلّةُ الخسران مغنم

(*) الآمال : وحى الأربعين .

(*) يوم ميلادى : بعد الأعاصير .

رجاء كاليأس (*)

أنا لم أيأس من الخـــيــــر ولا ... أحـسب الشـر على النـاس لزامـا
أنا أغنيت يدى عن خـــيــرهم ... وأمنت الشـر من حـيث ترامى
فليكن من شـــاء منهم مَلَكا ... أو يكن جِنًّا على الكيـد أقـامـا
كلهم بعـــدُ ســـواءٌ عند من ... لا يَدين النـاس شكرا وانتـقـامـا

* * *

الحب إعطاء (*)

لا تطلب الحب بين الناس تأخـــذه ... بل فــاطلب الحب تُعطِى منه مــاتجـد
أشـــقى البـــريَّة من لم يَعنه أحـــدٌ ... وليس من كـــان لا يُعنَى به أحـــد

* * *

موضع العجب (*)

لا تعـــجبنّ لعـــيب ... واعـجب لفـضل ونبل
نقص الطبـــائع أصلٌ ... والفــضل ليس بأصلٍ

* * *

أغلب الظن (*)

أنا شىءٌ فكيف أصـــبح « لاشىْ ... ءَ » إذا تم للحـــيـــاة مـــداها ؟
أغلب الظن أننى ســـوف أرقى ... غـــايةً بعـــدها تفـــوق ذراها !

(*) رجاء كاليأس : بعد الأعاصير .
(*) الحب إعطاء : بعد الأعاصير .
(*) موضع العجب : بعد الأعاصير .
(*) أغلب الظن : بعد الأعاصير

موت الحى (*)

أعجب من حياة الميت

فيم عشنا وغاية العيش موت ؟ فيم متنا ، وغاية الموت بُقيا ؟
أعجب الحالتين عندىَ حىٌّ سوف يفنى ، لا ميتٌ سوف يحيا

* * *

زمان الذرّة (*)

دعوا الذرّة تطغى فى زمان يعبد الذرّهْ
صغيزٌ كل مافى الأر ض من جاه ومن شُهرهْ
ومن خير ومن شر ومن رأى ومن فِكرة
فلو قيسواْ بلا جسم لما ضاقت بهم إبرهْ

* * *

هذا وهذا وهذا (*)

قلت لعمرو : خاننى خالد ! وخاننى عمرو ، فماذا أقول .. ؟
أبلغتها زيدًا فما زادنى عن صاحبيه ، فاختوانى الذهول
ناجيتهم سراً ، وبى خيفةٌ من أناجيه ، ففيه فضول !
ثق من خيانات بنى آدم إذن وقل أنتم ثقات عدول
لاتشكُ هذا ، عند هذا ، ففى هذا ، وهذا ، عنصر لا يحول
كلٌّ بنى الدنيا - ومن بينهم أنت - فروع جمّعتها الأصول

* * *

ميثاق الأمم (*)

أجيبوا صيحة الدنيا وهبُّوا ولبُّوا داعى الميثاق ، لبوا
توافقت الشعوب على رجاء فلا ينكلْ عن الميدان شعبُ

(*) موت الحى أعجب من حياة الميت : بعد الأعاصير .
(*) زمان الذرة : بعد الأعاصير .
(*) هذا وهذا وهذا : بعد الأعاصير .
(*) ميثاق الأمم : بعد الأعاصير .

ولاتصغوا إلى من قال «دعوى ... يروّج أمرها باغ وخبّ»
هبوهم خادعين ، فهل رأيتم ... مخادعةً بشيء لا يُحب ؟
إذا الأقوام جدّ بها هواها ... إلى حق فما فى الحق صعب
ولو لم تصبُ دنياكم لسلم ... لما خُدعتْ به من حيث تصبو

* * *

تهنئة بمولد (*)

مهنئى أنت يا صديقي ... بمولدى - طبتَ من صديق
أنسيتنى أنه غروبٌ ... ساعةَ هنّأتَ بالشروق
تسع وخمسون فى طريق ... لم أدر ما وجهة الطريق
أسائلُ الركب أين يمضى ؟ ... وكلهم ها هنا رفيقى
لا أنا أدرى ولا رفاقى ؟ ... يدرون بالموعد الوثيق
ركبٌ عجيبٌ بلا دليل ... من محدَث فيه أو عتيق
إذا مضى منهم فريقٌ ... إلى المطايا إلى فريق
وكلهم يبتغى مسيرا ... فى مَشرع سار أو مضيق
يطيق طول السّفار عدوًا ... وليس للمُهل بالمطيق
إخالنا كلنا وقوفا ... هنا على موقف عميق
فى أبد لا زمان فيه ... مقترن السبق باللحوق
أقرب من يومنا وأوفى ... من طارق الليل فى الطروق
يكاد لولا الحجاب يبدو ... كالظل من ستره الرقيق
أتُعْصَب العينُ حول سر ... والسر فى موضع سحيق ؟

* * *

حشرات (*)

ما وجدنا من البرية إلا ... خُلقًا زائفًا وجهلا مبينا
حشراتٌ لا تعرف الخير والشـ ... رَّ وفيها الهلاك للعارفينا

* * *

(*) تهنئة بمولد : بعد الأعاصير .
(*) حشرات : الجزء الأول .

ألم اللذة ولذة الألم(*)

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها — تنام إذا طال الصياح على النَّهَمْ
وقهر الفتى آلامَهُ فيه لذةٌ — وفى طاعة اللذات شيءٌ من الألم

* * *

الحياة حياة(*)

قالوا الحياة قشور — قلنا : فأين الصميم
قالوا «شقاءٌ» فقلنا — نعم ! فأين النعيم ؟
إن الحياة حياة — ففارقوا أو أقيموا

* * *

المجد والفاقة(*)

ضلَّ الصوابُ وغُمَّ الأمر واشتبهت — على المراقب يمناه بيسراه
شيبٌ عُراةٌ وأطفالٌ مجوَّعةٌ — ونسوةٌ نسيت ما ليس تنساه
ليس البلاء بلاء القوت نندبه — بل البلاء بلاء الخُلق ننعاه
ما أبخس الروحَ فى مصر وأرخصها — وأنفس الخبز فى مصر وزغلاه
لا تحسبوا أمة يعلو أعاظمها — إذا الفقير طلابُ القوت أعياه
أيرزح القوت فى أرض بطالبه — ويبلغ المجدَ فيها من توخاه ؟
هبكم قسوتم على من ذَنبُه كسلٌ — عن غمرة العيش يثنيه وينهاه
ما بالُ مَن ذنبه ياقوم أنكم — فى العجز لا فى اقتسام الرزق أشباه
دفنتم المال آكاما فهل نبتت — فى باطن الأرض أو زادت خباياه
إن العزيز ليأبى الذل يلمحه — كالإثم يأبى العفيفُ الذيل رؤياه
والهفَ نفسى على قوم إذا نظروا — ذل الفقير سعوا فى كشف بلواه
وألف لهفٍ على قوم إذا شغفوا — بالمال يدرون فى الدنيا مزاياه

* * *

(*) ألم اللذة ولذة الألم : الجزء الأول .
(*) الحياة حياة : الجزء الأول .
(*) المجد والفاقة : الجزء الأول .

الوجوه الكاذبة (*)

سحقاً لهاتيك الوجوه فإنها ... كذّابةٌ لا تحسن التمويها
حسنتْ ولو نقلت صفات نفوسها ... لرأيت أقبح ما رأيت وجوها

* * *

إلى السعادة (*)

مهْ ياسعادة عنى ... فما أنا من رجالكْ
لا تطمعى اليوم منى ... بالسعى خلف خيالك
فقد سألتك حتى ... مللت طول سؤالك
وقد جهلتك لمّا ... سحرتنى بجمالك
إن الحبيب بغيضٌ ... إذا استعزَّ بخالك (١)
فلا تمُرّى ببالى ... ولا أمرُّ ببالك
أشقى الأنام أسيرٌ ... معلقٌ بحبالك

* * *

اللؤم سلاح (*)

يسر صديقى أن يرانى مُبرَّءًا ... من اللؤم موسوما بكل سماح
كما سرَّ خصما أن يراك أمامه ... تنازله حربًا بغير سلاح
هو اللؤم سيفٌ للّئيم وجُنةٌ ... من الناس ، والدنيا مجال كفاح
فواهًا لنفسى فى المجال مجرَّدًا ... أضعت مِجنى (٢) بينهم ورماحى

* * *

العقل والجنون (*)

ليس بين الجنون والعقل إلا ... خطوتَا سائر فحاذرْ وأمسكْ
أول الخطوتين نسيانك النا ... سَ ، وأما الأخرى فنسيان نفسك

* * *

(*) الوجوه الكاذبة : الجزء الأول . (*) إلى السعادة : الجزء الأول .
(١) الخال : الكبرياء والخيلاء ، أى أن أحب الأحباء تمجه النفوس إذا أفرط فى الخيلاء .
(*) اللؤم سلاح : الجزء الأول . (٢) المجن : الترس . (*) العقل والجنون : الجزء الأول .

الرجاء (*)

مـــا للرجـــاء كـــأنه نَغمٌ يدنو فـأسـمـعـه فـيـبـتـعـد
يا ضـاحكا للناس يخـدعـهم هلاَّ وفـيـت لهم بما تعـد
لو نال منك الناس أجـمـعـهم فـــوق المرام لأمكـن المدد
لكنْ بخلت فـمـا يزال لهم شــوقٌ إلى شـوق وإن جـهـدوا
وردوا إليك فكان أظمـأهم قلبًا على شطِّيك مَن وردوا

* * *

حظ الشعراء (*)

ملوكٌ ، فـأمـا حـالهم فـعـبـيـد وطيـرٌ ، ولكنَّ الجـدود قـعـودُ
أقاموا على متن السحاب فأرضهم بعـيـد ، وأقطار السـمـاء بعـيـد !
مـجـانينُ تاهوا فى الخـيـال فودعوا رواحـة[1] هذا العـيـش وهو رغـيـد
ومـا سـاء حظ الحـالمين لو أنهم تدوم لهم أحـلامـهم وتجـود
فـوارحـمـتـا للظالمين نفـوسَـهم ومـا أنصـفـتـهم صـحـبـة وجـدود
ويذرون من مس العـذاب دمـوعـهم فـيُنظم منهـا جـوهر وعـقـود
بنى الأرض كم من شاعر فى دياركم غـبـين ، وغبن الشـاعـرين شـديد
بنى الأرض أولى بالحـيـاة جـمـيلةً مـحـبٌّ عليـهـا من حـلاه نضـود
مـحـبٌّ تناجـيـه بأسـرار قلبـهـا ومـهـمـا تردْ فى العـيش فـهـو يريد
على أنه قـد يبلغ السـؤالَ خـاطب خليٌّ ويُزوى عن هواه عـمـيـد
بنى الأرض لاتنضوا له السيف إنه يُذاد عن الدنيـا وليس يذود
أريدَ به للناس خـيـرٌ فلم يزل به عَـمـهٌ عن نفـسـه وشـرود
تجـمّـعـت الأضداد فـيـه فحكمـة وحـمق ، وقلب ذائبٌ وجـمـود

(*) الرجاء : الجزء الأول .

(*) حظ الشعراء : الجزء الأول .

(١) رواحة : رفاهة .

حُماداه[1] صبرٌ في الحياة وإنما ... هي النار تخبو ساعة وتعود
مقيم على عرش الطبيعة حاضر ... ولكنه بين الأنام فقيد
إذا جال بالعينين فالكون بيته ... فإن مدّ بالكفين فهو طريد
وأقصى مناه في الحياة نهاره ... وأدنى مناه في الممات خلود
يرى الغيب عن بعد - فمقبل عهده ... قديم ، وماضيه القديم جديد
إذا عاش في بأسائه فهو ميت ... وإن مات عاش الدهر وهو شهيد
شقاوته في الشعر وهو هناؤه ... وليس له عن حالتيه محيد
جنونٌ أحق الناس طرًا بهجره ... أولو الفهم - لو أن الفهوم تفيد

* * *

عزاء (*)

لا اليأس أول يأسْ ... ولا الرجاء بسرمدْ
فإن تقضّى رجاءٌ ... فإنه يتجدّد
أو حلّ يأسٌ فأهلاً ... إن الطريق ممهد
شقّ الطريقُ قديمًا ... فالعود أهدى وأحمد

* * *

إنصاف الظالم (*)

أنصفتَ مظلومًا فأنصف ظالمًا ... في ذلة المظلوم عذر الظالم
من يرضَ عدوانًا عليه يَضيره ... شرٌّ من العادي عليه الغاشم

* * *

(١) حماداه : قصاراه أو خير ما يستطيعه .

(*) عزاء : وحي الأربعين . (*) إنصاف الظالم : وحي الأربعين .

أحلام الموتى (*)

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر العبقرى عبد الرحمن شكرى) : -

ستغرب شمس هذا العمر يومًا … ويغمض ناظرى ليل الحمام

فهل يسرى إلى قبرى خيال … من الدنيا بأنباء الأنام

ويُمسى طيف من أهوى سميرى … ويؤنس وحشتى ترجيع هام

وأحلم بالزواهر دائرات … وبالزهر المنوّر والغمام

ألا ليت النيام هناك تحظى … بأحلام كأحلام النيام

وليت الورد يورق فوق رمسى … فتعبق فى نوافحه عظامى

وأبسم فى أزاهره لِدُنيا … عبست لوجهها فوق الرغام

فأجابنى بأبيات يقول منها :

وكان النصف أن نرضى بموت … فلا طيف يساعد باللمام

أليس الكون أكبر منك شأنًا … وأولى بالمقادر والنظام

فراجعته بالأبيات الآتية :

أبيتَ علىَّ أحلام الرجام … تنير حواشىَ الموت الزؤام

رضينا بالحمام أصمّ يحشو … منافذَ حِسِّه سافى الرغام

رضينا بالحمام كما رضينا … بعيش نوره ظل الحمام

خلعت اسمى على الدنيا ورسمى … فما أبكى رحيلى أو مقامى

حياتى فى حياة الكون طرًّا … كقطر الغيث فى اللجج الطوامى

وما شمس الحياة بمستحيل … سناها إن قضيتُ إلى ظلام

يظل الحسن فى المعشوق حسنًا … وإن حسرت لحاظ المستهام

***

(*) أحلام الموتى : الجزء الأول .

ضيق الأمل (*)

شـرٌّ مـايلقى الفـتى أجلٌ ... ضـيقٌ عن واسع الأمل
ولشـرٌّ منهـمـا أمل ... ضيق فى فـسحـة الأجل

* * *

الشىء من غير معدنه (*)

لـيس أضنـى لفـؤادى ... من عـجـوز تتـصـابى
ودمـيم يتـحـالى ... وعليم يتـغـابى
وجـهـول يملأ الأر ... ض سـؤالا وجـوابا

* * *

خفـ العيش (*)

خفْ العـيش فـإن المو ... ت لا يفـجـع مـولودا
وإن المـوت إذ يـأتـيـ ... ـك لا يلقـيك مـوجـودا !

* * *

السعادة (*)

إن الشـقىّ الذى لا صنْوَ يشـبـهـه ... وللأصـاغـر أشـبـاهٌ وأمـثـال
من شـابه الناسَ سـرَّته مـودتهم ... ومن عـلا عنهمُ سـاءت به الحـال
فـاهنأ بمجـدك إذ تشـقى بعـزلتـه ... وليـحظ بالصـفـو أوغـادٌ وجـهـال
إن السـعـادة تحت الأرض مـعـدنها ... لا يطلب السـعـد من آوته أجـيـال

(*) ضيق الأمل : الجزء الأول .
(*) الشىء من غير معدنه : الجزء الأول .
(*) خف العيش : الجزء الأول .
(*) السعادة : الجزء الأول .

زمانـنــــا(*)

فـشت الجـهـالة واسـتـفـاض المنكر — فـالحق يهـمـس ، والضـلالة تجـهـر
والصـدق يسـرى فى الظلام ملثّمًا — ويسـيـر فى الصـبح الرياء فـيـسـفـر
إنـا لفـى زمـن كـــأنَّ كـــبــــاره — بسـوى الكبـائر شـأنهـا لا يكبـر
من كل ذى وجـه لو آن صَـفـاته — تَندى لكان من الفـضـيـحـة يقطر
بئس الزمـان لقـد حـسـبت هواءه — دنسًــا وأن بحـــاره لا تطهــر
وكـــأن كـل الطيــبـــات يردها — فـــيـــه إلى شـــر الأمـــور مـــدبّر
وثب اللئـام إلى ذراه فـقـهـقـهـوا — إن القــرود لبــالتــسلق أخـبــر
مـــانيلَ فــيـــه مطلب إلا له — ثمن من العـرض الوفـيـر مـقـدر
وبقــدر مـــابذل امـــرؤ من قــدره — يُجزى ، فـأكـبـر من تراه الأصـغـر

***

صلاح المشيب(*)

أبعـدَ الشـيـب ترغب فى الصـلاح — وتـزهـد فـى المدامــــــة والمـلاح
فـرغـتَ من الحـيـاة فـأنت ترجـو — حـيـاةً فى الفـراديس الفـســاح
رجـعـت عن الحـرام وأنت عندى — عــجــزت عن المحــرّم والمبــاح
فـمـا تقـوى الشـيـوخ سـوى اضطرار — كـتـقـوى اللص بات بلا سـلاح

***

(*) زمانتا : الجزء الأول . ١١١ (١٠٦ فقرة ٢٦) .
(١) الصفاة هى الصخرة . كأن هذه الوجوه من الصخر الذى لا يندى .
(*) صلاح المشيب : الجزء الأول .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمر يوم(*)

من الناس فدم يومه مثل أمسه ... فأيامُه ما عاش يومٌ مكرّر
تسربل حينًا بالحياة فشانها ... كما يلبس الخزَّ الأجيرُ المسخر

* * *

الملام (*)

أنا لا ألوم ولا أُلام ... حسبى من الناس السلام
ليس العتاب بمصلح ... خللا تتوارثه الأنام
أنا إن غنيت من الأنا ... م فقد غنيت عن الملام
وإذا افتقرت إليهمُ ... فاللوم من لغو الكلام

* * *

الفضل المغموط (*)

إذا كنت ذا فضل فلا تكُ غابطًا ... جهولاً بلا فضل لديه يُعظَّم
لعلك لا ترضى ، وقدرك خاملٌ ... بأنك تغدو مثله وهو مكرَم
وأجملُ ألا يعرف الناس فاضلا ... ويعرفهم ، من أن يموق ويعلموا

* * *

قانون العظماء (*)

لاتلحَ ذا بأس وذا همة ... على ذنوب العصبة الغلّب
فليس مقياسك مقياسهم ... ولاهمُ مثلك فى المأرب

(*) عمر يوم : الجزء الأول .
(*) الملام : الجزء الأول . ١٢٠ (١١٧ - فقرة ١٠٦) .
(*) الفضل المغموط : الجزء الأول .
(*) قانون العظماء : الجزء الأول .

والليث لا توثِق أعــضـــاده ... حــبـــالة تنصب للثـــعلب
انظر إلى مـــا خلّفــوا بعــدهم ... من المعـــالى ثم لُمْ واعـــتب
لــم يَـخـــط إن داس رؤس الــورى ... من علِقت كـــفـــاه بالكوكب
من ركب الهـــائل من أمـــره ... فـــعـــذره فى ذلك المركب

* * *

مدح الناس (*)

مـــا عــهــدنا الأنام أجـودَ بالمد ... ح لأعـــلاهُم لـديهم مكانا
إنما يُظهـــرُ الأنام ضـــئـــيــلا ... ليس يخـــفـــيـــهمُ إذا هو بانا

* * *

حب النفس (*)

مـــا فى الأنام ســوى مــحب وامق ... سكن الغـــرام بكل قلب خـــافق
فى كل قلب صــورةٌ مــعــبــودة ... وكــمينُ وجــد بالجــوانح عـــالق
لا القـــبح ينقـــصـــه وليس بزائد ... حــسن الشــمــائلِ فى هواه الصــادق
عـــشق تملّك كل نفس حـــيـــة ... فى الكون والمعــشــوق عين العــاشق

* * *

كنت فصرت (*)

كـأس الحـيــاة أعلّينى على ظمــأ ... وبللى بالحُــمــيَّــا طين صلصـــالى
وأسكرينىَ حـــتــى لا يكون ردى ... إلا كــمــا غــاب حس بعـد جـريال[1]
وفتشى فى زوايا القلب فاقتـدحى ... ظنًا بظن وبلبـــالا ببلبـــال
إنى حـسـبت حيـاتى غيـر واحـدة ... من التـغـيـر من حــال إلى حـال

....

* * *

(*) مدح الناس : الجزء الأول . (*) حب النفس : الجزء الأول .

(١) جريال : خمر ، والمقصود أن خبر الموت ما كان من فرط الشبع بالحياة كالغيبوبة بعد الارتواء من الخمر .

(*) كنت فصرت : الجزء الأول ١٢٢ (١١٨ (فقرة ١١٠)) .

إن الحياة حياة كيفما اختلفت ألوانها من مسرات وأوجال
كم ذا أهبت بروحى أن تفارقنى ورحت أجفل منها أى إجفال
فالآن أنشد آلامى وأحمدها كيما أحس بروحى بين أوصالى

* * *

الغنى والسعادة (*)

لا تحسدنَّ غنيًّا فى تنعُّمه قد يكثر المال مقرونًا به الكدر
تصفو العيون إذا قلت مواردها والماء عند ازدياد النيل يعتكر

* * *

ياكتبى (*)

ياكتبى أشكو ولا أغضب ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتنى حسرة هيهات لا تنسى ولا تذهب
يا كتبى ألبست جلدى الضنى لم يغن عنى جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى جماجم الموتى بدت تخطب
والناس إمَّا غارق فى الكرى أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله بيومه الماضى وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتنى وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى وخبرة صاحبها متعب
إذا أرانى النور قبحًا فيا حُسن الذى يضمره الغيهب
ياكتبى أين ترى المُنتأى عن أسر أرواحك والمهرب
أنقت منى ما يضن الورى به على الله ولم يذنبوا!

(*) الغنى والسعادة : الجزء الأول .

(*) ياكتبى : الجزء الأول .

من ضوء عينىّ ومن صحتى ... سدًى ومن وقتى وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعته ... فما أنا إلا الفتى الأشيب
لو كنت كالجبار فى نقمتى ... لكان فى النار لها معطب
فى ذمة الطرس وفى حفظه ... عمر تقضّى شطره الأطيب
لا رحم الرحمن فيمن مضى ... من علّم العالم أن يكتبوا

* * *

الشيب الباكر (*)

ما أقبل الليل حتى طرتَ بالقمَم ... ياصبحُ جرت على الظلماء فى القسَم
وما انقضى شفق الأيام عن عمُرى ... فكيف لحت بفجر منك متّهم ؟
لو كنت تحسب أيامى لما خطرت ... يداك ياشيبُ فى مسودّة اللِّمم[1]
دون الثلاثين تعرونى ؟ وما انصرمت ... إلا كما تنقضى الأعوام فى الحلُم ؟
مرت بقادمتىْ نسر موليّةً ... وكنتُ أعهد فيها ثقلة الرخم
وما اعتدادك بالأيام تحسبها ... وإنما أنت خدن الويل والألم
إذا ألمّا بإنسان.صحبتهما ... فانزل فقد نزلا فى أعظمى ودمى
ما أنت طارق دار لا رفيق بها ... ولستَ مُهرِم قلب ليس بالهرم
قد شبتُ والشعر مسودٌّ فما عجبى ... من واضح الشيب بعد الشيب فى القتَم
ما كان مسودّ شعرى وهو مشتمل ... عليك إلا كجلباب من الكتم[2]
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل ... دون الثلاثين قد ساواك فى الهرم
إذا ادّكرتَ شبابًا فى النعيم مضى ... لم يذكر من شباب كان أو نِعم
وما انتفاعى وقد شاب الفؤاد سدى ، ... إن لم تشب أبدًا كفى ولا قدمى
وليس ما يخدع الفتيان يخدعنى ... كلاّ ولا شيم الفتيان من شيمى
ياشيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها ... فانزل بلا ضائق بالشيب أو برِم[3]
من لا يبالى أفجر أنت تنذره ... بالصبح أم أنت ضوء النجم فى الظلم
يامرحبًا بصباح ليس يسلبنى ... صفوًا ، وبُعْدًا لِليلٍ فيه لم أنم

(*) الشيب الباكر : الجزء الثانى .
(١) اللمم : جمع لمة وهى الشعر .
(٢) الكتم : صبغ للشعر والمعنى أن الشعر الأسود الذى ينطوى على قلب أشيب إنما هو كالشيب المصبوغ .
(٣) برم : متضجر .

إيه يادهر (*)

إيه يادهر هات مــاشــئتَ وانظر — عــزمــات الرجــال كــيف تكون
مــــا تعــســـفتَ فى بلائك إلا — هان بالصـــبـــر منه مـــالا يهــون

* * *

الخداع القاتل (*)

إلامَ تخدعنى عينى وما انخدعت — نفسى ولكنها تهفو مع البصر
جـــربت كل خليل فى مـــودته — فما جمعت يدى إلا على صَفر[1]
أكلمـا ضـاء لى نجم فـأتبـعـه ، — خبا الضياءُ فلم أبصر سوى كدر
أكلمـا قلت هذا جـوهر ، نَطقتْ — عليه دونَ بنانى حـسـةُ الحـجـر
أكلما لاح لى صـيـدٌ فـأحـسـبـه — صيد الأسود ، إذا الجرذان فى الأثر
أكلمـا قلت هذا كـوثر خَـضِـرٌ — تجمع الصابُ لى فى الكوثر الخضر[2]
ويلاه ! مـا أحـقـر الدنيـا وأبغضـهـا — لم ينجُ أحسن ما فيها من القذر
عَـزَّ الكمـال على خَلْق الخيـال فمـا — طمـاعـةُ المرء أن يلقـاه فى البـشـر

* * *

الهـــداية (*)

كم فى الســـمـــاء نجـــوم — ضلت ســواء الســـبـــيل
وأنت فى الأرض تبـــغى — هدْيًا بغــــيـــــر دليل ؟

* * *

(*) إيه يا دهر : الجزء الثانى .
(*) الخداع القاتل : الجزء الثانى .
(١) صفر : خلو . — (٢) الخضر : البارد .
(*) الهداية : وحى الأربعين .

سحر الدنيا (*)

سحر دنياك ياأخىَّ قديم ... سوف يبقى ، ويذهب الكهان
أفيمضى بسحرها كاهنٌ ما ... ت وفيها الشموس والأغصان ؟
أفيمضى بسحرها كاهن ما ... ت وفيها الشغور والأجفان ؟
أفيمضى بسحرها كاهن ما ... ت وفيها الألحان والألوان ؟
كاهن الأولين أول مسحو ... ر ، وفى كل حقبة ترجمان
سحر دنياك دائم حيثما دا ... م عليها الإنشاد والتبيان
سحر دنياك دائم حيثما دا ... مت عليها الحياة والإنسان

* * *

فلسفة حياة (*)

الغرام المِلْك ، والملكُ الضياعْ ... هات لى الحسن الذى ليس يضيعْ
ليلة قمراء ، أو سحرَ سماع ... أو قصيدًا راق ، أو زهر ربيع
قال قومٌ زينةُ الدنيا خداع ... قلت خيرٌ ! بالذى نشرى نبيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيا وصامْ ... أنا أنعاها ولكن لا أصوم !
طامع الغرب رعى الدنيا وهام ... أنا أرعاها ، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حدٌّ قوام ... ولْيَلُمْ من كل حزبٍ من يلوم

* * *

أيها السائل : ما بعد المماتْ ؟ ... يم الصحراء وانظر قفرها
ماوراء القبر فى قول الثقاةْ ... حالة تحمد يوما سرها
لستَ بالراضى حياةً كالحياة ... لا ولا ترضى حياةً غيرها

* * *

(*) سحر الدنيا : وحى الأربعين .

(*) فلسفة حياة : وحى الأربعين .

يعـبـد الأقـوام مـايخـشـونه | وأنا أعـبـد مـا لست أخـاف
ليس ينسى الله من ينسـونه | فـعـلام البحث فيه والخلاف
إن وصلتم أو وقـفـتم دونه | لم يقف دون مـقـام أو مطاف

* * *

شرعُك الحسن فما لايحسن | فـهـو لا يحلو ، وإن حلّ الحرام
ليس في الحق أثامٌ بيِّنٌ | غير مسخ الحسن أو نقص التمام
ماعدا هذين مما يمكن | فاستبحه ، على الدنيا السلامْ

* * *

إنذار الغضب

إلى الحق المحتجب(*)

ياحقُّ لا تبرح خباءَكْ | أتعبتنا سعيًا وراءك
فـيم الإباء ؟ ولم نكن | يا حق إلا أصدقاءَ ك
فالزم مكانك في الثرى | إن شئت ، أو فالزم سماءك
ما الروضة الغناء ذا | بلةٌ إذا حُرمتْ ضياءك
والناس لا يجفوننا | يومًا ، إذا علموا جفاءك
والحسن عند المبطلـ | ـين ، وعند من يهوى عداءك
ما فاز من يرجو رجا | لك في الحياة ولا نساءك
أنا إن سلوتك لم أكد | أشتاق ما يغني غناءك
ياحق هذا حدُّثنا | فاختر ظهورك أو خفاءك
إن جئتنا طوعا فجئْ | أوْ لا فلا تبرح خباءك ! .

* * *

(*) إنذار الغضب : وحي الأربعين .

كل ما فيها امرأة (*)

أيّمـــــا لـفظة جــــرتْ   مـن فـم المـرأة امـــــــــرأة
تبــتــغى الزوج من فــئــهْ   والأخــــلاّء من فـــئـــــهْ
لـيس بـالجـــسم وحـــده   يعـــرف «الجنس» منشـــأه

* * *

المعروف والمنكر (*)

كل مــاتصنع الحـــيــاة يُرجّى   من بنيـهـا قـبـوله واعـتـقـاده
فـإذا أنكروا قـبـيحًا فـفى القـبـ   ـح من الموت لونه أو شـعـــاره
ذاك لـب اللبـاب فى كل شىء ،   شـطٌ بالـفكر أو تدانى مـــزاره

* * *

حكمة التوائم (*)

حـكـيمٌ ذلـك الـتـــــوأمْ   ومـن آبـائـه أحـــــــــزمْ
تهـــيّب أرضــــهم فـــردًا   فـــجـــاء بصـــاحب مُلزم !
ولو جـــاء بجـــيش كـــا   ن فى تـدبـيـــــره أحـكـم !

* * *

(*) كل مافيها امرأة : «الجنس» عابر سبيل ص ١٠٨ .

(*) المعروف والمنكر : وحى الأربعين .

(*) حكمة التوائم : وحى الأربعين .

على بحر الحياة (*)

أمـن نـظـرة الآبـاد والمـثـل الأعـلـى ... إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى ؟
لقـد كـانت الأجـيـال عندى قـريبـةً ... فـقـد عـادت السـاعـات توسـعـنى ثقـلا
نظرتُ إلى عُليـا الحـيـاة أرودها ... فألفيتها صـفـرًا ، ولم أحـمـد السفلى
فـآليت أقـضـيـهـا كـمـن راح طافـيًا ... على اليمِّ ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلا
فـإن شـئـتَ قُلْ هذا غـريق وإن تشـأ ... فـقـل سـابحٌ لـم يدر أقـبـل ولّى

* * *

نقمة فى نعمة (*)

نعـمـة الإحـسـاس مـا برحت ... نعـمـةً فى طيـهـا نقمُ
لا يحس الفـقـدَ فـاقـدها ... ونصـيـب الـواجـد الألمُ

* * *

رعونة الحياة (*)

فـيـم اقـتـحـام جنين واهن عُطُل ... أرضًا أبوه بهـا حـيـرانُ مـهـمـوم
هى الرعونة فى طبع الحيـاة ثوتْ ... وإنما حكـمـة الأقـوام تعليمُ

* * *

(*) على بحر الحياة : وحى الأربعين .
(*) نقمة فى نعمة : وحى الأربعين
(*) رعونة الحياة : وحى الأربعين .

بنية قوية (*)

تعـاقب السـوس والجـراد ومـا　　باد ربيع ولا انطوى شــجــر
فــلا تخف آفــة ولا غـيَـرا　　يُمنى بها فى الضمائر البشر
دنيـاك هذى قـويةٌ صـمـدت　　لكل شــر جــرى به القــدَر

***

ما فوق الحياة (*)

ياطالبًــا فــوق الحــيــاة مــدًى له　　يعلو عليــهــا - هل بلغتَ مــداها ؟
مــا فى خـيـالك صـورة تشـتـاقـهـا　　إلا وحـــــــولـك لـو نـظـرت تـراهـا
ولو اسـتـويت على الخلود وجـدتَهـا　　كـــفـــؤًا لعــينك لا تـروم ســـواها

***

على الشاطئ (*)

وردوا البـــحـــــر فـــأهلاً　　بـهـمُ - يـابـحـــــــر - أهـلا
أنـت لا تحــــــفـل منـهـم　　مَــن وَلَــى أو مــن تــولَّــى

***

نـزلـوا شطَّك غـــيـــــدًا　　وشـــبـــابا ومـــشـــيـــبـــا
طـلـبــــــوا فـى الماء بـردا　　فـــذكـــا الماء لـهـــيـــبـــا

***

(*) بنية قوية : وحى الأربعين .
(*) ما فوق الحياة : وحى الأربعين .
(*) على الشاطئ : وحى الأربعين .

وردوا البـــحــــر عطاشـــا   رشـــفــــوه . غـــرفــــوه !
لو يكون البـــحـــر بحـــرًا   مـن ســــــرور نـزفــــــوه

* * *

المســـــــــاكين يـريـدو   ن من الدنيـــا اتســـاعـــا
اخــــدعــوها ، فـــهى لاتو   ســــعكم إلا خــــداعـــا

* * *

وإذا لاحــت بـوجــــــــه   يملأ الأبصـــار رعـــبـــا
فـــاضــحكوا منهـــا وقـــولوا   مـــا أُحَـيْلى مـــا أحـــبـــا !

* * *

وإذا مــــــــدت إليـكـم   بيــد فــيــهـــا الحــمـــام
فـــخـــذوا الموت وقـــولوا   هـــو خـلـدٌ وســـــــلام !

* * *

نصف رغيف(*)

عــجــبى للحــيــاة أشــرف مـــا تحــو   يه وقف على الحـــقـــيـــر الطفــيـف
صــفــحــات الســمـــاء والأرض طرا   والمـعــــــانى مــن تـالـد وطـريـف
والوجـــوه التى تشـــوقك حـــسنا   تنطوى إن فـــقـــدت نصف رغـــيـف

* * *

ذات وجوه (*)

وجـوه حـيـاتنا مـتـعـددات   ودع عنك البـــراقع والطلاء
فإن تحمد وسامتها صباحا   فـقـد تنعى دمـاتهـا مَـسـاء

* * *

(*) نصف رغيف : وحى الأربعين .   (*) ذات وجوه : وحى الأربعين .

ضلال الخلود (*)

كان فى الأرض قبل عشرين ألفا ... من سنى الأرض ، شاعرٌ عبقرىٌّ
كان ، لا شك فيه عندى ولا ميـ ... ـن ، وإن شك جاحدٌ وغبىٌّ
نظم الشعر فى الحسان وحيّى ... قبلةَ الشمس وهو داع شجىٌّ
ليت لى من قصيده بيت شعر ... فى ثنايا البلاد يروِّيه حىٌّ
ليت لى من قصيده فردَ بيتٍ ... صح أم لم يصح منه الروىّ
اشترى بيته بديوان شعبـ ... ـين ، فأين المساوم الصيرفىّ ؟!
ضلةً للخلود نأسى عليه ، ... أخلد الخالدين فينا دعىٌّ !

***

أصداء الشارع (*)

بنو جرجا ينادو ... ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألو ... ك تعريبًا وتتريكا
وبتراكى إلى الجو ... د على الإسلام يدعوكا
وفى كفيه أوراق ... بكسب المال تغريكا
وأقزامٌ من اليابا ... ن بالفصحى تحييكا
وإن لا تكن الفصحى ... فبالإيماء تغنيكا
قريبٌ كلها الدنيا ... كرجع الصوت من فيكا
دعى الداعى فلبوه ... طغاةً وصعاليكا
إذا ناديت يا دنيا ... رُ من ذا لا يلبيكا ؟!
فما فى الناس هاذاك ... ولا فى الأرض هاتيكا

(*) ضلال الخلود : وحى الأربعين .

(*) أصداء الشارع : عابر سبيل .

عصر السرعة (*)

طاروا وداروا مــســرعين فى الثــرى يركـب مـنـهـم رأســـه من ركــبـــا
لـولـم يـكـن هـذا الـزمـــــان آفــــةً مــا اتـخــذوا الــســرعــة مـنـه مــهــربـا

* * *

عسكرى المرور (*)

مـــتـــحـكـمٌ فـى الـراكـــبـين ومــــالـه أبـدًا ركــــــوبَـهْ
لـهـم الـمـثــــــوبـةُ مـن بـنـا نك ، حين تأمر ، والعـقـوبَـهْ
مــر مـــا بـدالـك فى الطريق ورُض على مــهـل شـــعـــوبَـهْ
أنـا ثـائـر أبـدًا ومــــــــــا فى ثورتى أبـدًا صــعـــــوبـه
أنـا راكـب رجـلـى فـــــلا أمـــرٌ علىّ ولا ضـــريـبــه
وكـــــذاك راكـب رأســــه فى هذه الـدنـيـا الـعـجـيـبـه

* * *

الفنادق (*)

فنادقُ تـشــبــه الـدنيــا لقـنــاءً وتـفـــرقـــةً ، وإنْ قـــصــر الُمقـــام
تقـــول لكل من وفـــدوا عليـــهـــا بأن الـعـــيـش نـهـب واغــــتـنـام
فـــمن تلقـــاه فى يوم صــبـــاحـــا تـفـــــارقـــــه إذا جنّ الظـلام
ورب عـــصـــيـــةٍ فى الحب باتت وأقـــربُ من بـدايتــهـــا الخـتـــام
تقـــول لقلبـــهـــا مـــا الحب إلا أمـــانٌ حـــيـث يزدحـم الزحــــام
فـــلا ســر هنالك مــســتـبــاحٌ ولا شـــــوق هـنـالـك أو غـــــرام

(*) عصر السرعة : عابر سبيل . (*) عسكرى المرور : عابر سبيل . (*) الفنادق :عابر سبيل .

منازلُ كل مـا فـيـهـا انسجـام ! | منازل كل مـا فـيـهـا انقـسـام !
ومـا افـتـرقت شـعـوب الأرض يومـا | كـمـا افـتـرقـوا ، إذا انصـرفـوا أو هامـوا
فـفـيـهـم يافثٌ حـينا وشـيثٌ | وفـيـهـم تـارةً حـام وسـام

* * *

المصرف(*) «البنك»

شـبـران من ذاك البناء
بينى وبين المال والدنيـا العـريضـة والثـراء
ليست بأقصى فى الرجاء
من حـفـرة المدفـون فى شـبـرين فى جـوف العـراء
كـلا ! ولا أدنى على قـرب المزار لمن يشـاء
أعرفت آماد السماء ؟!

* * *

فى سكَّتى أبدا ومـا
من سكة أبدا إليـه ، ولست ألغـز عندمـا
أصف الطريق أو الحمى
آنظر بعـينيك البناء سـمـا وطال وأظلمـا
واسـأل : أهذا مـصـرفٌ مـلأوا جـوانبـه دمـا ؟
تجدْ الصواب مجسما

* * *

فـيـه دم لا شك فـيـه
فى كل طرس أو كـتـاب أو سـجل يحـتـويه
ودم المقتـر والسـفيه
يجـرى هناك وأنت تحـسـبـه من الورق الرفـيـه
نُغليـه كـالدم فى العـروق سـرى ، وكـالدم نتـقـيـه
وسـل المـدلـس والـنـزيـه !

* * *

(*) المصرف : عابر سبيل .

* * *

سلنى فلم أك طالبـــا
ورقًا هنالك على الرفوف أنال منه جانبا
وأعــد منه حاســبا
ألا لأوراق أراها قارئا أو كاتبا
ولما تجيش به الخواطر حاضرا أو غائبا
ودع الحســـود الغاضــبا

* * *

يارب .. ويا خلق ! (*)

يــارب !

يــارب أعــطــيــنــاك أرواحــنــا ... فى هذه الحــرب وفى الماضــيــة
يا ربنا فــــاقض لنا مــــرةً ... بالسلم فى أيامنا البــاقــيــة

ياخلــق !

ياخلق مــا أرواحكم ســمــحــةٌ ... عندى ، ولا إنْ سمحت كافيه
أعطيــتمُ إبليس أضــعــافــهــا ... من حَــيَــوات عندكم غــاليــه
وبعــتمُ فى ســوقــه كلّ مــا ... وهبــتكم من عــيــشــة راضــيــه
لم تشــتــروا السلم بأرواحكم ... بل اشــتــريتم نقــمــة ثانيــه
عطاؤكم إبليس ســـمحٌ بلا ... أجــر ولا أمنيــة خــافــيــه
ومــــا بذلتم قط لى قــــربةً ... إلا رجــاء العــفــو والعــافــيــه !

* * *

(*) يارب .. يا خلق ! : أعاصير مغرب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بابل الساعة الثامنة (*)

(فى بعض الأحياء يمنع الشرط نداء الباعة قبل الساعة الثامنة ، فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين ،حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع ، كلٌ وما يبيع ، وهى خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه ، فهى بابل لامراء ! .

قابلْ بين بابل هذه وبابل الفجر الذى تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط ، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور ، وإن هذه المقابلات جميعًا لحقيقة فى الشعر ببعض الأصغاء) .

كم بابل فى الساعة الثامنهْ	تثــور فى حلتنا الســاكنةْ
خـفـيـةَ الأصـداء لا تنجلى	ولـم تكن عـجـمـاء أو واهنة
شـتى فـإن أفـردتهـا لم تكد	تـبين منهـــا لفظة بائنـة
كـــأنما تصـــغى إلى راطن	يتـعـــتع الأحـرف أوراطنة
فلفظة ينطقـــهـــا دونهـــا	عـشرون فى حلقومـه قاطنة
واسمٌ يليـه اسم ومـاجَـمّعتْ	قــرينةٌ بينهـــمـــا قــارنة
إن بعـدت عن سامع أو دنت	لم تدنهــا أوصـافـهــا المائنة
البـرتقـال الحلو والفـحم والا	طبــاق والريحــانة الفــاتنة
والبيض والأثواب والتبغ والأ	خـــشـــاب والزينة والزائنة
وأشـربات العـصـر فى حينـها	مـثلوجـة إن شئت أو ساخنة
والناى والأرغن تتلوهمـــا	ربابـةٌ كـــالهـــرة الداجنة

(*) بابل الساعة الثامنة . عابر سبيل .

ومن يناديهــا ويدعــو بهــا   إليــه ، فى زوبعــة زابنة[1]
مــخلوطة ممزوجــة كلهــا   معجونة فى لفظها عاجنة
فى بابل البــاعــة تلك التى   تســمــعــهــا لا بابل الحائنة
يحسبها الشرطى حتى إذا   حانت لديه الساعة الثامنة
أطلقــهــا فــانطلقت فــجــأة   على الحمى كالغارة الكامنة
تجــدّ أقــصى الجــد لكنهــا   فى السمع كالمجنونة الماجنة

* * *

إذا تمادى النوم بى صــحــوة   أو أرّقــــتــنى خطرة رائنة
أيــقــظــنــى مــن بــابــلــى هــذه   نفير حربٍ فى القرى الآمنة

* * *

عباد الطغيان (*)

كلكم . كلكم مع الغـــالـب الظا   لم لا تعـــدمـــوا من الظلم رغــمــا
لو وقــفــتم يومــا إلى جــانب المغلو   ب مـــا فـــاز غـــالبٌ قطُّ ظلمـــا

* * *

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه (*)

تعلم كــيف تســتــغنى   إذا مـــاشـــئت أن تغنى
فـــمن يجـــهلُ مـــايُلقى   فــقــد يجــهل مــا يــُجنى

* * *

(١) زابنة : دافعة .

(*) عباد الطغيان : أعاصير مغرب .

(*) اعرف ما ترميه : وحى الأربعين .

فصــــد ! (*)

قــالوا هى الحــرب فــصْــدٌ   بــه الشـــــفـــــاء يُؤمّــل
قلنا : نعم . فـصـد عـرق   حىّ وإعـــفـــــاءُ دُمّــل !

* * *

الخلود المزدرَى (*)

نفـــوسٌ أعـــاف مـــقـــامى بهـــا   أأخلد فــيـــهـــا ؟ لبــئس الخلود !
وســـجنٌ أعـــاف وجـــودى بــه   أليس كــفـيــلا ببــغـض الوجــود ؟
فـــدع عنك يا صـــاحـــبى خـــالـد   يك . وقل مَن مُـزَكٍّ لهم أو شـهـيـد
فــلا خـيـر فى عــيـشـهـم سـرمـدا   إذا سُـرمــدوا فى ضـمــيــر القــرود
فـــرب خلود كـــقـــيـــد الســجــ   ــين ونسـيـان قــوم كـفكّ القـيــود

* * *

الشـــعـر (*)

إنى ألوذ بشــــعــــرى حين يَطرقنى   من الطوارق نُزّالٌ وضِــيـــفـــان
والشعــر من نفس الرحـمـن مقـتـبس   والشــاعــر الفــذّ بين الناس رحــمــان
كــأن من صُــور إسـرافــيلَ دعــوته   لو يسـمعُ الصـورَيوم البـعـث صـفـوان
يظل ينطف من مــاء الحــيــاة ندًى   على الجـمــاد فـيـزكـو فـيـه ريَعــام
فــــمـــــا يزال لـراويه وقــــائله   من الخــلائق سُــمّــار وخُلصــان
يجنى المودة مما لا حـــيــــاة لـه   إذا جــفـــاه من الأحـــيـــاء خــوّان

(*) فصد : أعاصير مغرب .

(*) الخلود المزدرى : أعاصير مغرب .

(*) الشعر : من قصيدة الحب الأول (جزء ١) ٣٧ (٢٠ نقرة ٥٤) .

ويحسب النجمَ ألحاظا تساهره والودقَ يبكيه دمع منه هتان
إذا تجهم وجهُ الناس ضاحكه ثغرُ الورود ومال السرو والبان
أوملٌّ هاتفةَ الأصوات أسمعه للريح والغاب أبواقٌ وعينان
تُفضى له ألسن الدنيا بما علمت كأنما هو فى الدنيا سليمان
لقد عبدتُ الأقانيم التى جمعت ما فرقته أقانيم وصلبان
الحب والشعر دينى والحياة معا : دين لعمرك لا تنفيه أديان
هى الحياة جنين الحب من قِدم لولا التجاذبُ ما ضمّتك أكوان
والشعر ألسنةٌ تفضى الحياة بهاً إلى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهى فاتنة خرساء ليس لها بالقول تبيان
ما دام فى الكون ركنٌ للحياة يُرى ففى صحائفه للشعر ديوان

* * *

سر فى طريقك (*)

سر فى طريقك بين اللائمين ولا تحفل بمن جدَّ فى لوم ومن لعبا
فالناس يرضون عمن ليس يحفلهم ويغضبون على من يحفل الغضبا

* * *

الخلاصة (*)

ليست خلاصةُ كل شىء غُنيةً عنه ، وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا يغنى العيون عن الربيع الزاهر

* * *

(*) سر فى طريقك : وحى الأربعين .
(*) الخلاصة : وحى الأربعين .

وصايا معكوسة (*)

من عمل بها فعليه وزرها، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله : «اذهب إلى السوق فهات عنبا حامضا ! » فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه ، وكذلك هذه الوصايا إنما هى وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب .

والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانا بين الناس ، وتنكر أن يشيع) :

الضعة والشرف (*)

وال المدنَّس بالعيوب ولا تكن ... يوما وليًّا للنبيل الطاهر

فَذَوُوا المعائب لا تناحر بينهم ... والنبل فيه سبيل كل تناحر

وذوو المعائب آمنون لمن وفى ... والنبل ليس بآمن للغادر

وذوو المعائب مالهم من حاصر ... والنبل محصورٌ قليل الناصر

وذوو المعائب يسترون خلالهم ... والنبل ما لهناته من ساتر

وذوو المعائب عذرهم فى نقصهم ... والنبل ما لكماله من عاذر

وذوو المعائب ينعمون بحظهم ... والنبل ما لشقائه من آخر

ولرب ربح فات من ذى ذمة ... يسعى إليك مع الخؤن الخافر

رأىُ السلامة إن أردت فخذ به ... أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

* * *

(*) وصايا معكوسة : وحى الأربعين

(*) الضعة والشرف . وحى الأربعين .

بمن تثق !؟ (*)

ثقى بالرذيلة تلقــــهـــا ... فى كل حين حـــاضـــرةْ
إن الفـــضـــيلة قلّمـــا ... تلـقـــاك إلا عـــابرة
حـــتى الأفــاضل عــرضــةٌ ... لهـــوى الهنات البــادرة
مـــــــاكـل يـوم يُرتجـى ... عطفُ النفـــوس الطاهرة
ومـــن الـــنـــوادر أن تــرى ... عند التــــعطّف قـــادرة
مـــن لـــم يـــدُر فــى دهــره ... دارت عليـــــه الــدائــرة

* * *

ومن تكون (*)

ومن لا تكون

كن بينهم « بوذا » فـــإن لم تطقْ ... فكن كـتـيـمـور ونيـرونا . .
أو عش مـعـافىً بينهم لا ترى ... إصـــلاحَـــهم دنيـــا ولا دينا
قـــد ضل من يطلب إصـــلاحــهم ... لا غـــرو أن ســـمــوه مــجنونا !
يأمنهم من فـــاتهم طائعًـــا ... أو ســـاقـــهم كـــرهًا مطيـــعـــينا
أو راح مِنهم طالبًـــا نفـــعـــه ... لا عــــاليًـــــايأبى ولا دونا
مـــن هـان أو هــان الـورى عـنـده ... أو ســـامـــهم فى ظلمـــه ا لُهـونا
أولـئـك الـرهـط الـذى لـم يـزل ... يأمن مــا يخـــشى النبـــيـــونا
يابؤس أرض لا ترى فـــوقـــهـــا ... إلا طغــــاةً أو مــــرائـيـنا

* * *

(*) بمن تثق : وحى الأربعين .
(*) من تكون : وحى الأربعين .

صور الرجاء (*)

أمسيت أذكر مامضى من صبوتى والذكر آمال الزمان الغابر
قد ييأس الإنسان من غده ولا تلقاه ييأس من حنين الذاكر
ماشئت من صور الرجاء فلُذْ به بعضُ الغد الآتى كأمس الدابر

* * *

قرش معقول (*)

إن أحبوا القرش لم يجدوا عجبا فى حبه الخطر
فإذا ما الطفل هام به جعلوه طرفة السمر
يامحبى القرش ويحكمُ هل سمعتم أصدق الخبر ؟
هل علمتم فى طرائفكم أىّ قرش بالهيام حَرٍ ؟
ذاك قرش الطفل نضحك من حبه إياه فى الصغر
وهو أولى من قروشكم كلها بالحب والسهر
هو « حقّ » عنده جلل حاضر الميعاد والأثر
ثمن الحلوى يلذ بها وجمال الحسن والنظر
وأفانين الملاعب لم تخل من نفع ومن ثمر
وهو وهمٌ فى خزائنكم وخيال كاذب الوطر
وسجين ثم مدّخر لرجاء غير مدخر
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا منه بالآيات والعبر
الحياة الحق ناضرة فاقطفوا من غصنها النضر

* * *

(*) صور الرجاء : وحى الأربعين .

(*) قرش معقول : عابر سبيل .

جلال الموت (*)

أرى فى جلال الموت إن كان صادقا — جـلالة حق لا جـلالة باطل
فـلا تجـعلنّ الموت حـجـة كـاذب — لمدحـة مـذمـوم ورفـعـة سـافل

* * *

عصر السرعة (*)

- ١ -

طـار فـى الـذرى — هام فـى الســهـول
مـسـرع الخطى — حـيـثـمـا يجـول
مـالـه عـدا — عـدوة الـوعـول
مـالـه سـطـا — سـطوة الـسـيـول
فـى صـعـوده — يشـبـه الـنزول
تلك سـرعـة الحـا — ثـر المـلـول
تـلك سـرعـة الآ — ثم الخـجـول
أيـن سـرعـة الـ — ـسـعـى والـوصـل ؟

* * *

التقديس (*)

عـارفُ الـتـقـديس رو — حيٌّ ، وإن قـدّس جـسـمـا
ومُـهين الجـسـم جـسـمـ — ـيٌّ ، وإن كـان «برَهـمـا»
أنت بالتـقـديس تسـمـو — لا بما قـدسـتَ تُـسـمـى

(*) جلال الموت : وحى الأربعين .
(*) عصر السرعة : عابر سبيل .
(*) التقديس : هدية الكروان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السرور (*)

منع السرورَ حذار قلبىَ قبله ألا يتمّ ، وبعده التنغيصا
ويزيدنى كلَفا به وضنانةً ألا يباح - إذا أُبيح - رخيصا

* * *

حكمة الجهل (*)

ألم أقل لك مهلا فالناس لؤم وشر
لا تولهم منك عطفا فهم من العطف صفر
لو كنت تعلم علمى لما أصابك ضُر

نعم نعم . قلت هذا إنى بذاك مُقرّ
وأنتَ عندىَ طفلٌ وأنت عندى غِرُّ
وما لقولك وزن وما لنصحك شكر
أنفقت عطفك قبلى وذاك ياصاح فقر
كم حكمةٌ هى جهل وغفلة هى فخر

* * *

الحكمة الصادقة

حكمةٌ قد تناقضت ، هذه أصدق الحكم
ليس للعلم من تما م إذا الجهل قيل تم
فاغتنم منه ما بدا وأنتظم منه ما انتظم

(*) السرور : هدية الكروان .

(*) حكمة الجهل : عابر سبيل .


صفات وأشباهُ

فُرضة البحر(*)

قطبَ السّفين وقِبلةَ الربان ... ياليت نوركِ نافعٌ وجداني
يُزجى منارك بالضياء كأنه ... أرقٌ يقلّب مُقلتى ولهان
وعلى الخِضَمّ مطارحٌ من وَمضه ... تسرى مدلّهة بغير عنان
كمطارح الأفكار فى لُجج على ... لجج من الشّبهات والأشجان
تخفى وتظهر وهى فى ظلمائها ... بابُ النجاة وموئلُ الحيران

* * *

أمسيتِ أحداقُ السفائن شرّعٌ ... صورٌ إليك من البحار روان
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى ... شملَ الأحبّة فيه والإخوان
جودىّ(1) كلِّ سفينة لم يبنها ... نوح ولم تمخر على الطوفان
فيها التقى بر وبحرٌ ، واستوى ... شرقٌ وغربٌ ، ليس يستويان
بسطت ذراعيها تودّع راحلاً ... عنها وتحفل بالنزيل الدانى
زُمَر توافت للفراق فقاصد ... وطنًا ، ومغترب عن الأوطان
متجاورى الأجساد مفترقى الهوى ... متباينى اللهجات والألوان
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها ... شتى ديار جُمّعت بمكان
فى فرضة متقاصرٍ عن متنها ... موجٌ أشمّ أحمّ(2) ليس بوان
موجٌ يطيف بها وقد ران الكرى ... فيها طواف الضيغم الغرثان(3)
ألقيت مراسيَها السفائنُ عندها ... وتحصنت منها بدار أمان
فكأن ضوء منارها نار القِرى ... لو كان يُبعث ميّت النيران !

* * *

(*) فرضة البحر : الجزء الأول .

(1) الجودى : هو الجبل الذى قيل إن سفينة نوح رست عليه آخر المطاف – والمعنى أن الفرضة كالجود تنتهى إليها رحلة كل سفينة .

(2) أحم : أسود . (3) الغرثان : الجوعان .

الخريف (*)

حيّ الغمائمَ فى السماء كأنها ... طيرٌ سرت فى مستهل ربيع

بيضاء ترتع فى فضاء شاسع ... صافى السراة[1] على السنا مرفوع

طورًا كتمسيح الذيول وتارةً ... كالرغو بين مُفرّق وجميع

ترفو حواشيَها الرياحُ وتنتحى ... أَوساطها بالفتق والترقيع

والدَّوح مهدولُ الأرائك ساهم ... كالعاشقين هنيهة التوديع

والماء كالممرور فى وسواسه ... يشجوك منه ترنّمُ المفجوع

والشمس ساهية الشعاع كمقلة ... وطفاة جللها البكى بدموع

ضحكُ الطبيعةِ فى الربيع كأنهُ ... ضحك الغريرة فى عناق خليع

فإذا تبسم فى الخريف جبينها ... أبصرت نظرة ريبة وخشوع

كالغادة الحسناء يغرب حسنها ... أثناء شيب فى الشباب سريع

* * *

أنس الوجود (*)

تماثيلَ مصرٍ أنت صورتها الصغرى ... وطلّسمها الواقى ، وآيتها الكبرى

حياتك أجدى من رجال كأنهم ... تماثيل لاتحى الصناعة والذكرى

رعى الله من أسوان دارًا سحيقة ... وخلّد فى أرجائها ذلك القصرا

أقام مقام الطّود فيها وحوله ... جبال على الشطين شامخة كبرا

بعيدًا عن الأقران ، منقطعًا بها ... فريدًا عن العمران ، مستوحشًا قفرا

(*) الخريف : جزء أول .

(١) السراة : الصفحة .

(*) أنس الوجود : جزء أول ٢٤ (٦ «فقرة ٤٢») .

مـرصـودًا وهل يُعبد الضحى بأظهـر منهـا للضـحى كـيـفـمـا ذرا ؟
ر الله حـــول ربوعـــهـــا نطاقًـا وأجلى عن مطالعـهـا السـتـرا
مسى أهلوها إذا اشتـد قـيظها وجاش على الصحراء فاتقـدت جمرا
، كــأفـواه البــراكين قـاذف شـآبيب مـا زحـيـا ومـا أقـتل القطرا
شت فينا الحيـاةَ ضِرامُـهـا فـأنفـسنا من حـرها شـعلة حـرَّى
حـيث الدارجون عروشـهم قـيـام تناجى فى سكينتـهـا الدهرا
لى تلك الرمـال كـأنهـا خُطى الزمن الوثاب تـاركـــة إثْرا

* * *

....

ا إلـيـه النهـر لـيـلا كـأننا عبرنا من الماضى إلى الضفة الأخرى
حيـةٌ فيه الزمان الذى مضى فكان له رسـمـا وكـان له قـبـرا
دنا منه شـخـوصًا كـأنهـا مساحيرُ ترجو كاهنا يبطل السحرا
فق ذاك القلب بعـد سكونِه ويُمـلأُ من أهوائه ذلك الصـدرا !
ا يشـبـه الخلقَ صنعـهـا تغالوا فقالوا الأنس قدمسخت صخرا
بـروا إلا على الله صنعـهـا فـقـالوا براها ، ثم أصمتـهـا قـهـرا

* * *

السماء (*)

مـاء البـرزة[1] المحـجـوبة أعـجب مـا أبصـرت من أعـجـوبة
نجـمـهـا المشـبـوبة تهـولنا قـبـتـهـا المضـروبة
هـا الهـاوية المقلوبة كـأنهـا الجـمـجـمـة المنخـوبة

* * *

: جزء أول .

البارزة الحسنة .

وقفة فى الصحراء (*)

هضابُك أم هذى أواذئُ عيلم[1] ؟ وهل فيك من وِرد لغير التوهم !
تخايلت كالدنيا وأقفزتِ مثلها فلا تخدعينى ، إننى لست بالظمى
أيا ربة الآل الخلوب وإنما إلى الآل[2] ركب الناس جمعاءفاعلمى
خلوتِ فلا آثارُ حىّ ثوابتٌ عليك ولا آثار ميْت معظّم
نبا بك عن حال العمار وضده شماسٌ ، فلم تبنى . ولم تتهدمى
تشابهت الأيام فيك فلم يكن إلى السعد يومٌ أو إلى النحس ينتمى
صحارى من الدهر الفسيح جديبةٌ كعهدك لم تعبس ولم تتبسم [3]
لَفيك وإن طال الزمان غواربٌ على الناس أخفى من غوارب أنجم
أضاءَت عليها النيرات ولم تزل هنالك فى ليل من الغيب أيْهمِ
إلى أى ركن فيك يلجأ هارب وفى أى ظل من ظلالك يحتمى
تسدين أرجاء السماء بحاصب من النار موَّار العجاجة مظلم
تؤرِ كأفواج الدخان تطلعت إلى علوٍ[4] من قاضى قرار جهنم
إذا ما رآها الوحش ولى كأنها من النقع تُجلى عن خميس عرمرم
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمرة خياشيمه م القيظِ يبضضن بالدم
ويذهل حتى يفلت الليثُ صيدَه ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
وماسكنتها الوحش إلا لأنها أحب إليها من جوار ابن آدم

* * *

(*) وقفة فى الصحراء : جزء أول .
(١) أواذى عيلم : أمواج بحر . (٢) الآل : السراب .
(٣) الزمان فى الصحراء كالمكان صحراء لامعالم لها .
(٤) علو : أى السماء .

السينماتوجراف (*)

بربك مــاذا فى سـتـائرك الطُّلس[1] أأشـبــاح جنّ تلك تظهــر للأنس ؟
إذا لم تكن جنًّا فـمـالى عــهـدتهـا تفـر فـرار الجنّ من طلعـة الشـمـس
سـتـور ولكن يُكشف النور عندها فنونًا من الأسـرار تخـفى على النفس
كـأنى أرى فـيـهـا قـريحـة شـاعـر مـصـورة للناس فى عــالم الحس
وكــالعين إلا أنهــا تمسك الرؤى وترسلهــا رســمًــا تراه على الطرس
تردُّ تجـاليـد القـبـور كـواسـيًـا وتبعث أشخاص الرفات من الرمس
وتحـمــدها عين الغــريب لأنهــا تنوب بهــا الرؤيا لديه عن الحـدس
تميط عن الطرف الحجاب كمـا رأى نبىُّ الهـدى فى مكة صـورة القـدس
وكم مـعــجــزات للصناعــة بيننا يجىء بهــا رُسل المعــارف والدرس

* * *

الشتاء فى أسوان (*)

ألقِ الربيع على البـشـيـر كــانون آذن بـالظهــور
أســوان تزهـو حين يـذ بل كل مـخـضـرّ نضـيـر
فـى كل مــربأة[1] بهــا نـور تـألّـق فــوق نـور
بلـد تجـــود له الطبـيـ ـعـة بالصـغـيـر وبالكبـيـر
لا تسـتـجنُّ شـمـوسـه إلا على غــيـر البـصـيـر
نســمــاتهُ بـرءُ العليـ ـل ومــاؤه عــذب نميــر
مــا طبُّ جـالينوس قـيـ ـس بطبــه إلا غــرور

(*) «السينما توجراف» : جزء أول .

(1) الأطلس : الأغبر إلى سواد وهو لون الصور على اللوحة قبل التلوين .

(*) الشتاء فى أسوان : جزء أول

(1) مربأة : مكان مرتفع .

أبـدًا تحـــــوط بـهِ ودا ... ثعـهـا بسـور خلف سـور
من كل شـاهقـة كـأنّ ... قـلالها عـمـد الدهور
حـصن تهـاب ظروفـه الآ ... فـات طرًّا والشـرور

* * *

بولون أقـفـر غـابهـا ... من كل مـخـتـال فـخـور
سـرحك صـوادحـهـا وأطلـ ... ـق وُرقـه الأيك الغـضـيـر
يلقطن حـبـات القلو ... ب من الجـوانح والصـدور
الفـاتنات تكاد إحـ ... ـداهن من حـسن تنيـر
النـاهدات كـمـا ترى الأ ... هرام فى الرسم الصـغـيـر
العـبـهـريات الشـذى ... الكـوثـريات الثـغـور
الـورد فـى وجـنـاتـهـنّ ... يضـوع فى كل الشـهـور
المرسـلات الشـعـر كـالز ... رياب [1] مـصـغـرًا غـزير
مـتـمنطقـات بالدمـقـ ... ـس مـؤزّرات بالحـرير
من كل قـاع جـؤذر [2] ... تلقـاه أو ظبى غـرير
مـثل الشـمـوس برزن للأ ... كـوان من فـجـر الشـعـور
داراتـهـن مـطـالـع ... لـم تدر مـا نور البـدور
فـيـهن مـعـتـرك الغـرا ... م ومـعـرض الحـسن الطرير
الحـور هنّ خلقـن للـ ... ـفـردوس لا للزمـهـرير

* * *

الماء فـاض على الجـنا ... دل والسـواحل والجـسـور
خلجـانه تنسـاب كـالـ ... ـحـيـات مـا بين الصـخـور
مـتـسـابقـات كـالسـوا ... بق فى مـجـال مـسـتـدير
والنيل مـصطفق كـمـن ... قـد هزه فـرط السـرور
مـتـدفّع الأمـواج تر ... قص وفق توقـيع الخـرير
وترى الزوارق كـالبـوا ... شق حـوّمًـا أو كـالنسـور
قـد حـار فـيـهـا العنصرا ... ن الريح والماء القـدير

(١) الزرياب : الذهب أو ماؤه .
(٢) الجؤذر : الظبى الصغير .

والشـمس شـاخـصـة تكا   د تنوءُ من جـهـد المسيـر
فـضـفـاضـة الأذيال تخـ   ـطر كـالعـروس إلى السرير
وكـأنهـا فـوق الذرى   فـوق الجـزائر والبـرور
حـسناء ترقب قـادمًـا   فى النيل من أعلى القـصور
وعلى الروابى والهـيـا   كل مسحة الشفق الأخير
تبـدو كـما نصل[1] الخضا   ب بعـارض الشـيخ الوقـور
مـا كـان أول مـغـرب   شـهـدت على مـر العـصـور

* * *

كـم آيـة فـى الـكـون أخـ   ـفى من خفيات الضمير
من لا يرى إلا العـيـا   ن فـمـا يرى إلا يسـيـر

* * *

ليلة الأربعاء (*)

شفّ لطفًا عـمـا وراء السـمـاء   نور بدر مـفـضّض اللألاء
رق سجف السماء حتى كأن الـ   ـعين تتلو هناك سرَّ القضاء
وسرى الطرف فى الفضاء فما يثـ   ـنيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كالعباب فما فى الـ   ـكون غير الظلال من ظلماء
تلك أولى لوائح الصيف والصيـ   ـفُ بهيجٌ فى الليلة القمراء
يمّنَ الله سعيه من رسول   يطرق الأرض وافدًا من ذُكاء[2]
مَولِد الأرض فهى تلبس فيه   كلَّ عام مطارف الأضواء
أضرم الجوَّ بالمشاعل كالظا   فر يعدو فى إثر جند الشتاء
فنهضنا للّهو فى دار ذى القر   نين بين الصحاب والقرناء
بلد ما تحجّب الجو إلا   ناب عنه الصفاء فى الدأماء
كلُّ من ينتحى حماه غريبٌ   عنه حتى ما فيه من غرباء
تكشف الشمس ثَمَّ مايضمر اليمّ   كعين المنوم النجلاء

(١) نصل الخضاب : زال .
(٢) ذكاء : أى الشمس .
(*) ليلة الأربعاء : جزء أول . ٨٠ (٧٥ فقرة ٧٧) .

فعلى اليمّ للمطيفين سرٌّ كاشفٌ عن سرائر الأنباء

* * *

ليلةَ الأربعاء بالله عودى وأعيدى ياليلة الأربعاء
ليلةٌ أرسل الزمان بها عفـ ـوًا فجاءت كحكمة البلهاء
قد نسينا الصباح حتى ذكرنا بنور من بدرها الوضاء
فوصلنا مساءها بصباح ووصلنا صباحها بمساء
....
خير ما فى الحياة يا قلب ما أنـ ـساك ذكر الحياة والأحياء
بيد أن النفوس تصبو إلى الذكـ ـر وإن كان فيه بعض العناء

* * *

....
نسج الفجر للنجوم الدرارى برقعًا حيك من شعاع الضياء
وكأنّ النسيم هموم اللـ ـيل والليل مؤذن بانقضاء
همساتُ العوّاد حول حبيب بات لم يبق منه غير الذماد [1]
وترى البحر لو توسده النا ثم لم ينتبه من الإغفاء
فى سكون كأنه نفس الحا لم أو خفق طائر فى الهواء
وكأن الخرير صوت يناجى الغيـ ـب حتى لهمّ بالإصغاء
فبعثنا الأرواح سربًا كروح الله قدمًا ترف فوق الماء

* * *

الورد(*)

أراح[2] الورد عازفة النفوس وأشرق نجمه بعد الخنوس
وغرّد هاتف الأطيار لما جلا البستان عن خدر العروس
وأشرقت الرياض على الروابى مكللة المفارق والرؤوس
نديم الكأس طف بالروض تنظر غصون الورد مترعة الكؤس
وفيه ثمالةٌ [3] لم يودعوها من الأفراح كرمَ الخندريس

---

(١) الذماء : بقية الروح . (*) الورد : الجزء الأول .
(٢) أراح أى رد وعازفة أى بعيدة . (٣) ثمالة : فى الكأس أى بقية .

تبسّمَ فى خمائلهُ[1] النشاوى فأضحك غرة الزمن العبوس
يُخيَّل ناطقًا لولا حياء ثناه عن مناجاة الجليس

....

أطل من الرغام كأن روحًا تنادى الناس من خلف الرموس

....

مجامر للطبيعة أرّجتها وخصتها بقربان الشموس
تلبيها إذا نشرت شذاها على الأفنان أرواح الأنيس
كما لبى بخوز السحر حور من الجنان خافية الحسيس
جنى الفردوس إلا أن فيه ذَكاء النار والجمر القبيس
يكاد يبث حوليه ضياء كما بثته نيران الوطيس[2]

* * *

....

لو انا قادرون لما هفونا إلى غير المحاسن والطروس
ولولا الدهر بالإنسان يلهو ويبلو القلب بالغرض الخسيس
لما ألهاه عن آس وورد بحبات من البُرّ[3] الدريس

* * *

حديقة البرتقال (*)

أجبْ به من منظر سَرِىّ[4] ومن نبات طيب ذكىّ
متصل الخضرة فِردَوسى نُزّه عن تصوّح[5] وعرىّ
جنّاته تثنى على الوسمى بالبرتقال الواضح الروىّ
كالسُّرُج المذكاة بالعشىّ تستقبل المقبل إذ تحيى
منها بألف كوكب دُرّىّ كالشمس فى جلبابها الفجرى
غصنا على غصن زمرّدىّ من بارز وضامر خلفىّ
وساجد فى الأرض كالقسىّ مكلل بطلعه محنىّ
كأنه جلاجل الحلىّ يأخذ عين المبصر الذكى
أخذ الحلى مقلة الغوىّ على نحور البيض والثدىّ

(١) جمع خميلة : وهى الشجر الملتف . (٢) الوطيس : الفرن . (٣) البر : القمح .
(*) حديقة البرتقال : جزء أول . (٤) سرى : فاخر . (٥) التصوح : الذبول .

أغلى لدى الشاعر والصبى   من كنز قارون ، وكل شيّ
فاعجب لهذا الصائغ الغنىّ   صائغ هذا الثمر الجنىّ
من نفَس حام ومن طمىّ   وصابغ الطلع بألف زىّ

ومخرج الحى بغير الحى

* * *

منظر (*)

الروض جم العبير   والليل شفّ الستور
والدر ينشر نورًا   كأنه نصف نور !
كأنما الكون يبدو   من خلف ستر وثير
كأنه ظلّ كونٍ   مغيَّب فى الدهور

* * *

قدوم الشتاء (*)

تسير الكواكب سير الحذرْ   ويرجف فى الجو نور القمرْ
وللشمس مِشيةُ مستكرِه   يساق إلى منظر لا يسرّ
ونهرٍ كمرآة مهجورةً   علي وجهها من جواها أثر
ولـلـرّوض زهـرٌ بـه طـائح   تقلّب فى الأرض كالمحتضَر
ونادى المنادى بركب الطيو   ر : هيا فقد حان وقت السفر
فهذا يحوم على وكره   وهذا يصيح ولمّا يطر
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا   كأن الأصيل عليه انتشر
وما للرياح بأعلى الشجرْ   تعج كموج خضم زخر
تنام العيون ويعلو لها   نشيجٌ إذا الليل أغضى ظَّهر (١)
تُحطِّم أعوادَها العاريا   ت تحطيمَ ذى جنة منذعر
فياويل من بات فى ليله   يجاوبها بالبكى والسهر

(*) منظر : جزء أول .

(*) قدوم الشتاء : جزء أول ١٠٦ (١٠١ فقرة ٩٣) .

(١) أى يكاد يظهر إذا اختفى الليل .

النهر النائم(*)

تمهّلْ يا نسيم ولا تكدّر | نعاس النهر بالهمس الضعيف
وقِرّى يا طيور على الحوافى | وكفى يا غصون عن الحفيف
لعل النهر ينطق وهو غاف | بسر فيه أو حلم لطيف
ويحكى طيف هاتيك الليالى | ليالى الوصل فى عهد الخريف

* * *

ياقمر(*)

فضضْ الماء ياقمرْ | وانقش النور فى الحجرْ
وانظم الغصنَ بالندى | والثم الزهر فى الشجر
واجعل الكون ضاحكا | عن سماء من الغُرَر
وأملك الليل مفردًا | ومع الشمس فى البُكَر

* * *

فى مجاليك راحةٌ | راحةُ النوم والسهر
فى لياليك بهجةٌ | بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل فى الظلا | م ولا الصبح فى الكدر
أنت كالطيف والدجى | ناعس اتلطرف ياقمر

* * *

ساهد الليل لا تجِمْ | واتل ماشئت من ذِكَر
قد تناسيت ما مضى | ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى | يسل لذاته الأخر

* * *

(*) النهر النائم : جزء أول .

(*) ياقمر : جزء أول .

النرجيـــلة (*)

هات نرجـــيلةً يضـــاحكنى منـ ـهـا خـــرير كـجـــدول البــســتـــان

ذات أنبـــوبةٍ كــــحـــيـــة حـــوا ءَ بفــيــهـــا تفـــاحـــةُ الحـــرمـــان !

إنّ بـــين الـــضـــلــــوع نــــارًا أُوار يهـــا فـــأخـــفى زفـيـــرها فى الدخـــان

* * *

القمــــراء (*)

كلمـــا أشـــرق فى الليــل القــمَــرْ

وســـهـــا الناس ولاذوا بالحُـــجَــرْ

خلتُ أرواحـــا تداعت للســـمـــر

زُمَـــرا تهـــمس من حـــول زمـــرْ

إن هـذا الحــــســـن لا يمضى هدرْ

حــيــثــمـــا أســفــر نور وانتــشــرْ

وحـــلا فى خلوة الليل الســـهـــرْ

فـــــهـنا لا ريـب حِسٌّ وبصـــــرْ

شـيـمـةُ المسـحـور يقـفـو من سـحـر

* * *

(*) النرجلية : جزء أول . (هى المعروفة بالشيشة) .

(*) القمراء : وحى الأربعين .

يوم شتاء (*)

يومُ بيتٍ لا يوم خـــوضِ الأياجى | فـــائجٌ مـــا بين صـــفـــحـــة وســـراج
وجـــمـــالٍ من النفـــوسُ يُناجَى | فى أســـارير وجـــهـــه ويناجى
مـــســـتـــهلّينَ والطبـــيـــعـــة غـــضـــبى | وكـــلانا من هولهـــا الصـــعب ناج
نتـــحـــدى الرياح والليل والأهوا | ل طرًّا بصـــفـــحـــة من زجـــاج !
فـــإذا مـــايروع منهـــا ويضنى | نتلقـــاه ههنا بابتـــهـــاج
كـــالذى يشـــهـــد الكوارث فنًّا | من فنون التـــمـــثـــيل والإخـــراج

* * *

زهرة القرنفل (*)

تعـــشّـــقتُ من زهر القـــرنفل لونه | ونشـــرًا كـــريح البـــابليـــة[1] زاكـــيـــا
تَقـــسّم نور الشـــمـــس أحـــمـــر قـــانيـــا | وأصـــفـــر وضّـــاحـــا وأخـــضـــر زاهيـــا
ونازع مـــحـــزون البنفـــسج لونه | وحـــاك له ثوبًا من الجـــو صـــافـــيـــا
كـــواعبُ أترابٌ تـــقـــاربن صـــورةً | وســـيـــمـــةَ حـــسن واختـــلفن كـــواســـيـــا
وأســـمـــع منه حين أقـــبـــس ضـــوءه | وأنشق رياه فـــأُنصت واعـــيـــا :
«تشـــاغلْ بما يجلو العـــيـــون وغـــمـــضـــهـــا | ســـرائر دنيـــانا ، وإن كنت رائيـــا
وســـيـــان تحـــديق العـــيـــون وغـــمـــضـــهـــا | إذا كـــان مـــاترتاده العين خـــافـــيـــا
فـــحـــســـبـــك منهـــا زينة تبـــهـــر النهى | فـــغـــيـــر قليل مـــاترى النفسُ باديا»

* * *

(*) يوم شتاء : هدية الكروان .
(*) زهرة القرنفل : جزء أول .
(١) البابلية : أى الخمر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجسم الخجل (*)

أرى فى البحر أجساما تُشعُّ
عليها من حياء الحسن درعُ

إذا ما الماء جمشها تراءى
لها خجل على الأعطاف بدعُ

وما خجل الخدود وذاك جسمٌ
سَنَى الخجل المورّد فيه طبعُ ؟

* * *

ليالى رأس البر (*)

مناظرُ من سحر الجمال أراها
ولولا سناها قلت : كنت أراها !

تلوح كذكرى حالم يستعيدها
لعمق معانيها و بعد مداها

فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ
وفيها من السلوى جميل رضاها

ليالى برأس البر تَنْدَى وداعةً
ورقةَ شجان ، وطاب نداها

وداعةَ ذات الدَّل شاب فؤادَها
شوائب من هجر ، فراض صباها

* * *

ليالى برأس البر طالب نداها
وشفّتْ دياجيها ورقَّ سناها

هنا النيل ساج طال فى الدهر سيرُه
وطالت مرامى نبعه فسلاها

هنا البحر ثوّار الدهور على الكرى
ويطغى فلايحمى النفوسَ كراها

إذا استرسلت أصداؤه فى اطّرادها
ترسلت الأحلامُ ملءَ مناها

هنا علم السلوى ، هنا العالم الذى
تحس الليالى فيه خمسَ خطاها

هنا العالم الشهود ذكرى قديمةٌ
وذكراك دنيا لاتزال تراها

فلولا حياتى فى عروقى أُحسُّها
لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

(*) الجسم الخجل : وحى الأربعين .
(*) ليالى رأس البر : هدية الكروان .

جمالكَ - رأس البر - وفى زى ناسك إذا ضاحكَ العينَ الضحوكَ شجاها
لياليك-رأس البر- فى صومعاتها مناسك ضلّت فى الظلام هداها
صحابك-رأس البر- أطيافُ نائم تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيامَ من الرُّؤى ولم أر جهدًا فى الحياة عناها

* * *

حياتك-رأس البر - طفل مُجَدد سقته ثدىٌّ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفةَ الخلد كلما فنينا ، وكم تُفنى الجسومَ نُهاها
بحسبى من أبناءِ آدم إن صفا لنا العيش يوْمًا ، أن تكفَّ أذاها

* * *

أغانى (*)

فى الهوى قلبى زورقٌ يجرى
أين يمضى بى نهره الخمرى
ليتنى أدرى !

* * *

ليته يجرى يا أبا الأنهار
مثلما تسرى فى حمى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف مسبل الشعر
ناعس الأطياف سابح الفكر
فى الهوى السحرى

* * *

(*) أغانى : عابر سبيل .

ياريـاض الـنـيـل علـمـى قـلـبـى
فـرحـة التّهليل عـشـتِ للحب
يامنى الصب

* * *

قـال لى قلبى والهـوى يرعـاه
هـو فى قـربى مـا الذى أخـشـاه
عند ما ألقاه

* * *

الشتاء والربيع (*)

كل باد يريد أن يتـوارى في الشتـاء المغلّف المسـدود
كل خـاف يريد أن يتـجلى في الربيع المزخـرف المشـهـود
هات لى العالم الصريح ودعنا من حياة خجلى ، وطبع برود

* * *

فى القمر (*)

فى الليلة القمراء ، ما أحلى النظر ! لكل شىء لاح فى ضـوء القـمـر
حتى الثرى ، حتى الحصى ، حتى الحجر

* * *

ليـست من الآجـرّ هاتيك البنىٰ لا بل خـيـال من ظلام وسنى
كخيله الأشكال فى السحب لنا

* * *

(*) الشتاء والربيع : عابر سبيل .
(*) فى القمر : عابر سبيل .

أكـــــــاد عـنـد رؤيـتـى طـلاءهـا   أُرسـل عـــــــــيـنـــىّ لمـا وراءهـا

كما تخوض نظرة فضاءَها

* * *

قد شفت بالصخرة مصباح الدجى   فكيف بالنفس وكـيف بالحـجى

عاش على مر الليالى مسرجا

* * *

العيش جميل (*)

صـفـحـة الجـو على الزر   قـاء كـالخـد الصـقّـيل
لمعـة الشـمس كـعينٍ   لمعت نحـــو خـليـل
رجـفـة الزهر كـجـسمٌ   هزهُ الشـوق الدخـيـل
حـيـث يمت مـروج   وعلى البـعـد نخـيـل
قل ولا تحـفل بشىء !   إنما العـيش جـمـيـل

* * *

القـمر والظلام (*)

لا أوثر القـمـراء فى حـسنهـا   على الدجى ، والطرف فـيـه يحـوم
سـنـاك يابـدر يـريـنـى الثـرى   وظلمـة الليل تـرينى النجـوم

* * *

(*) العيش جميل : عابر سبيل .

(*) القمراء : الأعاصير . ص ٥٠ وبعنوان «القمر والظلام» (أعاصير مغرب ١٣٥) .

صداح الأثير (١)

مـــلأ اللآفـــاق صـــداح الأثيـــر | لا فـضـــاء اليـــوم .بل صـــوت ونور
لك من كل فـــضـــاء شـــاسع | حـــيـــثـــمـــا يممتَ ، داع وبشـــيـــر
مـــاصـــقـــاد الجـــو إن فـــتـــشـــتـــه | غـــيـــــر أصـــــداء حـــــواليك تمور
لجبٌ لكنه مـــســـــتــــــأذن | يطرق الســـــمع بسلطان قـــــدير
أوْ هى الأرواح إن قلت احـــضـــرى | حضرت ، أو شئت أعياها الحضور
قـــيل أمـــواج . فـــقلنا وبحـــور | من مـــعـــان وبيـــان وشـــعـــور
تركب الألبـــابُ فـــيـــهـــا سـفنًا | ســـبَّـــقـــا بين طويل وقـــصـــيـــر
حـــملت من كل زاد ، وقـــرت | كل غـــاد ، ووعت كل أثيـــر[٢]
ولـهـــــا فى كل يوم مـــــددٌ | يلتـــقى الأول فـــيـــه والأخـــيـــر

* * *

كـــان فـــرعـــون لـه مـــجلســـه | وهو ذو الصـــرح المعلّى والســـرير
ولـنـا فى كل دار مـــــجـلس | يسع العـــــــالَم أيان يدور
هو نـاد لـك ، أو مـــــدرســـــة | أو مجـال السبق ، أو ملهى السرور
غـــلـــب الـوهَـــم الـذى زيـنـــه | فى الأساطير خـيـالٌ مـسـتطير
دعـــوة المارد إن قـــيـــست إلى | دعـــــوة المذياع ظن وغـــــرور
بورك العـلم لعـــــمـــــرى إنه | من صـــفـــات الله ، والله قـــدير
ربما أســـــمـــــعنا فى غـــده | نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

* * *

(*) صداح الأثير : أعاصير مغرب .

(١) اقترحت محطة الإذاعة موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(١) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المنتقى .

أسود يلتحى (*)

ألیس كفى هذا السوادُ فزدتَه   سواد غراب فى لحاك معلق ؟
سريت برأس لا حدود لوجهه   فما زال فيه الليل بالليل يلتقى
ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى   سوادك محفوفا بأبيض مشرق
وأخلقُ أن يرتادك الشيب حالكا   على حالك ، لو كان يجرى بمنطق

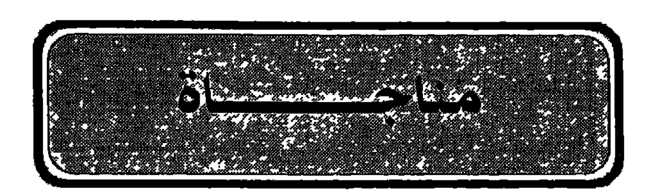
* * *

على شاطئ البحر (*)

نفض النسيم عن النفوس رمادها   فأعاد للسالى قديم هواه
والبحر تطّرد الخواطر عنده   مثل اطّراد اللج حين تراه
لم أبصر الآذىّ فيه كأنه   خيل الطّراد تسوقهنّ صَباه
وكأنّ متن الماء فى شمس الضحى   فيروزجٌ قدح الضياء سناه
وكأن مبيضّ الجليد طفا به   إن مج بالزبد النقى حشاه
إلا وددتُ بأن أراة فلا أرى   أفُقًا يصد الطرق دون مداه
الروح يطمع أن يتيه بلا مدى   والعين ترسم فى الفضاء خطاه
البحر أقدم والنفوس قديمة   فالنفس تألفه ولا تنساه

* * *

(*) على شاطئ البحر : الجزء الأول .


مناجاة

مناجاة(*)

يا من أحب لقاءه ... سرًّا وأزوى عنه جهرا
إن العيون بمرصد ... لى فى هواك ، وأنت أدرى
من ذا يتيه على الجما ... ل وأهله بالتيه أحرى
الشمس تحيى بالضيا ... ءلحاظنا فنغض قسرًا
كن فى المَلاحة والصبا ... لقلوبنا فخًّا ووكرا
واغنم بحسنك حبنا ... واقنع بهذا الحب أجرا

***

لسان الجمال(*)

يا من إلى البعد يدعونى ويهجرنى ... أسكتْ لسانًا إلى لقياك يدعونى
أسكتْ لسان جمال فيك أسمعهُ ... فى كل يوم بأن ألقاك يغرينى
أبالجمال تنادينى وتجذبنى ... وبالمقال تجافينى وتقصينى
هيهات لست بسال عنك مانطقت ... فيك المحاسن فانظر كيف تسلينى
أعصيك أعصيك لاً آلوك معصيةً ... ولست أعصى جمالا فيك يحيينى

***

متى ! (*)

متى تشرق الشمس التى قد رأيتها ... تغيب وراء الأفق فى مغرب الأمس
لقد طال عمر الليل حتى حسبتها ... توارت من الغرب المعصفر فى رمس

***

(*) مناجاة : الجزء الأول ٦١ (٤٨ فقرة ٦٣) .
(*) لسان الجمال : الجزء الأول .
(*) متى : الجزء الأول .

الحب الأول (*)

(... كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقاى الشاعران النابغان المازنى وعلى شوقى قصيدة ابن الرومى النونية التى يمدح بها أبا الصقر ويقول فى أولها :

أجنيتك الورد أغصان وكثبان
فيهن نوعان : تفاح ورمان
وفوق ذينك أعنـاب مهدّلة
سود لهن من الظلماء ألوان

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرها وقافيتها وقد فعلنا فنظم المازنى قصيدته فى مناجاة الهاجر ونظم شوقى قصيدة فى هذا المعنى ونظمت أنا هذه القصيدة فأهدتها روح ابن الرومى :

يهنيك يازهر أطيـارٌ وأفنان ... الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك ! لستَ بإنسان فتشبهنى ! ... إنى ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلى فى مواكبه ... وهكذا الدهر آن بعدها آن
تفتحت عنه أكمام السماء رضىً ... وزفهُ من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور[1] فى البستان باسمةٌ ... والأرض حالية والماء جذلان
الشمس تضحك ، والآفاق صافية ... جلواء ، والروض بالأثمار فينان[2]
وللنسيم خفوق فى جوانبه ... وللطيور ترانيم وألحان
فى كل روض قُرى للزهر يعمرها ... ياحبذا هى أبيات وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عَبَقٌ ... كما تراسل بالأسواق حبّان
الورد يحمر عجْبًا فى كمائمه ... والياسمين على الأغصان ميسان[3]
وللقرنفل أثواب ينوعها ... عن البِلَور صَناعُ الكف رقّان[4]

(*) الحب الأول : الجزء الأول .
(١) وشائع الثوب : طرائق نسجه .
(٢) فينان : مثمر .
(٣) ميسان : نائم من الوسن .
(٤) رقّان : مزركش - بكسر الكاف .

وللبنفسج أمساح ممسَّكة كأنه راهب فى الدير محزان
وحبذا زهر الليمون يسكرنا منهنَّ جام خلا من مثله الحان
والليل يحييه والأطيار هاجعة بلابل وشحارير وكروان[1]
مؤذن الطير يدعو فيه محتسبًا فيستجيب له بَرٌّ وغيان
والصبح فى حلل الأنوارطرَّزه فى الشرق والغرب أسحار وأصلان[2]
كأنما الأرض فى الفردوس سابحة يحدو خطاها من الأملاك ربان
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح فكل ما فى فضاء الله فرحان
إلا المحب الذى لاحبَّه دنس ولا مودته خِبٌّ وإدْهان[3]
نقاه عن عُرس الدنيا شواغلُه إن الحدا عن الأعراس شغلان

....

يامن يرانى غريقا فى محبته وجدًا ، ويسألنى هل أنت غصان ؟
واضيعةَ الحب أُبديه وأكتمهُ ومن عنيت به عن ذاك غفلان !
لى فى مديحك أشعارٌ أضنّ بها على امرئ فخره عرش وإيوان
على محياك من وشى الصبا روَع[4] وللمحبين أحداق وأعيان
ففيم تعذلهم إن راح ناظرهم بحسن وجهك يهذى وهو ولهان ؟
ما الحسن ذنبًا ، فما للحب تحسبهُ ذنبا من الناس لا يمحوه غفران ؟
هما شقيقان فارفق أن تحيلهما ضدّين بينهما نأىٌ وهجران
من علّم النا س أن الحب مأثمة حتى كأن ليس غير البغض إحسان
هبها جناية جان أنت آثمها ما كان يعصم لا إنس ولا جان
إن الجسوم مثنّاةٌ جوارحها إلا القلوب فصيغت وهى أُحدان
لكل قلب قرينٌ يستتمُّ به خَلقٌ وخُلقٌ فهل يرضيك نقصان ؟[5]
إن التعاطف بالأرواح بغيتنا وفى الوجوه على الأرواح عنوان
تمثالك الصخر أحظى منك أن نفرت عنك العيون ، ولم يشملك وجدان
إنا لمن معشر حب الجمال لهم حبٌّ لما كان فى الدنيا ومن كانوا[6]

---

(١) كروان : جمع كروان . (٢) أصلان : جمع أصيل .
(٣)إدهان : مكر وملق .
(٤) روع : ملاحة وجمال .
(٥) خلق لكل عضو قرين فى الجسم إلا القلب فإنه منفرد لا يكمل إلا بقلب آخر .
(٦) لا يعرف أن حب الجمال إنما هو بمثابة حب كل شيء إلا من لخص نفسه من تعريف الناس للحسن والقبح .

ليـأمنْ الطيـر أنا لا نكيـد له ... ولا يخفْ مكرنا وحش وعقبان

لو تسمع الورْق(1) نجوانا لكان لها ... منا غصون نضيرات وأحضان

أو كان يدرَى حيىّ نبت عفتنا ... لم تُغض منه بأيدينا أغيصان

أو ينظر السائم النابى طويتَنا ... لم تألف القفرَ آرامٌ وغزلان

ولا اتقى الحوتُ شراً حين يبصرنا ... إذا وقته شباكَ الإنس قيعان

ياليت أن لنا كهفاً نعوذ به ... إن راح يفزعها بغىٌ وعدوان

***

ماضرَّ من نال فى حين سعادته ... إن فاته فى طويل الدهر أحيان

إذا جنيت من الأيام زهرتها ... فاقنع ؛ فسائرها شوك وعيدان

ولا وربك ما بالنفس مقتنع ... أكان نجح لها أم كان حرمان

فإن روينا ، فبعض الرأى مظمأة ... وإن ظمئنا ، فما يرتاح ظمآن

أى الفريقين أحمى لهفةً ووجىً ... من ذاق أو لم يذق ؟ فالكل لهفان

ياليلة خُطمت أنوال حائكها ... فلا يحاك لها فى الدهر ثُنيان

العيشُ من قبلها شوق نعمت به ... والعيش من بعدها ذكر وتحنان

طالت ولا غرو فالجنات خالدةٌ ... وفى الوصال من الجنات ألوان

أصبحت والله لا أدرى لبهجتها ... أليلةٌ سلفت أم تلك أزمان

وكيف لا وهى شطرٌ حين أحسبها ... والعمر شطرٌ ، وفيها عنهُ رجحان

لقد شقانا الهوى خمراً معتّقة ... صبا بها قبلنا شيبٌ وشبان

هيهات لا تبلغ الصهباءُ نشوتَها ... ولو تناول منها البحرَ نشوان

فاض الهيام على قلبى ففاض به ... نبعٌ له من وراء الدمع شطآن(2)

وددت والدمع فى عينىّ محتجزٌ ... لو سال منه على خدىَّ غدران

أمسيت أرشف شهدا من مراشفه ... والسلسبيل بعلين غيران

والنيل تجرى له فى كل ناحية ... جداولٌ لؤلؤيات وثغبان

يقودنا حيث شاء الموج واطَّردت ... أمواهه ، فكأن الفلك وسنان

حتى تصرم جنح الليل وانبثقت ... من كل مطّلع للصبح عمدان

(1) الورق : أى الحمائم جمع ورقاء .

(2) شواطئ .

فما أفقنا وعين الصبح شارفة   وما هجدنا وغول الليل سهران
بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها   شموس أنس مضيئات وشهبان

. . . .

بقية لك أتلوها وأُنشدها   هذى القصائد لى فيهن سلوان
بقية من متاع الذكر قد صفحت   عنها السنون . فلى بالذكر قنعان
كأننى تاجر فى الشط مرتقبٌ   موج الخضمّ . وفلكى فيه غرقان
خذى بقاياك لو تسطيع تذهبها   كما ذهبت فيطويهن نسيان
لا يأمن الحبَّ صبٌّ لا يكون له   بالحب عن صلة المحبوب غنيان
ما كنت أجهل لما أن كلفت به   أنى سألقاه يوما وهو غضبان
من لى به مثل ما أرضاه فى ملأ   هاموا وهانوا فهم للوهم عبدان ؟
تفرق الناس أوطانًا وما افترقت   لهم على حسب الأفهام أوطان
بتنا نساكنهم دارا ونحسبهم   منا ، وشتان إنسان وإنسان
نشقى بأنفسنا فيهم فيسعدهم   هذا الشقاء ولا يجزيه شكران

* * *

يا أملح الناس هلاّ كنت أكبرهم   روحا فيتفقا ، روح وجثمان
صدّقتَ باطل ما قالوا كأنهمو   لا يكذبون ، أو آن العذل قرآن
أما علمت بأن الناس ألسنةٌ   سودٌ لها غير ما تبديه أبطان
أحرى مزاعمهم بالشك أسيرها   فالحق متئدٌ والإفك عجلان
وربَّ قولة زور قالها رجلٌ   منهم فطاف بها فى الأرض ركبان
تداولوها فراحت فى مذاهبهم   شريعةٌ نقضها كفرٌ وعصيان
ما كثرة المثبتين الأمرَ تثبته   ولا بقلتهم للحق إيهان
فإن ألف ضرير ليس يَعدلهم   بالمبصر الفرد يومَ الشك ميزان

. . . .

تكشّفتْ هذه الدنيا فأنكرها   حسى وأذهب فيها الحدْس إيقان
مازال يحرمنى دهرى ويوهمنى   حتى غدا وهو بالأوهان ضنان
إناَّ لنضحك لا صفوًا ولا لعبًا   وقد ينوح بغير الدمع أَسْوَآن(١)
أعيى العقول صلاحُ الخلق من قدم   وضاق عن هديهم ذرعٌ وإمكان

(١) أسوان : حزين من الأسى .

فعش كما شاءت الأقدار فى دعة   لايجرمنّك[1] بَرّ الناس أو خانوا
لعلهم فى طريق الصدق قد سلكوا   ونحن نحسب أن القوم قد مانوا
من عاش فى غفلة طاب البقاء له   وإن تولته بالأرزاء حدْثان
لم يدر من نام والأفلاك دائرة   أدار بالسعد أم بالنحس كيوان
فاطلب لنفسك منها مهربًا أمنًا   ودانِ من شئت فالأعداء خلاّن
والزم حياتك واعشقها فبينكما   فى شرعة الطبع ميثاق وإيمان
هى الوجود فصنه أن تجود به   على التراب ، فإن الحر صوان
. . . .
وانهض بها مرةً فى الدهر واحدة   ثم استرح أبدًا والحقْ بمن حانوا (٢)

* * *

كأس الموت (*)

إذا شيعونى يوم تُقضى منيتى   وقالوا أراح الله ذاك المعذّبا
فلا تحملونى صامتين إلى الثرى   فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فإن الموت كأسٌ شهيةَ   وما زال يحلو أن يُغَنّى ويُشربا
وما النعش إلا المهد مهد بنى الورى   فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا !
ولا تذكرونى بالبكاء وإنما   أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

* * *

(١) لا يجرمنك : لا يهمنك .
(٢) حانوا : ماتوا .
(٢) كأس الموت : الجزء الأول .

الحبيب الثالث (*)

(ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى ، وقد شبه أحدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم)

قِلاك من دفّاع نار الجحيم ... ووصلك الجنة دار النعيم
وريقك الكوثر لكنه ... كالمهل فى صدر المحب الكظيم
وخدّك الزقوم مرٌّ لمن ... تزويه عنه وهو حلو الشميم
وأنت تضنى كل جسم سليمْ ... وأنت تشفى من ضناه السقيم
وأنت دان نافر ، راحم ... قاس ، محب ، كاره ، لا تدوم
ويا نسيمًا شبماً [1] ربما ... أذكى كما أطفأ ذاك النسيم
ويا بريء الوجه فى ناظرى ... ويا أثيما فى الفؤاد الكليم
الحب لونان وما أن أرى ... حبا بلون واحد يستقيم
كن لى على النعمة عونا أكن ... عونا لقلبى فى العذاب الأليم

خير ما فيهن (*)

غفر الذنبَ من بكائى عليك ... أننى لا أعود ما عشتُ أبكى
لا ياوى – وقد تعلمت منك– ... نسلُ حوّائكنّ دمعةَ شك

خير ما فى النساء ساعة ضحك

إلى صديق (*)

أُخيٌّ وأعذب بها لفظةً ... تذكّرنى العهد عهد الصفاء
أهبْتَ بودى ولَّما يمتْ ... فأسمعت حياً بذاك النداء

(*) الحبيب الثالث : الجزء الأول .

(١) شبما : باردها .

(*) خير ما فيهن : وحى الأربعين .

(*) إلى صديق : الجزء الأول .

ولم ينسنى القصر [1] عهدا خلا ... وكيف وفى القصر معنى البقاء
وإن أنس شيئاً فإنى نسيـ ... ـت يا صاحبى أيّنا قد أساء
ولست بقال ولا ناكث ... ولكنْ كذلك شاء القضاء
وهذى القلوب بأيدى الزما ... ن يقلب أهواء كيف شاء
وقد يذهل المرء عن نفسه ... فكيف يلام على الأصدقاء ؟!

خواطر الأرق (*)

يا ليلُ لونك فى اللواحظ إثمد [2] ... إلا لدىّ فمن غبار يُرمِد
ها أنت بالرؤيا تضن لأنها ... سلوایَ ، حين تركتنى لا أرقد
دل الظلام على المدامع خاطرا ... أعيى عليه مع الصباح المورد
كم فى الدم المدعوّ بالإنسان من ... زعم يطيش وعارض يتردد
العقل شيخ والحياة فتِيَّة ... والعيش بينهما شقاق مجهد
والطبع يغرينا ولست بواجد ... كالطبع طفلا لا يفارقه الدّد [3]
أوّاه من عبث الحياة وسوء ما ... يجنى الزمان وشر ما يتوعد
لا أشتكيه فقد أمرّ فساغ لى ... ما لا يسوغ وسرنى ما يكمد
وجزعت حتى قيل جُن من الأسى ... وصبرت حتى قيل صخر جلمد
أُبدى التجلد والتجلد فى الأسى ... بعض الرياء ، وبعضه قد يحمد

. . . .

وخميلة يجنى الغداف قطافها ... وترود حوليها الصِّلال [4] الشرد
كرمتْ عناصرها وأينع يومها ... حسنا ، ويوشك أن يطيب لها غد
ظللتها بالنصح إلا أنها ... لم تلق من يرعى ومن يتعهد
باتت تجاذبها السّموم فتلتوى ... طوعاً ، ويدعوها النماء فتجمد
يا من أصون جماله وكأنه ... خصمٌ على تلك المحاسن يحقد
لا شىء أوجع لامرئ من أن يرى ... حملا يطيب مع الذئاب ويرغد

(*) إلى صديقى : الجزء الأول .

(1) إشارة إلى قصر ملا وهو طلل فى حديقة كنت أجلس فيها بأسوان وقد أشار إليه الصديق فقال :
أعباس يهنيك قصر به ... نسيت الوداد وعفت الإخاء

(*) خواطر الأرق : الجزء الأول .   (2) الأثمد : حجر الكحل .

(3) الدد : اللعب .   (4) الخميلة : هى الشجر الملتف . والصلال جمع صل : وهو الثعبان الخبيث .

أخشى عليك من البعيد وأنت لا ... تخشى من الدانى الذى لا يبعد
وأحوط حسنك بالتمائم والرُّقى ... وتظل تنثر عقدها وتبدد
وتبيت ريان الجفون من الكرى ... والنار حولك والدخان الأسود
لم تتبع نصحى وملت مع الهوى ... جهلا ، وغرَّك أن غصنك أملد
والغصن تسقط - إذ يميل - ثماره ... ويزلّ عنه الزهر إذ يتأود
إن كنت تحميك الطراءة والصبا ... شرٌّ التقصف فالتجرد أنكد
أولى بوجهك أن يضنيك حسنه ... من أن يحفك منه غيم أربد[1]
هذى يمينى فى يمينك فاعتصم ... أولا فأرسلها فما لك منجد
لو كنت نوحا لم تفدك سفينتى ... إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا
فاستبقِ ودك للذين عرفتهم ... إنى لغير الطهر لا أتودّد
ما كنتَ أول نعمة ودعتُها ... كلا ، ولست مع المودة تخلد
ماذا على الدنيا لو أن مغرراً ... منها يميل به الغواة فيفسد
لولا المشوب لما يمخض خالص ... منها ، ولو لم يعتدوا لم يهتدوا
ما كنتُ يوما بالأنام موكلا ... فأعدّ منهم من يضل ويرشد
إنى اتخذتك للصيانة قنية ... فعلمت أنك بهرج لا عسجد
فالآن ألقى فى التراب بحلية ... كانت أحب ذخيرة تُتقلد

إليك (*)
إهداء الديوان الثانى

إليك إهداءُ أطرابى وأشجانى ... لوكنتَ تعلم إسرارى وإعلانى
شعر لحسنك فيه كلُّ قافية ... وما تضمَّن إلا بعضَ وجدانى
يُهدَى إليك ولم تفطنْ لدعوته ... كأنما هو قربانٌ لأوثان
ولو صمدتُ بتسبيحى إلى وثن ... إذن لأثلج صدرى صدقُ إيمانى
وخفف النار : نار الوجد عن كبدى ، ... علمى بأنك لم تجهل بقربانى
لكنْ جهلتَ مناجاتى فواجذلى ... لو فزتُ منك ، على علم ، بحرمان
يا من هو الناسُ فى عينى وإن كثروا ... إنى أخص بشعرى كلَّ إنسان
أُهدى إلى الناس ما أعنيك أنت به ... فاقبل ، فإنك بعض الناس ، ديوانى

(١) الأربد : اللون الكدر المتغير .

(*) إليك : الجزء الثانى .

الدنيا الميتة (*)

أحبك حب الشمس فهى مضيئة ... وأنت مضىء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر ... وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبى للحياة فإنها ... شعور ، وكم فى القرب منك شعور
فهل فى ابتغائى الشمس والزهر سُبَّة ... وهل فى ولوعى بالحياة نكير

. . . .

فدع ما يقول الناس واعلم بأننا ... على غير ما سار الأنام نسير
لنا عالم طلقٌ وللناس عالم ... رهينٌ بأغلال الظنون أسير
ووا أسفا ! ما نت إلا نظيرهم ... وإن لم يكن للحسن فيك نظير
ويا عجبا منا نسائل أنفسنا ... إذا سئلت حارت وليس تحير (1)
أنشقى بدنيانا لأن منعَّما ... من الناس بسَّام الثُّغير غرير
أيذوَى الصبا فينا لأنك ناشئ ... ربيع الصبا فى وجنتيه غضير
أتعشى مآقينا لأنك أحور ... بعينيه من ومض الملاحة نور
ألا نتملى الحسن والحسنُ جمةٌ ... مطالعه إلا وأنت سمير
فيا ضيعة الدنيا إذا لم يكن بها ... غنىً عنك للمحزون حين يثور
ويا ضيعةَ النفس التى لا يجيرها ... من البث والشكوى سواك مجير
إذا الشمس غابت لا نبالى غيابها ... وإن غبت آض العيش وهو كدور
وليتك مثل الشمس ما فيك مطمع ... فيهدأ قلب بالضلوع نَفور
قريتَ ، ولم يخطئ عطاش تلهفوا ... على جدول فى السمع منه خرير
وسرتَ على الأرض التى أنا سائر ... عليها ، ولم تُضرب عليك ستور
فلو لم تُولّ شطرك لامنا ... على الجهل كون بالجمال فخور
لديك مقاليد السرور وديعة ... وما لمحب فى سواك سرور
فإن تأذن الدنيا أباحت شوارها (2) ... وغنت عصافير وفاح عبير
وإلا فما فى الأرض حظ لناظر ... ولا النجم فى عُليا السماء يدور

(*) الدنيا الميتة : الجزء الثانى ١٦٧ (٤٣ فقرة ١٢٩) .
(١) تحير جوابا : أى ترد .
(٢) شوار العروس : جهازها .

بعـــد عام (*)

كــاد يمضى العــام يا حلو التــثنى   أو تــولّــى
مــا اقــتــربنا منك إلا بالتــمنى   لــيـس إلا !

* * *

مــذ عــرفناك عــرفنا كل حــسنٍ   وعـــذابِ
لهب فى القلب ، فــردوس لعــينى   فى اقــترابى

* * *

غــيـــر أنا لا نرى الفــردوس إلا   رسمَ راسمْ
وشــربنا من جــحيم الحب مُــهلا   شــرب هائم

* * *

لا تـلمـنى أنّ قلبى خـــاننى   أو عـشـقـتُكْ
لــم يـكــن مــنّــىَ إلا أنــنــى   قـــد رأيتكْ

* * *

كــان فى الدنيــا جــمــال لا يُعَــد   ثم لُحــتــا
فــعــددنا الحــسن طرًا فــهــو فــرد   وهو أنتــا

* * *

كأسى على ذكرى (*)

. . . .

هاتهــا واذكــر حــبيب النــ   ــفس يا خــيـــر ثقـــاتى
ودع التلمــيح واجــهــر   باســمـــه دون تقـــاة (1)
أترى نُحـــرم حـــتى   ذكـــره فى الخلوات ؟
صــفــه لى صـفــه ومــا كــا   ن بمجــهــول الصــفــات

(*) بعد عام : الجزء الأثانى . ١٤١ (٨ فقرة ٢٩) .
(*) كأس على ذكرى : الجزء الثانى . ١٤٤ (١٢ فقرة ١١٩) .
(1) تقاة : مبالاة .

غيـر أني أمـتع السـمـ ـع بحظ الحـدقـات
صفـه في عـيني ومما تعـ ـدو به وصف الأضـاة[1]
صفـه في قلبي لو اسطعـ ـت ، وترجم زفـراتي
أتـرى ألـبـق منـه باصطيـاد المُهـجـات
أتـرى أمـلح مـن خـطـ ـرته بين الخـطـرات
أترى أصـبح من خـد يـه بـين الـوجـنـات
أترى أعـدل من قـا مـتـه في الصـعـدات [2]
ذهبيّ الشـعـر ساجي الطـ ـرف حلو اللفـتـات
وحـيـيّ لا يحـيـ ـك بغـيـر البـسـمـات
جـاهل بالحب أشكو ه ولا يـدري شـكـاتي
وغـرير القـلب لا يفـ ـهم مـعنى نظـراتي
ودَّ لو يسـأل مـالي مـسـتـهَلّ العـبـرات
وإذا قلت «شـجـاني من أفـديّه بذاتي
ليس ينجـيني وفي كـفـ ـيه لو شـاء نجـاتي»
قـال مـا أقـسـاه من جـا ن غليظ القلب عـات !

. . . .

صـفـه ! بل أمسك فـقـد ها جت عليـه حُـرُقـاتي
جـمح الوجـد بأشـجـا ني وضـاقت أزَمـاتي
هاتهـا صـرفًـا وأغـرق في طلاها حـسـراتي
عـوضـاً عـمـا يؤاتي مـن هـوى أو لا يـؤاتي

الصبابة المنشورة (*)

صبابةَ قلبي ! أقبل الليل غاضياً [3] فـهُبي ! فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقـد تهـجـر الموتى القـبـورَ أمـينةً إذا الليل غـشّى بالرقـاد المآقـيـا

---

(1) الأضاة : المرآة .
(2) الصعدات : جمع صعدة وهي قناة الرمح .
(*) الصبابة المنشورة : الجزء الثاني .
(3) غاضيا : مظلما .

وثوبى إلى الدنيا مع النوم فانظرى ... مكانك قد أنوى وعرشك خاويا (١)
ومُرّى به مرّ الغريب وطالما ... تربعتِ فيه قبل ذاك لياليا
ولا تسألى من بالديار ؟ فأنها ... على موثقٍ ألا تجيب مناديا

* * *

بدا شبح عار من اللحم عظمُه ... يجاذب أضلاعاً عليه حوانيا
يقارب فى قيد المنية خطوه ... ويمشى به ليلاً مع الليل ثانيا
وقال سلام ! قلت فاسلم وإن يكن ... دعائى لميْت بالسلامة واهيا
مَن الطارق السارى ؟؟ فقال صبابة ... نعمتَ بها حينا وما أنت ناسيا
فقلت أرى جسمًا عرى من روائه ... وعهدى به من قبلُ أزهر كاسيا
جهلتك لولا مسحة فيك غالبت ... بشاشتُها أيدى المنون المواحيا
جهلتك لولا هزّة فى جوانحى ... يدَ الدهر (٢) لا تُبقى من الشك باقيا
ألا شدّ ما جار البلى يا صبابتى ... عليك . فكيف استلّ تلك المعانيا
أأنت التى أسهرتنى الليل راضيًا ... وأنت التى أسكرت عينىّ صاحيا ؟؟
وأنت التى كنا إذا الناس كلهم ... تولوا ، وجدنا مغنما فيك وافيا
وأنت التى جلّيت لى الأرض جلوة ... أسائل عنها الأرض وهى كما هيا
أسائل عنها كل شىء رأيته ... أما كنتَ فينان (٣) المحاسن شاديا
نفخت بها روحاً فغرد صامت ... ورنّم جلمود ، وأصغيتُ لاهيا
فلما ألمّ البين لاذت بصمتها ... وأمسيتُ حتى يأذن الله صاغيا
وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة (٤) ... ولو كان فيه معبد (٥) القوم ثاويا

* * *

نعم أنت لولا ساتر من منية ... وحسبك ستراً بالمنية ساجياً
وأن امرءًا ماتت خوالج نفسه ... فليت لقد جمع الشرين حيّا وفانيا
حياة لها حد ولا حدّ للردى ... فليت المنايا والحياة تواليا
كما تتوالى يقظة العيش والكرى ... وتعب أنوار الصباح الدياجيا

---

(١) خاويا : تخرب .
(٢) أى إلى آخر الدهر .
(٣) فينان : مزهر .
(٤) نأمة : صوتا خفيا .
(٥) معبد : إمام المغنين فى صدر الدولة الأموية .

إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا   إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا [1]

* * *

الهين الصعب (*)

. . . .

أكبرتُ قدرك حتى لست أدركه   وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا

فإن تباعدت عنى وادّنيتَ لهم   فما توانيتُ فى خطوى ولا دأبوا

يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم   فلا يملك عنا الصد والعجب

أو ليت مثلك يدرى ما نهيم به   فلا تُعز علينا بعضَ ما نهب

نضرة فى الشتاء (*)

يا نضرة فى الشتاء أبصرها   أبهج من كل منظر نَضِر

كأنها والعيون تنهبها   والنفس تَرْوَى بحسنها العطر

ألف ربيع للعين مُدخَّر   بل ألف حب للقلب مختصر

يا طيب ذاك الأكسير مجتمعاً   من حُسْن شتى الرياض والغرر

أضمه كله وأرشفه   فى قبلةٍ كوثرية السَّكَر

* * *

إلى الغرق (*)

دعتك العرائس فى بحرها   ففيم الوقوف على الساحل ؟

إلى الماء ! لا بل إلى السابحـ   ـين ، لا بل إلى الغرق العاجل

فليس على البحر إلا غر   يقٌ ، وإن لم يكن فيه بالنازل !

سواحره احتشدت كلها   علينا ، فيا ويح للغافل

* * *

(١) دواليا : بالتداول .

(*) الهين الصعب : الجزء الثانى .

(*) نضرة الشتاء : وحى الأربعين .

(*) إلى الغرق : وحى الأربعين .

مــائــدة (*)

مـــائدةٌ أســـرف فى طهـــيـــهـــا عـشـرين عـامـا ، عـبـقـرىُّ الزمـانْ
أكـــرمنا الطاهى بهـــا ســاعـــةً فـكيف بالمكرم يلقى الهــــوان
حـــسنٌ وأنسٌ وحـــيـــاءٌ مـــعـــاً وطلعــــة البــــدر ونفح الجنان
مـــدتْ لنا طوعـــا فـــمـــا عـــذرنا إذا تركنا لـقـــمـــةً فـى الخـــوان [1]

* * *

لغـــير البيع (*)

جــواهر الحب قـالوا : غـيـر زائفـة مـــهـــلا ! فـمـــا أنا فـيـه بائع شــار
كــــــلا ، ولا أنا مـن شـكٍ ولا ولع بالسـرِّ عـارضٌ أحـجـارى على النار
خذ معدن الحب أن ألفيت معدنه .. إنّى قـنعت بومضٍ منه غـــــرار
مـــا للأناسىّ من حب يدوم ، ولا حب يقـــوم على صـــدق وإيثـــار

* * *

ليلة البــدر (*)

هاتِ لى الذكرى وجدد ما مضى ، عندك الذكــرى ورُجــعــاها مــعـــاً
هاتِ مـا كـان كـمـا كـان انقـضى ، أو فـــجـــددْ غـــيـــره مـــبـــتـــدعـــا
ليلة البـــدر ، وقـــد كـــان الرضى مـــوعـــدَ الأهرام نبـــغى مطلعـــا
فـــقـــضى اللّه ســـواه غـــرضـــا

* * *

(*) مائدة : وحى الأربعين .
(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .
(*) لغير البيع : أعاصير مغرب .
(*) ليلة البدر : وحى الأربعين .

قـــد نوينا ونوى الغـــيبُ لنا نيّـــةً أمـتعَ للمســتــمتع
خُـسف البــدر وأمــسـيت أنا ادّعـى مـن نشــوة مـــا أدعى
كلمـــا ناديتنى هيّـــا بنا ! قلت : هيـــا ! وأنا فى مـوضـعى
السنى عندى فـمـالى والسنى

* * *

خُسف البـدر ومـا كـان الخسوفْ شـيـمـة البــدر الذى بينَ يدىّ
نشــر الناس وطافـوا بالدفـوف وأنا والبـــدر فى نشـــر وَطىّ
خلٌّ من شـاء كـمـا شـاء يطوف إن بــدرى طـالـع مـنـه إلىّ
لا أحب البـــدر ترعـــاه الألوف

* * *

يا سـمـيـر الليل يا نعم السـمـيـر مـــا لنا والصـبح مـا دمت أراك
أنا فى نور وروض وعـبـيـــرْ حـينمـا ألقـاك لا ألقى سـواك
رشـفـةٌ من ثغـرك العـذب النضـيـر أو من الكأس احـتـوتهـا شـفـتـاك
وســلامٌ أيهـــا الكون المنيـــر

* * *

هاتِ لى من فـيك أنفـاس الغـرامْ أو فـقل إن شـئتَ أنفـاس الحـيـاة
واسـقنى الخـمـرة من أعـذب جـامْ لا من البلوّر فى أيدى الســقـــاة
ثغــرك الضــاحك كــأسٌ ومُـــدَامْ ونـــديمٌ لـــى ، وراو فـــى الـــرواة
ينشـد الشـعـر فـيـشـجـينى الكلام

* * *

ينشـد الشـعـر جـديداً كـالصِّـبـا وأنـا نـاظـمـــــه مـنـذ سـنـين
بث فـيــه من صـبـاه عـجـبـا فـــإذا قلـتَ ارتجـــالٌ لا تمـين
هات لى الحـــسن وهات الأدبا واسـقنى الخـمـر من الثـغـر المبين
ذاك حـسـبى فى زمـانى مطلبـا !

* * *

إعفــاء (*)

أعــــفـــيك من حليـــة الوفـــاءْ إنــك أحـلـى مــن الـوفــــــــاء !
خـونى . فـمــا أســهل التـقـصّى عـندى ومـــــا أســـــهل الجـــزاء
وليس بالســـهل فى حــــــابى فــــقــــدك يا زينة النســـــاء !

* * *

الحــب الضاحــك (*)

فرغتُ من الحب الذى يُعقب الشكوى فحبى من النُعمى وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حـــجــــةً فـلا نار بعـد اليـوم . . اليـوم للحلوى

* * *

لو كان إلها (*)

(قال الشاعر الفرنسى «دوجيرل» لحبيبته : «لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار ، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدىْ قدرتى وقضائى ، ولأعطيتك الهيولى وما فى أحشائها من رحم خصيب . بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين -إبتغاء قبلة واحدة» .
وسئل صاحب هذا الديوان : «وماذا تعطينى أنت لو كنت إلها» فقال :

أعطيك ؟! كيف وما العطاء بخير ما تبــدى القلوب من الغــرام الصــادق
بل لو غدوتُ كما اشتهيت وأشتهى ربا ً ، أخــــذتك أنت أخـــذ الواثق
فـتــرين أنك حين فـزت بحظوتى أحلى وأجمل من جـمـيع خـلائقى
وتسيطرين على الصروف ، وفوقَها نبـضـاتُ قلبى المسـتـهـام الوامق
إن كــــان رب الكون عندك قلبـــه أهـونْ لـديـك بـأنجـم وصـــــــواعـق
وبكل شـمس فى السـمــاء وضـيـئـة وبكل بحـــر فى البـــسيطة دافق

(*) إعفاء : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) الحب الضاحك : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) لو كان إلها : وحى الأربعين .

مـــاذا عــليه (*)

مـــاذا علـيـــه إذا اســـتـــوى وإذا الـتـــوى ، مـــاذا عليـــه ؟
هـذا الـقـــــوام جـــــمـــــالـهُ مـهـمـــا تعـسّف ، فى يديه !
أنّــى تمـايـل عـطـفـــــــــه مـــالت جـــوانحنا إليـــــه
أشـــتـــاق بعض نفـــاره شـغـفـاً برؤية صـفـحـتـيـه

* * *

ملتقى الربيع (*)

هـات الـربـيـع الـغـضّ لـى كـلّـه فى روضـة ، بل طلعـة ، بل شـفـهْ
إن فــــاتنى جـــمع أزاهيـــره فى قطفـة ، فـالرأى أن أرشـفـه

* * *

نبضات جديدة (*)

خــفــقـــاتٌ تلك من وزن جــديدْ أيهـا القلب ! فـأسـمـعنى صـداك
ذلك الوجـه ، ومـا العـهـد بعـيـد ! أنـت تهـــواه ، فـــلا تنكر هواك

* * *

أنـت تهـــواه وتـســـعـى بى هـنـا كـلّ يـوم بـعـــــد يـوم كـى تـراه
لا تـراوغـنـى وقـلْ هـيَّـــــا بـنـا فى صـريح الـقـول ، نسـتـجلى سناه

* * *

(*) ماذا عليه : وحى الأربعين .
(*) ملتقى الربيع : وحى الأربعين .
(*) نبضات جديدة : وحى الأربعين .

نحسب الرقة فيه ألمًا فإذا أنت من الوجد تذوبْ
لا يكون الحب إلا هكذا أنا لا أجهل أسرار القلوب

* * *

كاصفرار الشمس فى ثوب الغروبْ واصفرار العاج فى ثوب القدمْ
ذلك اللونُ نسمّيه الشحوب وهو فى الحسن شفيع للسّقم

* * *

رحمةً للقلب من ذاك الوُجيهْ صيغ ذوبَىْ حنان وحنينْ
كلما رفرفت بالعين عليه شبَّهَ الفرحان عندى بالحزين

* * *

إن أشأ قلتُ خيالٌ فى الكرى أو أشأ قلت عيان لا خيال
جُمع الأمران لى فيما أرى حين صحَّ الحُلم فى خير مثال

* * *

جمال يتجدد (*)

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ قلتُ : حقّاً . وزاد عندى جمالا
عجباً لى بل العجيبة عندى صور الكون كم يسعن كمالا
خلتُنى قد وعيتهن عياناً وتتبعت من وَعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئَ كتْبٍ قرأ الكتب دارساً ، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدىً صوراً ما طرقنَ عندىَ بالا
بعداد الأنوار فى أعين الحب نعد الأكوان والأجيالا

اليوم الموعود (*)

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى شوقى إليك ، وما أشاق لمغنم ؟
شوقى إليك يكاد يجذب لى غدًا من وكره ، ويكاد يطفر من دمى

(*) جمال يتجدد : هدية الكروان .
(*) اليوم الموعود : هدية الكروان .

أسرعْ بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها ... وتخطّها قبل الأوان المبرم
ما ضرّ دهرك إن تقدم واحد ... يا يوم من جيش لديه عرمرم

. . . .

يا يوم موعدها ستبلغنى المنى ... وتُتم لى الفردوس خير مُتَمّم
لا غصن رابية تقصّر راحتى ... عنه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى ... حتى أثوب على قدومك ، فاقدم؟
فأبيتُ ثم إذا احتوانى أفقها ... لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرحى بصبحك حين تشرق شمسه ... فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

الحب المثال (*)

كأنى مثّال وحسنك تمثالى ... عجائبُ حب ما خطرن على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده ... من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالى
وأحلام قلب تسرى كأنها ... خوالق أيدى الفن فى الذهب الغالى
تجول بأشكالٍ الخيال وتنثنى ... وقد أسعدت منك العيان بأشكال
إذا ما تمثّت فيك معنىً لمستُها ... محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحتْ عينى فأنت مجيبها ... فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى ... غنىٌّ على وفر من الوقت والمال (1)
فما فيك من نقص ولكنما الهوى ... نوازعُ شتى لا تقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعى ... لكل حبيب فى الصبا ألف سربال
وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دميةٍ ... لها زينتاها من حياة وإقبال

(*) الحب المثال : هدية الكروان .

(1) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجة به إليها ، وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

الثوب الأزرق (*)

الأزرق الســـاحـــر بالصـــفـــاء
تجـــربةٌ فى البـــحـــر والســـمـــا
جـــرّبهـــا «مــفــصّل» الأشــيـــاء
لتلبــســيـــه بعــــدُ فى الأزياء
مـــجـــوّد الاتـقـــان والـرواء
مـــا ازدان بـالأنجم والضــــيـــاء
ولا بمـحض الـزّبَـد الـوضّـــــاء
زيّنتـــــه بالطلعـــــة الغـــراء
ونضـــرة الخـــدين والســـمـــاء
ولمعـــة العـــينين فى اســـتـحـــيـــاء
إن فـــاتنى تقـــبـــيله فى الماء
وفى جـــمـــال القـــبـــة الزرقـــاء
فلى من الأزرق ذى البـــهـــاء
يخطر فـــيـــه زينة الأحـــيـــاء
مـــقـــبّلٌ مـــبـــتـــسم الأضـــواء
مـــردّد الأنغـــام والأصـــداء
وقـــبـــلةٌ منه على رضـــاء
غنىٌّ عن الأجـــواء والأرجـــاء
وعن شـــآبيب من الدأمـــاءِ (1)
وعنك يا دنيـــا بلا اســـتـــثناء

(*) الثوب الأزرق : هدية الكروان .

(1) الشآبيب أول ما يظهر من الحسن . وشدة اندفاع كل شيء والدأماء البحر .

ضياء على ضياء (*)

على وجنتيه ضياء القمرْ   نظيران يستبقان النظر
جمعتما أنا فى لثمة   أو البدر قبَّله فابتدر ؟
فما زال يلحظه جهرةً   ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلةً من أخ   ففيم إذن قطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ   ـب ولو شئت كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ   من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره   وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى   وسُرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا   ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا   ة ، وأنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا   وباسمك يعذرها من عذر

* * *

دنيا مقلوبة (*)

صوت النذير [1] الذى أبقاك خائفةً   على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً   إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحبُّ والحربُ واويْلا قد اجتمعا   فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

(*) ضياء على ضياء : هدية الكروان .

(*) دنيا مقلوبة : أعاصير مغرب .

(1) النذير بالغارات .

ساعى البريد (*)

هل ثم من جــديد　　يا ســاعى البــريد

* * *

لو لم يكن خطابى　　فـى ذلـك الـوطـاب
لـم تـطـوِ كـلَّ بـاب　　يا ســاعى البــريد

* * *

مـا ذلك التنسـيق　　والجـمع والتـفـريق
والقـفـز والتـعـويق　　يا ساعى البـريد ؟!

* * *

كـسـوتُك الصـفـراء　　والخطوة العـرجـاء
يمشى بهـا الرجـاء　　يا مــحنة الجليــد

* * *

لو لم تكن جـمـالا　　فى مِشية العجالى
صغنا لك التمـثالا　　من جــوهر فـــريد

* * *

لا أحسب الساعات　　فى حــاضــر وآت
إلا على الميـقـات :　　مـيـقـاتك الوئيـد

* * *

(*) ساعى البريد : هدية الكروان .

في شرفتى أبتكر غـيـرك لا أنتظر
وإن سعى لى القمر يا ساعى البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتنى ميتها
لقيتها ! لقيتها يا ساعى البريد

* * *

جددتَ لى انتظارى وقلة اصطبارى
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

* * *

أكرم به من ثمر منتظرٍ مدّخر
فى كل يوم مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفاً بالدور كالقدر المقدور
بالخير والثبور فى ساعة البريد

* * *

فى لمحة تنتشر منك المنى والعبر
وأنت ماض تعبر كالكوكب البعيد

* * *

كن أبًا مريدى بالخبر السعيد
وبابتسام العيد يا ساعى البريد

* * *

عجب الساعى (*)

عـجب «السـاعى» الذى كنتُ له أبداً فى شـــرفـــتى منتظرا
إنَّ من تُحـضـر لى أخـبـاره أيهـا السـاعى بخـيـر . حـضـرا
ألق إن شـئت وطاباً حـافـلاً لا أبالى لحظةً إن صـفـرا
الـطريق الآن لا أرقـبـه لأرى وجـهـك . ولكن لأرى . . .
ولك الشكر ، ولى العـذر ، فـلا تظهـر الآن . فـهـا قـد ظهـرا
لا تذكِّـرْنى نواه بعـد مـا كنت تروى عنه ذكـرًا عطرا

* * *

تسلّم (*)

تـسـلّمْ هـذه الـدنـيـا كـمـا خلّفـتـهـا عندى
وحـاسـبْـهـا على قـربٍ بما تجنى على البـعـد

* * *

تـسـلـم هـذه الـشـمـ ـس التى تؤنس أو تهـدى
لقـد كـانت هداها اللـ ـه مكسـالا من المهـد
تجـوب الأفق فى جـهـد ومـا تسـرع بالجـهـد
وكـانت تحـجـب الأنو ار أو تُبـدى فـلا تجـدى
وكـانت شـعلة حـرَّى من اللوعـة والوجـد

* * *

(*) عجب الساعى : هدية الكروان .
(*) تسلم : هدية الكروان .

تسلّم هذه الأطيـــــا ر واســألهــا عن العــهــد
تُغنِّى الآن فــاســألهــا أغنَّت قط لى وحــدى ؟
وإن غنَّت فـــهل كـــا ن ســوى نوح لهـا مُـعْـد
وإن أعــدَتْ فــهل تُعـدى بغـيـر الشـجـو والسـهـد ؟
نعم سلهــا جـــزاها اللـ ـه : أين تحــيــة الورد
وأين تحـــيـــة الإلف وأين تحــيــة الفـــرد
لقــد كــانت لحـاها اللـ ـه تطويهــا على عــمــد
فـسلهــا فــيم تطويهــا وفـــيم تضن أو تســدى

* * *

تــســلَّم أنجم الــلــيــل بلا عـــدٍ ولا حــــد
تسلمــهــا وكــاشــفـهــا بما تخـــفى ومــا تبـــدى
وسلهــا كـــيف ضلَّتنى ومــا ضلت عن القــصــد
وفـــيم تغــامــزٌ منهــا إذا حــيَّـرنى قــيــدى
نعم قــيــدى الذى فى النـ ـفس لافى صـفـحـة الجلد
أهزلا تـهـــمس الأنجـ ـم أم تهــمس عن جــد ؟!

* * *

تسلم زهـرك المحـبــو ب فى السـهل وفى النجـد
تراه ضــاحـك العـين تـراه ناضــر الخـــد
فــسله مــا عــراه أمـ ـس حــتى لاذ بالرشــد
فـــلا يلهـــو ولا يُوصى بغـــيـــر الهـم والزهـد
فــمـــا عن لومــه فى ذا ك يا مـــولاه من بـد !

* * *

تـسـلـم هـذه الـدنيـــا كــمــا خلَّفــتـهــا عندى
بحــمــد الله تلقـــاها كــمــا تلقــاك بالحــمــد
فـخـذها راضـيــا عنهــا وعـــنـــى وعـــن الـــود

وعلمـــهـــا إذا مـــا عـــدت   لا عــــدتَ إلى البـــعـــد
أمـــاناً فى مـــغـــيب منـــ   ـــك أو فى مـحـضَـر رغـد
فـــمـــا تـسـمع لى قـــولاً   إذا ناجـيـتـهـا وحـــدى !

* * *

ثـرثـارة (*)

أراك ثرثارة فى غـــيـــر ســـابقـــة   فـهـات مـا شـئـت قـالاً منك أو قِـيـلا
مـــا أحـسن اللغـــو من ثغـر نقـبلهً   إن زاد لغـــواً لما زدناه تقـــبـــيـــلا

* * *

زمـن محـل (*)

أمـــحـل الـدهـر واطَّردْ   لا خـــمـــيسٌ ولا أحـــد
لا انـتـظـار لمـوعـــد   أو هيــــامٌ بمـن وعـــد
كـل أيـامـنـا تـســـاً   ويـن فـى الـوسم والـعــدد
صــبــحــهـا مـثل لـيلهـا   والـتـقـى أمـسـهـا بـغـد
تنقص العـــمـــر كلهـــا   وبهـــا العـــمـــر لم يُزد (١)
لـم تزد مـــاضـــيـــا وقـــد   نقـــصـت مـــقـــبل الأمـــد

* * *

(*) ثرثارة : هدية الكروان .

(*) زمن محل : هدية الكروان .

(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد فى ثروة الماضى . أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماض أو حاضر .

إساءة مشكورة (*)

إليك منى الشكر حتى على | إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتنى منك فأنجيتنى | من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق | تَعرَّضَ العتب له فاصطبر
ما ذاكر اللجة رياً له | كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامِئ ترياقها | أن ينظر الغصة فيما انتظر

* * *

صنوف حب (*)

عرفت من الحب أشكاله | وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحبّ المصور تمثاله | عرفتُ ! وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القداسة لم أعدُه | وحب التصوُّف لم يعدُني
وفى كل حب ورَى زنده | سماتٌ من المؤمن الديِّن

* * *

. . . . | . . . .

وحب التى علمتنى الهوى | وحب التى أنا علمتها
ومن أستمد لديها القُوى | ومن بالقُوَى أنا أمددتها

* * *

(*) إساءة مشكورة : هدية الكروان .

(*) صنوف حب : هدية الكروان .

. . . .

صنوف من الحب لا تلتـــــقى وفـيك التـقى لبُّـهـا المحتـوى
فلولا هدى نورها الأســــبق لما كنتُ كـفـؤاً لهـذا الهـوى

* * *

هذا هو الحب (*)

غـريرٌ تسـأل : مـا الحب ؟
بنيـــتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أن أُبصـــر مـــا لا يُرى أو أغـمض العين فـلا أبصـرا
وأن أسـبغ الحق مـا سـرّنى فـإن أبى ، فـالكذب المفـترى

* * *

الحب أن أسـأل : مـا بالهم لم يعـشـقـوا المنظر والمخـبـرا ؟
ويسـأل الخـالون مـا باله هام بهـا بُهـرًا ومـا فكّرا ؟

* * *

الحب أن أفـرق [1] من نملة حـينا وقـد أصـرع ليث الشـرى
وأن أرانى تارةً مـقـبـلا وخطوتى تمشى بى القـهـقـرى

* * *

الحب كـالخـمـر فـإن قـيل لى سـكـرت ؟ هم القـلـب أن ينـكـرا
وكل عـضـو بعـده قـائل نـعـم . ولا أحـفـل أن أسـكـرا

* * *

(*) هذا هو الحب : أعاصير مغرب .

(١) أفرق : أخاف .

الحب أن يفرق أعمارنا   عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحسبني الأكبر حتى إذا   عانقتني ألفيتني الأصغرا

* * *

الحب أن نصعد فوق الذرى   والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا   وأن نرى آلامنا آثرا

* * *

الحب أن أجمع في لحظة   جهنم الحمراء والكوثرا
وإنني أخطئ في لهفتي   من منهما روّى ومن سعّرا

* * *

الحب أن يمضي عام وما   هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علّقت في ساعة   حواشي الدفتر والأسطرا

* * *

بنيّتي ، هذا هو الحبُّ
فهمته ؟ كلا . ولا عتب !
مسألةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها . لو شفت حسب ،
إشارة دقّ لها القلب

* * *

الحب (*)

ما الحب روح واحدٌ   في جَسدىْ معتنقين

(*) الحب : أعاصير مغرب .

الحب روحان معاً   كلاهما فى الجسدين
ما انتهيا من فرقة   أو رجعة طرفةَ عين

* * *

الصدار الذى نسجته (*)

هنا مكان صدارك   هنا ! هنا ! فى جوارك

* * *

هنا ، هنا ، عند قلبى   يكاد يلمس حبى
وفيه منك دليل   على المودة حسبى

* * *

ألم أنل منك فكرة   فى كل شكّة إبرةْ
وكل عقدة خيطٍ   وكل جرة بَكرة !

* * *

هنا مكان صدارك   هنا ، هنا ، فى جوارك
والقلب فيه أسيرٌ   مطوق بحصارك !

* * *

هذا الصدار رقيبٌ   على الفؤاد قريبُ
سليه : هل مر منه   إلىّ طيف غريب ؟

* * *

نسجته بيديك   على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى   ما زلت فى إصبعيك

* * *

(*) الصدار الذى نسجته : أعاصير مغرب .

ليلة الوداع (*)

أبُعــــدًا نُرَجّى أم نرجى تلاقــيــا ... كـلا البـعـدِ والقـربَى يهـيجُ مـابيـا
إذا أنا أحــمــدتُ اللقــاءَ فــإننى ... لأحـمَـدُ حـينا للفـرَاقِ (النعم)
ألا من لنا فى كلِ يوم بفــرقــة ... تُجـددُ ليـلاتِ الوَداعِ كـمـا هيـا
ليــالٍ يبــيح الذّل فــيَــهــا زمــاهً ... ويُرخص فيـها الشـوقُ ما كان غـاليا

* * *

ويـاليـلتـى لما أنستُ بقــــربه ... وقـد مـلأ البـدرُ المنيـرُ الأعـاليـا
تَطلُّعَ لا يَثْنِى عن البــدر طرفــه ، ... فـقلت حيـاء مـا أرى أم تغـاضيـا
بـنــا أنــت مـن بـدر وددت لـو أنـه ... على الأفق يبـدو أينمـا كـان ثاويا
غــدا تنظر البــدر المضــوّئَ . فــوقنا ... وحـيـدين من دارين لم تتـلاقـيـا
أشم شـذى الأنفـاس منك وفى غـد ... سـيـرمى بنا البين المشتُّ المرامـيـا
وألثــمــه كــيــمــا أبرد غلتى ... وهيـهـات لا تلقى مع النار راويا [1]
فـقـبّلت كـفـيـه وقـبلت ثغـره ... وقـبلت خـديه ومـا زلت صـاديا
كــأنا نذود البين بالقــرب بيننا ... فنشـتـدّ من خـوف الفـراق تدانيـا
كــأن فــؤادى طائر عــاد إلفــه ... إليـه فـأمـسى آخـرَ الليل شـاديا
إذا مـا تضـامنا ليـسكن خـفـقـه ... تنزّى فــيــزداد الخَـفــوق تواليــا
أو شَّجُ فى كلتـا يديه رواجـبى [2] ... وشـيـجا يظل الدهرَ أخـضـر نامـيـا
وتلمس كـفى شـعـره فكأننى ... أعـارض سلسـالا من الماء صـافـيـا
وأشكوه مـا يجنى ، فـينفر غـاضـبـا ... وأعطفـه نحـوى فـيـعطف راضـيـا
أقـــول لـه يكفــيك أنك قـــادر ... على أمل أعـى الزمـــان المعــاديا
قـدرت على إسـعـادنا ومنحـتنا ... ليـالِيَ أعـيى منحـهن الليـاليـا
قدرت ، ومن يقدر على السعد لم يكن ... جـمـيـلا به أن يتـرك الخل شـاكـيـا

* * *

(*) ليلة الوداع : الجزء الأول .
(1) راويا : اسم فاعل من روى الماء .
(2) الرواجب : مفاصل الأصابع .

وناعـيـة صـاحت ولِلّيل هجـعـة | فـقـال : «عـلام البـوم ينعب ناعـيـا»
«لقـبـحتِ منعـمـيـاء تقـرأ فى الدجى | إذا اسـود أسطار الخـراب الخـوفـيـا»
فقلت :علـى النفس التى سوف تغتدى | طلولا بأحـناء الضلوع حـوانيـا
تجـوس أفـاعى الحـزن فى جنبـاتهـا | ويا ربما تأوى الضلوع الأفـاعـيـا
فـلا تحـسبن البـوم تنعى المغـانيـا | فـقـد تندب البـوم النفـوس البـواليـا
وكم وحشة للنفس يخشى اقتحامها | أخـو غـمـرات ليس الفـيـافـيـا

* * *

ولما تـقـضـى الـليـل إلا أقـلـه | وحـان التنائى جشت بالدمع باكيـا
فـأقـبـل يرعـانى ويبكى وربما | بكى الطفل للبـاكى وإن كـان لاهيـا
وزحـزحنى عنه بكف رفـيـقـة | وأسـبـل أهداب الجـفـون السـواجـيـا
يقـول لقـد ران الكرى وتفـرّقت | نجـوم الدجى والديك أصبح داعـيـا
فـقـلت وكم من لـيـلة إثر لـيله | سـهـرتُ وقد أمسيت وحدك غـافـيا
فـهـب من رقـادك لـيـلة | تمرّ ، فـإنى قـد وهبت حـيـاتيـا
حـرام علىّ النوم ، مـادام هاتف | من الليل لا ينسى إذا بت ناسـيـا
وأسلمت كـفى كـفـهُ فـأعـادها | وقلبى ! فـهـلا أرجع القلب ثانيـا
فلم أر ليـلا كـان أبيض مطلعـا | وأسـود أعـقـابا وأشـجى مـعـانيـا

* * *

الخمر الإلهية (*)

على طريقة ابن الفارض

. . . .

يدور بهـا السـاقى علينا كـأنهـا | مـبـاسم ثغـر والحـبـاب ثناياه
جـرت فى صـفـاء الدمع وهى دواؤه | فـمن ذاتهـا لم تجـر بالدمع عـيناه
تنيـر فلولا أن تسـيل رحـيـقـهـا | لقلت لظى أذكى النسـيم شظاياه

(*) الخمر الإلهية : الجزء الأول . ٧٤ (٦٢(فقرة ٧٤) .

يكاد إذا طاف الغـــلام بجـــامـــهـــا يرفـرف حـوليـه الفـراش ويغـشــاه

لـهـــــا فى يمين الشـــــاربين توهج إذا مـا خـبـا قلب من الحـزن أذكـاه

تلوح كـمـاء المُهل [1] أمـا مـذاقـهـا فمن سلسبيل الخلد فى طيب سقياه

تشـابه فى عين النديم ومـا انتـشى فــوارغُ صف كـــالـثــريا ومـــلآه

كؤوس كجام السحر [2] يكشف وحيه لعـينيك من سـر العـوالم أخـفـاه

إذا طاب فى الفـردوس رياً نسـيـمـهـا فـــأطيبُ فى دار الشـــقـــاوة زياه

ولو مـــزجـــوا بالخـــمـــر طينة آدم لعــاش ولم يدر القطوب مـحـيــاه

* * *

حسناء عمياء (*)

قـــــرة العـين عـــــزاءً لـك فى الكـون المنيـــــر

إنّ طرْفـــــاً يأســـــر النا س هو الآن أســـــيـــــر

إن سـحـرا غـاض فى عـيـنـ ـيك هيـهـات يحـور [3]

صـدت الشـمـس ضـيـاها عنـك يا أخـت البــــدور

غـــربت عنـك غـــروباً مـــــا له الـدهر بكـور

ليت نور العين مـــصـــبـــا ح مـــعـــار فـتـــعـيـــر

ليس أولى ببكى العـــيـــ ـن من الحـسن الضـــرير

وجـمـــال عن جـمـــالِ الـ ـكون مكفـوف حـســيـــر

مطمح الأبـصـــــار بدع أن يُرى غـــيـــر بصـــيـــر

* * *

(١) المهل : شراب أهل جهنم .

(٢) هى الكأس التى يزعم السحرة أن من نظر إليها انكشف عنه الحجاب .

(*) حسناء عمياء : الجزء الأول .

(٣) يحور : يعود .

من تقليد «نشيد الأناشيد» (*)

أجل تلك خبــاياها ... وهــاتيــك خطــايــاهــا
فهل تدرين مــاذا ... ك الذي يدعى مــزاياها ؟!

* * *

لما فيـهـا من العيـب ... سننسـاه وننسـاهـا
وللحسن الذي فيـهـا ... سنُحيى الآن ذكـراهـا

* * *

سأحصى لك ما يعجب ... ـب منها ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضـ ... ـب بعد السعي والدس

* * *

ثـنـايـاهـا ثـنـايـاهـا ... وهل ذقت ثنايـاهـا ؟!
وعـينـاك . ويا للقلـ ... ـب كم تسبيه عيناها ؟!

* * *

وتلك الوجنةُ الخمـر ... يةُ السكران رائيـهـا
أفى الجنة يا رضـوا ... ن تفاحٌ يحاكيهـا ؟!

* * *

وتلك القامة الهيفـا ... ء زانتـهـا زواياها
إذا ما جـار ردفـاها ... أقـام الجـور نهـداها

* * *

(*) من تقليد نشيد الأناشيد : أعاصير مغرب .

وتلك النسمة الحلوة في ثوب الأناسي
هي الروح الفراشية في النور السماوي !

* * *

دعيها تفسد الخمسين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هي الأكسير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندي من حُميّا (1) الشعر إكسيري وترياقي
وهل كالشعر في الدنيا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج (*)

ما الحب من محض الصداقة يا بنيّ ، ولا العداء
الحب فيه الخلصتان ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعداوة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء ، والاغتصاب ، وقل على الدنيا العفاء !

* * *

ندم (*)

عشقتك مُكْذبا خلقي ورأيي وعفتك صادقا لهما أمينا
وما أخطأت في لوميك يوما وقد أخطأت في عذرِيك حينا

* * *

---

(1) الحميا : سورة الخمر .
(*) ندم : أعاصير مغرب .
(*) مزيج : أعاصير مغرب .

تقويم العام (*)

تقـــــويمُ هـذا العـــــــام مـن لحـظـــاتـــه الأولـــى لـــديـــكِ
قـــومى ارفـــعـــيـــه وارفـــعى عنـه الغطاء براحـــتـــيـكِ
مـن يـوم مـطـلـعـــــه إلـى رجـــعـــاه مـــوقـــوف عليكِ

* * *

وإذا انتــــهـت أيامـــــه ولـكـل عـــام منتــــهـــاه
فـــعـليـك أنت وداعـــه .. وتـرحـــــــبين بما تـلاه
ويْــــحـــى إذا دار المـــدى ورعـــيـتُ وحـــدى ملتـــقـــاه !

* * *

هى قـــبلة ضـــمت عُـــرى عـــامين فـــاتصـــلا اتصـــالا
ومُنـى الخـــواطر فى غـــد عـــام كـــســـابقـــه مـــآلا
لا تعـــجلنّ بـه فـــمـــا أقـسى الحـيـاة على العـجـالى

* * *

لا . لا . فـــهـــذا يومنا وغـــدٌ ، وبعـــد غـــد ، خـفـــاء
أنا مـــغـــمض عـــينى ومســـ ـتـــمع إلى حـــادى الرجـــاء
فـــإذا ســـمـــعت حـــداءه فـدعـــيـــه يمضى حـيث شـــاء

* * *

وعام ثان (*)

بشـــراى . مـــا أنا شـــاهدٌ يا عـــام وحـــدى ملتـــقـــاك

(*) تقويم العام : أعاصير مغرب .

(*) وعام ثان : أعاصير مغرب .

دارتْ بـروجُـك والـهـــــوى … يخطو وتتـــبـــعـــه خطاك
وحــمــدت وجــهك مــقــبــلا … ومــضى . فلم أذم قــفــاك !

* * *

هـذى فـــتـــاتى هـذه ! … هى لا خـــوف ولا اشــتــبــاه
هى فى بديع قـــوامـــهـــا … هى فى الصـبـا ، هى فى حــلاه
هى فى غـــوايتـــهـــا وآ … هٍ من غـــوايتـــهـــا ، وآه

* * *

ضُـــمى ثغـــريْك يا بنيـ … ـــة وابعــــثى منـه الأمـل
لا بالعـــهـــود إلى مـــدى … عـــام . ولكن بالقُـــبل
إن ســـاعـــفـــتنى ليلة … فـــدعى العـــهـــود إلى أجل

عـــام تفـــتح بالرجـــا … ء وبالرجـــاء خـــتـــمـــتـــه
ودعـتِ ذاك العــــام فى … قـربى كـمـا اسـتـقـبلـتِه
قـــولى ، وقـــد ولّى ، أفى … شـرع الوفـاء قـضـيـتـه ؟

* * *

لا تخـــدعـــينى يا بنيـ … ـــة بالوفـــاء من اللســـانْ
خـنّـا وخـنـت ولا أقـــو … ل سلى فـــلانة أو فـــلان
ذهبت خـــيـــانتنا مـــعـــاً … والآن نحن البـــاقـــيـــان

* * *

ذهبت خـــيـــانتنا كـــمـــا … ذهـب الوفـــاء ومـن يفـــون
لا ذمـــــةٌ تبـــقـى ولا … يبـــقـى الوفىّ ، ولا الخـــؤن
كم ذمـــة ضـــيـــعـــتـــهـــا … يا عـــام فى تلك الغـــضـــون !

* * *

انظر ألست ترى فتا ... تى حيث كنتُ ضممتها
فى جلسة الأمس التى ... حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت ... صدرى ولا فارقتها

* * *

وإذا سألتَ وربما ... جاء السؤال بلا كلام
«ماذا تقول مودعى ... والليل يومئ بالسلام»
حيرتنى يا عام فاستم ... ع الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندى أيّهذا ... العام كلك بالسعيد
لكنْ سويعاتٌ مضت ... لى فيك تنسى ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها ... وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى ... أعطت ، ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها ... وقليلها أبدا كثير
إن عاد يومٌ غدٍ كأم ... س فدرْ - زمانُ - كما تدور

* * *

أكذبينى (*)

. . . .

أكذبينى وأكذبينى ... كلما شئت أكذبينى
ما غناء اللب عندى ... إن أبى أن تخدعينى
أنا فى ثروة وفر ... منه مهما تسلبينى
أنقصيها . أى ضيرٍ ؟ ... درهما أو درهمين !!

* * *

(*) أكذبينى : أعاصير مغرب .

المرأة والخداع (*)

خل الملام فليس يثنيـــــهـــــا ، ... حبُّ الخداع طبيعةٌ فيــهــا
هو ســتــرها ، وطلاء زينتــهــا ، ورياضـــةٌ للنفس تحــيــيــهــا
وســلاحــهــا فــيــهــا تكيــد به من يصطفــيــهــا أو يعــاديهــا
وهو انتــقــام الضــعف ينقــذها من طُول ذل بات يشــقــيــهــا
أنــت المــلــوم إذا أردتَ لــهــــا مــا لم يُردْه قــضـــاء باريهــا
خنهـــا ! ولا تخلص لهـــا أبداً تخلص إلى أغلى غـــواليـــهـــا

* * *

الحب أحمق (*)

لم أدر كــيف يُتــاح لى نسـيــانهــا وخــيـــالهـــا فى ناظرىّ مـــعلّق
حــتى نسـيت ، فـعــدت أذكـر أنهـا كــانت هواى ، فــلا أكــاد أصِــدق

* * *

مصيبتان (*)

قــالوا اسلهــا ودع البكاء فــإنهــا فى حــبــهــا ليــست بذات وفــاء
ومــصــيــبــتى فــيــهــا اثنتــان لأننى أبكى لمن لا يســتـــحق بكائى
من كل يبكى الأوفيــاء ففى الأسى لمن اســتــحق أســاه بعضُ عـــزاء

* * *

(*) المرأة والخداع : أعاصير مغرب .
(*) الحب أحمق : بعد الأعاصير .
(*) مصيبتان : أعاصير مغرب .

عجائب القلب (*)

تلك التى كنت أغليهـــا واذكـــرها   صُبـحـا ومُـسْـيا ، وفى سـر وإعـلان
قــد كنت أرحم نفــسى من تذكّــرها   فـاليـوم أرحـمـهـا من فـرط نسـيـانى
عجائب القلب . ويلى من عجائبه . !   عـــزت نظائرها فى العـــالم الفـــانى

* * *

فراغ. فراغ (*)

فــــــراغ بـارد شــــــات .!   بـلا مـــــــــــاضٍ ولا آت
أأمـــــوات ؟ نـعـم . لـكنْ   نحـس فنـاءَ أمـــــــوات
وويا بؤسَ الـفناء نحــــــ   ــه فى كل مـــيـــقـــات

* * *

الصحوة الكبرى (*)

مـــتـــجـــردان ويملكان ســـعـــادة   لكليـهـمـا ، لا يحـتـويهـا العـالم
يتـمليـان الصـحـوة الكبـرى وقـد   ســعــدا بأســعــد مــا يراه الحـــالم

* * *

(*) عجائب القلب : أعاصير مغرب .

(*) فراغ . فرغ : أعاصير مغرب .

(*) الصحوة الكبرى : بعد الأعاصير .

معجزة وبرهان (*)

أطفـــأت منى الليـــالى شُـــعَـــلا بعـــد شُـــعَلْ
من غـــواياتى وأحـــلا مـــى ، ومـــن بـــرق الأمـــلْ
فلمـــا يُومض فـــيـــهـــا النـــ ـــور من نـار القُـــبـــل
عـــجـــبـــا ،لكنّه وهـــ ـــو عجـيبٌ قـد حـصل ! . .

* * *

عـــجـــبـــا والدهر لا يفـــ ـــنى أعـــاجـيبَ الحـيـــاة
مـــفـــرِقٌ شـــاب يُشـــ ـــبّ الحبٌّ فى قلب فـتـاة
شـــركٌ صـــاد - ولم أنـــ ـــصبـــه - صـيّـــادَ البُـزاة
وقـــديماً كـــان إن دا رعلى الصـــيـــد نصل

* * *

لو لســـانٌ قـــالـه لى لم أصـــدّق مـــا يقـــول
غـيـــر أنّ الشـوق فى خـــد يكِ يســـرى ويجـــول
مـــزهـرًا بعـــد ذبول مـــشـــرقـــاً بعـــد أفـــول
قـــسمٌ فـــاه به قلـــ ـــبكِ ، بـل وحـىٌ نـزل

* * *

أحـــوج الوحى إلى مـــعـــ ـــجـــزة وحىٌ عـــجـــاب
عند قلب كـــافـــر بالنـــ ـــاس يغلو فى ارتيـــاب
يـا رســـول الحب آمنـــ ـــتُ وفى كـفى الكتـاب
طفلة تهـــفـــو إلى الشـــ ـــيـب ؟ أجـل ثـم أجـل !

* * *

(*) معجزة وبرهان : بعد الأعاصير .

حين لمّحت تغـابيـ ـتُ ، ولى واللّه عــذرُ
وانثنى التلميح كـالتـ ـصريح والشكُّ مـصرّ
ثم طاش الســر حـتى كـاد يسعى وهو جـهـر
وتلاقـينا فـمـاذا كـا ن ؟ بركـان جـفلْ

* * *

خـاب شكى وأنا الآ ن بما خـاب سـعـيـد
وسـعـيـدٌ كلمـا خـا ب ببـرهان جـديد
بين حـسن فـيك يزدا د وإقـبـال يـزيد
وسـلام شـاع فى نفـ ـسك كـالليل شـمـلْ

* * *

يا فـتـاتى هو من ربـ ـك واللّـه قـدَرْ
قـدرٌ أرحم مـا حـمّ عـلى قـلب بـشـر
أغـمـضنى عـينيك وامضى فـيـه أيّان استـقـر
واطمـأنى . مـا قـضى اللّه قـضـاءً فـارتجلْ !

* * *

صـاغـه اللّه عـجـيـبـاً ومـحـا عنه عـجـيـبـا
غـيـر بدع أن يهـيج الشـ ـرر الحى لهـيـبـا
إنما البـدع لـهـيـب بـتـغى منا شـبـوبا
كـلـه إن جـل أو قــ ـل من الشـمس وصلْ

* * *

نحن فى الآفـاق قُـربى بعـضنا ينشـد بعـضـا
ربما قـيـل رمـاد وهو ملء الأفق رمـضـا
إن فى النور لقـاحـا صـنـوه بـالـصـنـو يـرضـى
رب نجـم مـنـك لـو لا شـرر منى أفـلْ

* * *

انتقام جيتى (*) (١)

يا صديقى القديمَ «جيتى» اعتذارًا لك من سوء ظنّتى ومالى
كنت أنعى عليك حبك فى السـ ـتين بنتَ العشرين ، فاغفر ملامى
وأرانى على ملامك من قبلُ لحب دون الثمانين دام
فانتظرنى فقد يجىء اعتذارى لك طوعاً فى مقبل الأيام
إن عشقنا كما عشقت وأوفيـ ـنا عليها انتقمت خير انتقام !

* * *

إلى الشفاه لا إلى الآذان (*)

فيم أروى لك شعرى ؟ أنا أدرى . أنا أدرى

* * *

أنا أدرى . يا فتاتى حيث ألقى بالأغانى
إن شعرى سمعته شفتان . . شفتان !
ها هنا سرب إلى القـ ـلب الذى أعنيه دان

* * *

(*) انتقام جيتى : بعد الأعاصير .
(١) شاعر الألمان الأشهر وله قصة حب فى الستين وأخرى فى الثمانين .
(*) إلى الشفاه لا إلى الآذان : بعد الأعاصير .

* * *

رفّ شـــعـــرى حـــيث رفّت　　　بـالأمـــــانى قـــبـــــلاتى
وتـصـــــفّـــــحت صـــــداه　　　قـــبـــســــــاً فى الوجنات
هو مـن ثغـــــر فـــتـــــاتى　　　وإلـى ثغــــــر فـــتـــــاتى

* * *

فـــــيم تســـــعى رحلتى بـ　　　ــين المعــــــانى وتطـول
ها هنا الشـعــــر ومـوحى الـ　　　ــشـعــــر يصــغى ويقــول
كل إصـــغـــاءٍ لـعـــمـــرى　　　بين هـذيـن فـــضــــــول

* * *

مـزج (*)

ســمّــيــتنى باسم اللّدات وبيننا　　　عــمــرٌ كــعــمــرك أو يزيد قليــلا
مـزجَ الهـوى العـمـرين فى جيلٍ فـلا　　　تقــديم بينهــمـــا ولا تأجــيـــلا
ومـــحـــا الـفـــوارق كلهن فلم يدع　　　غـيـر الـهـوى جـيـلاً لنا وقـبـيـلا

* * *

لفــاع (*) (1)

لفــــاعك فى عنقى كــــالوفــــا　　　ء يطوّق جـيــدَ الســمــيع المجـيـب
مـكـانُ ذراعــــــــيك أولـى بـه　　　نسـيجُ يديك الـسـخى القـشـيـب

* * *

(*) مزج : بعد الأعاصير .　　　(*) لفاع : بعد الأعاصير .

(1) اللفاع : هو ما يعرف بالكوفية ويلف حول العنق فى الشتاء .

إذا فـــاتـنى منـك طيب الـعنا ق فلســواى منه بديلٌ قـــريب

فـــلا أُحــرَم الـدفء عند القـــا ء ولا أحــرم الدفء عند المغــيب

* * *

رأيـــت (*)

رأيت الـنهــــر ظمــــآ ن إلى البـــيـــداء يرويهـــا

رأيت الزهر مـــشـــتـــاقـــا إلى الأطواد يُحليـــهـــا

رأيت الـليـلة الـليــــلا ء والكوكب حـــاديهـــا

رأيت الحـــان تنســـاب إلى أفـــواه حـــاسيـــهـــا

رأيت الـعـــجب الـعـــاجـ ــب فى الدنيـا ومـا فـيـهـا

شـــبـــاباً هام بالهـــا مـة قـد شـابت نواصـيـهـا

إخـــال الحب يســتـحــد ث ترويحـــاً وترفـــيـــهـــا

ألا فلـيْـلهُ مــــا شـــا ء فـمــا تفنى مـلاهيـهـا

* * *

من الأستاذ عماد (*)

يا حـــزين النفس أُعطيت مناها فـاغنم الفـرصـة حـتى منتـهـاها

لا تنغّـصـهـا اخـتـيـارًا واكـتناها إن مـن خـــاف مـن الجـن يـراها

* * *

. . . .

لا تقـل يا وردتى شــــوكك أينـا مـــا علينا منه فـيـهـا مـا علينا ؟

إنهـــا أخـفــتـــه عنا فـانتـهـينا حـــســـبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

(*) رأيت : بعد الأعاصير .

(*) من الأستاذ عماد : أعاصير مغرب .

إلى الأستاذ عماد (*)

يا صديق النفس من عهد صباها ... نصحك الصادق لو تُشفَى ، شفاها
محنةٌ تبلغ فى يومٍ مداها ... ما ترانى صانعاً ، أو ما تراها ؟

* * *

ناصحى أنت بزهرى أنتشيه ... لا أَبالى الشوك والغصة فيه
كل شوك يا صديقى أتقيه ... يخرق الدرع وإن دقت عراها

* * *

وردتى يا صاحبى فى الورد بدع ! ... بدعها طبع ، وكل الورد طبع
طبعها كالفخ ينهاك ويدعو ... وبلاء النفس فى مسّ جناها

* * *

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا ... الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا ؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا ؟ ... الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها !

* * *

وردتى آفتها فرط التحدى ... جاوزت فى كل شىء كلّ حد
حسنها هيهات منه حسن ورد ... شوكها أنفذ من شوك سواها

* * *

أترانى نافعى والقلب دام ... وسعار الجرح يمشى فى عظامى
لذة العيش بوشى ونظام ... وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

(*) إلى الأستاذ عماد: أعاصير مغرب .

آه من برئى وآه من ســـــقــــامى ‏ آه من صلحى ، وآه من خــصــــامى
آه من شــــمـــسى وآه من ظلامى ‏ آه من لـذعــــــة آه فى جــــواها

* * *

لذعــة النيــران ينفــثن دخــانا ‏ ليــضىء اللهب الخــافى عــيــانا
لهــبــاً صــرفــا تعــالى وتدانى ‏ مـن قـــــرار الـنفس يرتـاد ذراها

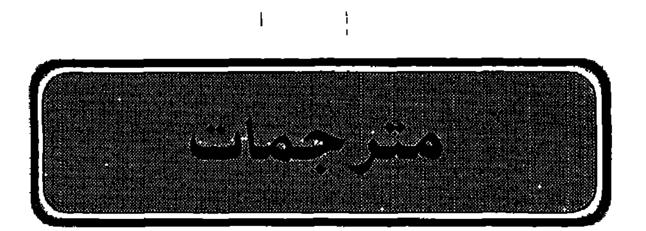
* * *

آه من آه لحـــــاها اللّه جــــداً ‏ لا تزل خــــالدة فى الـنار خـلداً
من قلوبٍ تلتظى حــبــاً وحــقــدا ‏ حـــرقت آهاتهـــا آها فـــآها

* * *

أنا لا أطلقــــهــــا حــتى تذوبا ‏ فى لظاها ، كلمـا شـبت شـبــوبا
وأرانى يا صـــــديقى لن أتوبا ‏ فــإذا تابت عــرفنا منتــهــاها

* * *


مترجمات

فينوس على جثة أدونيس [1]

معربة عن شكسبير

رأت شفتيه والبكى يستجيشها فما راعها إلاّ اصفرارٌ عليهما
وجست يداً كانت نطاقاً لخصرها فلا رمقاً فيها تُحس ولا دما
ومالت على أذنيه حتى كأنهُ ليسمع منها شجوها والتندما
وتفتح جفنيه لتبصر فيهما سراجين كانا يسطعان فأظلما
سراجين كانا يجلوان لعينها جمال محياها فواراهما العمى
وكانا لوجه الحسن أجمل مبصر فقد فجع الموت المحاسن فيهما
فقال «برغمي إنك اليوم ميّت وإن الضحى لمّا يزل متبسما»

* * *

«ألا أيُّهذا الحب إنك بعدهُ ستصبح داء في الجوانح مسقما
ستصبح أنّى سرت ترعاك غيرة بعين تريك الوهم صدقاً مجسما
ستقبل محمود الأوائل سائغاً وتدبر مشئوم العواقب مؤلما
وإنك إما عن مرامك قاصرٌ فتأسف أو مجتازهُ متهجما
عذابك بالصفو الذي فيك راجح وماؤك ممزوج به الري والظما

* * *

«بلى سوف تغدو أيها الحب كاذباً لجوجاً ملولاً جافياً متبرما
يطير بعطفيك النسيم إذا سرى وترمى بك الأنفاس في كل مرتمى

(*) فينوس على جثة أدونيس : جزء أول .

(١) فينوس عند الأقدمين هي ربة الحب وأدونيس فتى جميل من أبناء ملوك قبرص كان مولعاً بالصيد والطراد ورأته فينوس طارداً فهويته ونصحته بالإقلال من الصيد خوفا عليه ولكنه أبى ، وما زال حتى قتله خنزير وحشى فوقفت على جثته حزينة تريق عليها من شراب السلسبيل إلى أن نبتت في موضعها زهرة نضرة ، والأقدمون يرمزون بهذه القصة إلى تجدد الربيع بعد موته ويقال إن عبارة أدونيس مأخوذة عن الشرق وأن اسمه مأخوذ من أدوناى وهو اسم من أسماء الله بالعبرية .

تطوف وما أحلاك يا حب ساقياً بكأس تغر الحاذق المتوسما
بكأس حوافيها نعيمٌ ولذةٌ وما ضمنت إلا سماماً وعلقما
تهد قوى الثبت المريرة من جوىً فتعرفهُ [1] إلا مشاشاً وأعظما
وتنفخ فى روع العيىّ فينبرى فصيحاً ويغدو مدره القوم [2] أبكما

* * *

«ويا حب تعفو عن كبائرَ جمة وتضطغن الذنب اليسير تجرُّما
ويا حب تضرى من يدب على العصا فيضرى ، وتنهى الضارى المتقحما
وتبتز أموال الغنى وربما منحت كنوز المال من كان معدما
عراقة [3] مجنون ورقة مائق [4] ويا ويح قلب وامق من كليهما
وقد يحلم الفتيان فى ميعة الصبا ويسفه فيك الشيخ إن بات مغرما
هيوباً ولا شىءٌ يهاب لقاؤه عسوفاً إذا ما الخوف قد كان أحزما
وترحم أحياناً وفيك قساوة وأنت بأن تقسو جدير وترحما
وأخدع شىء أنت إن قيل منصف وأصعب شىء أنت إن قيل أسلما
وإن شئت أزجيت الجبانَ فاقدما ووسوست فى قلب الجرىء فأحجما

* * *

«ألا أيها الحب الغوىّ ألا انطلق على الناس سيلاً جارفاً أو جهنما
ألا ولتفرق والداً عن وليده فلا أمّ تحنو إن قسوت ولا ابنما
وكم فتنة يا حب تورى ضرامها وترسلها شعواء فى الأرض والسما
ألا وليكن أشقى الأنام بحبه أحق امرئ فيه بأن يتنعما»
نبوءة ولهى رُوّعتْ فى حبيبها وجار الردى الباغى عليها فصمما

* * *

(١) فتعرفه : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام والثبت المريرة هو الصبور الوثيق الخلق .
(٢) مدره القوم : المتكلم عن القوم . (٣) عرامة : شراسة .
(٤) مائق . أحمق .

العـــرض (*)
معربة عن شكسبير

أرى الذكـر للإنسـان أنفس جـوهر ... تزان به أعـراضـه ومناقـبـه
ومـا سـارقى من يسـرق المال إننى ... أرى المال من يظفـر به فـهو صـاحبـه
تَقلّب فى الأيدى فـقـبلك كـاسب ... حـواه ، وقـد يحـويه بعـدك كـاسـبـه
ولكن من يسلب من المرء عـرضـه ... فـذلك فى شـرع الحـقـيـقـة سـالبـه
يُضـيع على المثلوب زينة نفـسـه ... وليس يفـيـد العـرض من هو ثالبـه

* * *

الـــوداع (*)
معربة عن بيرنز

قـبلة بعـدها يطول الفـراق ... وعـنـاق ، وليـس بعـدُ عـنـاق
سـوف أبكيك والمحـاجـر شَكْرَى [1] ... بـدمـوع مـن الـفـؤاد تـراق
سـوف أدعـوك فى الدجى بأنين ... وزفـيـر فى الصـدر منه احـتـراق
كـيف يشكو من عـثـرة الجـد ظلمـاً ... مَن مـحـيـاك نجـمـه الألأق
بيـد إنى درجت فى ظلمـة اليـأ ... س فـحَـوْلى من الظلام نطاق
لست ألحى على الهـام فـؤادى ... قـدَرُ الحب دفـعـه لا يطاق
مـن رآهـا فـكـيـف يـسـلـو هـواهـا ... يعـشق القلب إذ ترى الأحـداق
آه لـولا صـبـابة وغـرام ... قـد شـربناه والكؤس دهاق
مـا غـدونا ولى فـؤاد كـسـيـر ... وجـبين سـيـمـاؤه الإطراق
فـسـلامـا يا قـرة العين والقلـ ... ـب وأحلى من صـوَّر الخـلاق

(*) العرض - معربة عن شكسبير : جزء أول .

(*) الوداع - معربة عن بيرنز : جزء أول .

(١) شكرى : ملأى .

حـــاطك اللّه بالســـعـــادة والحب ... ورواك مـــــــــاؤه الـرقـــــــراق
قـــبلةً بعـــــدها يطول التنائى ... وعنـاق ، أواه ! ثـم افــــتـــــراق

* * *

لا طـلع الصبـاح (*)

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجوليت

أمـبـتـعـدٌ ومـا اقـتـرب الصـبـاح ؟ ... كـأنّ الدهر شـيـمـتـهُ السـمـاح !
أراعـك صــــائح الـطيـــر المغنى ... فـخلت الليل ينعـاه الصـيـاح ؟
ترّفقْ لا عـــدمـــتك من حـــبـيب ... فـليـس عـليـك مـن رفـق جُـنـاح
فــــذاك البلـبل المسـكين يبكى ... فــيطربهُ كــمـــا شـــاء الـنواح
يــرفُّ لـــه وجـــنـــح الـلــيـــل داج ... على رمــــان دوحـــتـنا جناح
أكنت حـسـبـتـهـا الورقـاء هبّت ؟ ... لقـــــد واللّه جـــــدٌ بـك المزاح
قليـــلا مـــا أقـــمت فــقف مَليـــاً ... قُـبَـيل الفـجـر ، لا طلع الصـبـاح

* * *

الــــوردة (*)

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزى وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستندى قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق) :

أتتنى بهـــا مَن خــدُّها مــثل لونهـــا ... مــــبللة الأوراق باكـــيـــــة السن
جنتــهـــا لهـــا تربٌ حَـصــان تزفــهـــا ... إليها ، وقد يجنى على الورد من يجنى

(*) لا طلع الصباح : الجزء الأول .
(*) الوردة : جزء أول .

كـــــــأنّ نـدىّ الـطـل دمـعٌ أطـلـه فـراق وُرَيدات صـغـار على الغـصـن
فـأمـسكتـهـا خـجلى الحـيـا أهزها لتنشط من خـوف وتبـسم من حـزن
فما كان أقساني ! لقد فاض روحـها وطـتـرت بداداً فى الـتـراب إلى الـدفن
ولو لطفت كـفى لفـاحت وأزهرت كما شئت من عطر وما شئت من حسن
كـــــذاك يكـون الـلـوم طـعـنـاً وربما حوى بلسما يشفى الجريح من الطعن
وكم راحِ تعنيف الـشـجى بروحـــه ألا إن بعض العــذل يضنى ولا يثنى
ولو لمتَ فى رفق رأيت ابتـســامـة تجـول مكان الدمع من جـانب العين

* * *

القـــــدر (*)

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزى

إنما الغــيـب كــتــاب صـــانه عن عـــيـون الخلق رب العـــالمين
لـيس يبـــدو منه للناس ســـوى صـفـحـة الحـاضـر حـيناً بعـد حين

* * *

لا مرتين على جبل الكرمل (*)

سقاك الحيا يا حوض أعذب ما سقى فـفـيك قـرأت الحـسن سطرا منمّـقـا
حـبـــاك الـفـضـاء اللازوردى لونه فـــجـــلاك كـــالمرآة تلمع أزرقـــا
أراك وقـد فـيـأت «ليلى» عـشـيـة صـمـوتا كـمن يصغى إليـهـا مـحـدّقا
تمثل منهـا وجـهـهـا - فـعلَ عـاشق - يظل إلى مـعـشـوقـه مـتـشـوقـا
فـتطلعـه كـالبـدر يبـدو مـثـاله بمصطفق الآذىّ أبلجَ مـــشـــرقـــا
فما حفلت عين بما فيك من حصى حكى الدر أو عـــشـبٍ هنالك أورقـــا

(*) القدر : جزء ثانى .
(*) لامرتين على جبل الكرمل : الديوان الجزء الأول الطبعة الأولى . (٦٨ فقرة ٦) .

ومـا ينظر الرائى السـمـاء مـصـعّـدا إلى الأفق بل يسـتـوضح الماء مطرقـا
لك اللّه كم حـسناً حـويت ورونقـا روى الماء عن ليـلاى فـيك فـأصـدقـا
فــعــينان أبهى زرقــة ومــلاحــة من الزهر ينمـو فى حـوافـيك مـونقـا
وحـسـبـك من در البـحـار بمبـسم تضــاحك فـــيــــه دره وتألـقــا
وثغـــر كـــأن الورد باكــــره الندى فــجـــال على أوراقـــه وترقــرقــا
وجـيـد كـمـثل العـاج أبلج ناصـعـا على أنه كـالغـصن مـال على النقى
وفـرع كـخـفق الموج فـيك خـفـوقـه يكلل منه الزهر فـودا ومــفــرقــا
وفـيك من المرجـان يا حـوض دملج تحلى بأحلى مـعـصـم حين أحـدقـا

* * *

رفـعت يدى دون النسيم وقـد سـرى مــخـــافــة ذاك الظل أن يتـــرنقـــا
أحــدث نفــسى أننى منك لا قط إذا مــا مـــددت الكف درا منســـقـــا
وأرشـف من مــــــاءٍ هـنـالـك ريـقٍ جـلا الحسن عـذبا فى حـواشـيـه ريقـا

* * *

على أن ليلى خلفـــتك وأجـــفلت إلى أمــــهـــا تعطو لـديهـــا تأنّقـــا
فــأنى لأدلى فــيك طرفى فــلا أرى سوى الماء أمسى راكـد الحس ضـيـقـا
تذوقـت مـنه قـطرة بعـــــــد قـطرة فــألفــيت مــا لا يســتطاب تذوقـا
وكنت أرى حـــسنا فـمــالىَ لا أرى ســوى حـشـرات أو نبـات تفـرقـا

* * *

حنانيك يا بنت المشــــارق إن لى فـــؤادا بربات الجــمـــال تعلقـــا
لحـسنك سـر فى الفـؤاد كـسـرّه على الماء أن حكاك فـــدقــــقـــا
فـقـد رسـمت فـيـه لحاظك صـورة مـــدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقـا
عــذيرى من تلك اللحـــاظ كـــأنما هى النجم فى عـرض السـمـاء تألقـا
إذا رمـقت فـالصبح ، أو حـال دونهـا خـمـارٌ ، فـهـذا ليل من قـد تعـشـقـا

* * *


حديقة الحيوان

مسودات الحياة (*)

مسوّدة ! (*)

تأمل ترَ الأحـيـاء عُـجـمًـا كـأنهـا ... مـســــــوّدةٌ للخلق لمّا تُنقّح

ويارب سـر فى كـلام مـسـوّد ... يعـود فـيـخـفى فى الكلام المصحح

أراها كـأخـوان تفـاوت حظهم ... ومـيـراثهم ، من سـابقين ورزّح

فـمن حـائز نُعـمى أبيـه وأمـه ... ومن خـاسـر رفـديهـمـا أو مطرّح

ومن يلقـهم يلق الحـيـاة كـأنهـا ... حـبتْ طفلةً من مـهـدها المترجّح

***

رأى واحد (*)

فى وضعين مختلفين

زعـمـوا الإنسـان قـرداً ... قـد ترقى وتحَـلى

وأنا س يزعـمـون الـ ... ـقـرد إنسـانا تدلى

هـو رأى واحـدٌ نقلـ ... ـبـه علواً وسـفـلا

خنزير أعجف (*)

فـيـه خـنزيرية ظاهرة ... مـا نفـاها عنه ذاك العـجف

هـو خـنـزيـر ولـكـن شـانـه ... جـسـدٌ فى وضـعـه منحـرف

(*) مسودة : وحى الأربعين . ١٤٠ .

(*) رأى واحد : وحى الأربعين .

(*) خنزير أعجف : هدية الكروان .

خمارويه وحارسه (*)

(كان لخماوريه بن أحمد بن طولون أسد عوّده أن يجلس بين يديه إذا أكل وأن يسهر إذا نام وقدسافر مرة وتركه بمصر فقتل فى دمشق ، فأعجب لرجل حرسته السباع واغتاله الناس! .)

ركنت إلى السباع خمارويه — ولم تركن إلى أحد سواها
تحوطك نائماً وتبيت تخشى — قلوب الناس أن يطغى أذاها
أليس من العجائب أن ليثاً — يذود رعية عمن رعاها ؟
وأن يحمى ابنَ آدم من أخيه — سباعٌ جَلَّ أن يُدعى أخاها
وثقت بذى حفاظ ليس يُرشى — ولا ينسى الحقوق لمن حباها
وهم قتلوك حين وثقت منهم — وكم حفظ العهود فما اعتداها
ولو شهد اغتيالك فى دمشق — لضرَّج بالجناية من جناها

* * *

العقاب الهرم (*)

يهم ويعبيه النهوض فيجثم — ويعزم ، إلا ريشه ، ليس يعزم
لقد رنّق (1) الصرصور وهو على الثرى — مُكبٌّ ، وقد صاح القطا وهو أبكم
يُلملم (2) حدباء القدامى كأنها — أضالع فى أرماسها تتهشم
ويثقله حمل الجناحين بعد ما — أقلاه وهو الكاسر المتقحم

(*) خمارويه وحارسه : الجزء الأول .

(*) العقاب الهرم : جزء أول . ٣٠ (١٢ (فقرة ٤٥) .

(١) رنق : طار طيرانا خفيفا .

(٢) يلملم : يضم .

جناحين لو طارا لنصت فـــدوّمت ... شـمـاريخُ رضـوى واسـتـقل يلملم [1]
ويلحظ أقطار السـمـاء كـأنه ... رجـيم على عـهـد السـمـوات يندم
ويغـمض أحـيـاناً فـهل أبصـر الردى ... مـقـضـا عليـه أم بماضـيـه يحلم
إذا أدفـأته الشـمس أغـفى وربما ... توهمـهـا صـيـداً له وهو هيـثم [2]
لعـينيك يا شـيخ الطيـور مـهـابةٌ ... يفـر بغـاث الطيـر عنهـا ويهـزم
ومـا عـجـزت عنك الغـادة وإنما ... لكل شـبـاب هيـبـة حين يهـرم

* * *

عيش العصفور (*)

حطَّ على الغـصن وانحـدر ... أقلَّ من لمحـة البـصـر
مـغـرداً قط مـا توانى ... مـرفـرفاً قط مـا اسـتـقـر
يلمـس أيكاً بُعَـيْـد أيك ... كـأنهـمـا يلمس الإبر
مـطـارداً لا إلـى طـريـدٍ ... مـسـابقـاً لا إلى وطر
كـخـفـة الطفل فى صـبـاه ... لكنهـا خـفـة العُـمـر
وروده نغـبـة فـأخـرى ... من خـوّف الطائرَ الصدَر ؟
يقـارب السـحب ثم يهـوى ... يبـشـر الروض بالمطر
أصـدق من سـار فى سـرار ... بين الحيا [3] العذب والشجر
ويسـتـحث الرياح ضـرباً ... بخـافـقـيـه فـتـبـتـدر
للّه مـا أهـول المطايا ... وأضـعـف الراكب الأشِـر [4]
طار وليـداً شـيـخـاً ... بين البـسـاتين والغُـدُر

* * *

(١) التدويم : تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا هما والجبال سواء . ورضوى ويلملم اسما جبلين .
(٢) الهيثم : العقاب الصغير .
(*) عيش العصفور : جزء أول .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) الأشر : المرح .

لا أعين الماء ناضبــــاتٌ ولا خـــلا الروض من ثمـــر
أخـــبــرُ بالنضج مــقلتــاه ممن ســـــقى الحب أو بذر
سلة عـن الجند والزمـــــر سله عن الملك والسُـــرر
لـم يـأتـه عـنـهـمُ بـلاغ ولا دليل ولا خـــبـــر
هذا هو العـيش فـاغـبطوه عليـه يا أيهـا البـشـر

* * *

هذا هو العـيش فـارحـمـوه عليـه واسـتـخـبـروا الغِيَـر
فـإن ســألتم فـســائلوه عن صولة الصقر إن كسر (١)
وحـــيلة الدّبقْ (٢) فى ثراه وغـــيلة الحـــية الذكـــر
هـنـاك يـنـزو لـه فـــؤاد لا يجـــهل الريب والحـــذر
لـم يخف عن أعين الليـالى ولا تـوارى من الصـــغـــر
حـبـائل الدهر قـانصـات من طار أو غـــاص أو خطر
من عـاش يومـاً أو بعض يوم يعلم مـــا ضـــربه القـــدر
أليس هذى الحـيـاة ذخـراً وحـارس الذخـر فى خطر ؟؟

* * *

الــكروان (*)

هل يســمــعــون صــدى الكروان صــوتا يرفـرف فى الهـزيع الثـانى
من كل ســار فى الظلام كـــأنهُ بعض الظلام تَضله العـــينان
يدعـو ، إذا مـا الليل أطبق فـوقـهُ مـوجَ الدياجـر ، دعـوة الغـرقـان
ويشبّ فى الجـو السـحـيق كـأنهُ يبـغى النجـاة إلى حـمى كـيوان (٣)

(١) كسر : الطائر الكاسر هو المتهيء للانقضاض على الفريسة .
(٢) الدبق : الشرك .
(*) الكروان : الجزء الأول .
(٣) كيوان : عطارد إله الغناء والفنون عند اليونان .

عـاف التـجـمل فـهـو فى جلبـابه ... فــان يرتل كــالأبيل الفــانى [1]
مــا ضــــرَّ من غنـى بمثل غنائه ... أن ليس يبطش بطشــة العــقــبـان
إن المزايا فى الحــيــاة كــثــيــرة ... الخـوف فـيــهـا والسُّطا سـيـان [2]

* * *

يا مـحـيىَ الليل اليـهـيم تهـجّـداً ... والطـيـــــر آوية إلى الأوكــــان
يحـدو الكواكب وهو أخـفى مـوضعـاً ... من نابغ فى غــمــرة النســيــان
قل يا شــبـيــه النابغين إذا دعــوا ... والجـهل يضـرب حـولهم بجـران [3]
كم صـيـحـة لك فى الظلام كـأنهـا ... دقـــات صــــدر للدجنّة حــــان
هن اللغــات ولا لغــات سـوى التى ... رفــعت بهنّ عــقًــيــرة الوجــدان
إن لـم تقـيــدها الحـروف فــإنهـا ... كــالوحى ناطقـــة بكل لســـان
أغنى الكلام عن المقـاطع واللُّغى [4] ... بث الحـزين وفــرحــة الجــذلان

. . . .

ما أحـب الـكروان (*)

ما أحب الكروان !

هل سمعت الكروان !

مـوعـدى يا صـاحـبى يوم افـتـرقنا ... حـيث كـانت جـيـرةٌ أو حـيث كنا
عــاتفٌ يهـتف بالأســمــاع وهنا [5] ... هو ذاك الكروان ، وهو هذا الكروان !

* * *

الكراوين كـــثـــيــــر أو قليلْ ... عـندنا أو عـنـدكـم بين النخــــيلْ
ثَم صــوتٌ عــابرٌ كلَّ ســبــيلْ ... هو صوت الكروان ، فى سبيل الكروان

* * *

(*) ما أحب الكروان : هدية الكروان .

(1) الأبيل الفانى : الراهب .
(2) سطا : جمع سطوة .
(3) الجران : هو العنق .
(4) واللغى : جمع لغة .
(5) وهنا : الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

لى صـــدى منه فـلا تنس صــداك هـو شــــــــاديك بـلا ريـب هـنـاك
فـإذا مـا عـسـعس الليل دعـاك ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكّروان ؟

* * *

مـــــفـــــردٌ لكنه يؤنسـنا ســــــاهرٌ لكنه ينعـــــسنا
صـــدحت فى نفـســه أنفـسنا فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان ؟

* * *

واحــــدٌ أو مـــائة ترجـعــه عـندنا أو عندكم مطلعـــه
ذاك شىءٌ واحـــد نســمــعـه فى أوان وبيـان ، هو صـوت الكروان

* * *

واحـــدٌ بين عـصـور وعـصـور نحن نستـحـيى به تلك الدهور
لم يفـتنا غـابر الدنيـا الغـرور فى أوان الكروان ، مـا أحب الكروان

* * *

على الجناح الصاعد (*)

حـادى الظلام على جناح صـاعـدِ يا أرض أصغى ، يا كواكب شاهدى !
يا آنسين بصـحـبـة من وجـدهم نُصـوا المسامعِ للأنيس الواجـد
يا ساهدين على انفـرادٍ فى الدجى ردوا التـحـيـةَ للفـريد السـاهد
المستـعـزٌ بعـرسـه وكـأنه منهـا نجىٌ مـغـاور وفـراقـد
لهـجت طيـورٌ بالضـحى وتكفّلتْ بالليل حنجـرة المغنى الخـالد
يحـدو ويشـدو لا مـسـاعـد حـوله أبداً ، ومـا هو آمنٌ لمسـاعـد
أنا صـائد لصـداك ، لستُ بصـائد لك أنت يا كـروان ، فـأمن صـائدى
بينـا أقـول هنـا إذا بك من هنا فى جنح هذا الليل أبعـد باعـد

(*) على الجناح الصاعد : هدية الكروان .

ووددت يا كـــروان لو ألـقـــيتَ لى ... صـــوتين منك على مكان واحـــد
إن كنت تشـــفق أن أراك فـــلا تَزلْ ... فى مسـمعى وخـواطرى وقـصـائدى
عـاهدت هذا الصـيف لست بواهب ... سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كـان قـد أغنى الطبـيعـة كلهـا ... مُـــغنِىٌّ عن شـــاد ســواه وشـــائد

* * *

شـــدو لا نـــوح (*)

شـدوُ القـمـاريِّ لا نوح القـمـاريِّ ... هل يعبر الحزن بالشادى الصباحيِّ ؟
أو الربيـــــعـىِّ فى أنس وفى أمـل ... وفـى غـــرام على الإلـفين مطوىِّ ؟
يا حـسنهـا من بشـيـرات على دعـة ... كـــأنهـــا أمنت فـــوت الأمـــانىِّ
مـــحـبَّـــبـات إلى الإنســان تألفــه ... وتـعـــــتـلى من ذراه كلَّ علـوىِّ
تهوى الديار ، وفى الآفاق مطلعها ، ... مـا بالهـا ؟ هل سباها حسن إنسى ؟
ولأنـاسـىِّ حـــــسـنٌ لا أبوح بـه ! ... هل تعرف الطير ما حسن الأناسى ؟
غَنَّتْ لزهر وسلســال ولو رشـــفت ... زهر المبـــاسم جُنَّت بالأغـــانىِّ
أوْلى لقُـــمـرِيّنا أن لا يحـوم على ... يأس الهـوى بين إنسى و «طَيْـرىِّ»
غـرد على الدور يا قـمـرىُّ فى دعـة ... واسلم هنالك من باك ومـــبكىِّ
واتلُ الرجـــاء على هـذا وذاك ولا ... تسألهما عن جوى فى القلب مخفىِّ
حسب المغانى التى يبكى الحزين بها ... من سلوة ، أن فـيـهـا شـدو قـمـرىِّ

* * *

شفاعة الغراب (*)

حيىَّ الغراب الفجرَ بالنعيب ... تحـيـة التـهـليل والتـرحـيب
وافـتـرَّ نور الفـجـر كـالجـيب ... فى غـيـر مـا لوم ولا تثـريب
لهـــاتف ناداه من قـــريب

* * *

(*) شدو لا نوح : هدية الكروان .

(*) شفاعة الغراب : هدية الكروان .

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحـــيىّ النور باليـــقين
تحيـة العصـفور والشـاهين ؟ ألا تـدين كلهـــا بدين ؟
فـمـاله يعـذل كـالرقـيب ؟!

* * *

شـفـاعـةَ الأنوار والأحـبـاب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصَّدحُ الهاتف بالعجاب أصـدق حـبـاً لك من غـراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسـمـعُـه والطيـر في أوان وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجاني
صـوت حـبيـبى باديَ الحنان لذلك الموعـود بالحـرمـان
وماله في الحسن من نصيب !

* * *

أمنتُ منه لوعـة الفـراق وكلٌّ (غـاق) عنده وفـاق
فـلا يزل ينعم بالاشـفـاق من الرياض الفِيح والآفـاق
ومنك يا فـجر ، ومن حبيبي

* * *

(*) الحب : أعاصير مغرب .

أسبوع فلورة (*)
أو تكريم الكلاب

(لا أعنى تكريم كلاب الجاز ، فليس تكريم هذه الكلاب بالأمر الطارئ أو البدع الغريب . وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تتزلف إليه الأسود وتمشى بين يديه السباع ، فإن المرء ليجد كيف صار إنساناً له خسة الكلب ونذالته وليست له نظرته وإهانته ، والناس تظلم الكلاب بحشره فى زمرتها ، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفتها . وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه .. ولكنى عنيت الكلاب ذات الأذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها ، والاحتفال بولادتها وتسميتها ، وأن حقاً على الناس أن يمجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت ، فهل نلام إذا نحن مجدناها فى مخلوق من مخلوقات اللّه ؟

اجتمعنا فى رهط من الأدباء ليلة من الليالى ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضى أسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا ، فقلت أبارك للنفساء وأحيى المولود ! :)

أعلنى «يا فلورة» الأفراحا ... واملأ الأرض والسماء نباحا

ما حبا الدهر بنت كلب بأعلى ... من ذراريك عنصراً ولقاحا

أبشرى ، دولةَ الكلاب ، بجروٍ ... سوف ينفى عن جيله الاتراحا

ما تقضّى الأسبوع إلا تمشّى ... يذرع الدار جيئة ورواحا

خلع الليل والنهار عليه ... فتوارى عن العيون ولاحا

حرّك الدهر ذيله حين وافى ... وعوى الكون بهجة وانشراحا !

سوف يدعى على الكلاب أميراً ... يفزع الأسد وثبةً وصياحا

يلبس الطوق من نضار ودر ... ويحوك الخز الثمين وشاحا

* * *

(١) أسبوع فلورة أو تكريم الكلاب : جزء أول .

واراه يعـــيـــد ســـيـــرة قطمـــ ســـيـــر [1] وقـــاراً وفطنة وصـــلاحـــا
لا أصـــابت عـــصـــا لـئـيم قـــفـــاه أو ثوى فى الطريق ليلَ صـــبـــاحـــا
لا ولا عـــضـــه من الجـــوع ناب يُثـــخن الناس والســـبـــاع جـــراحـــا
أو تـرامـى عـلـى الموائـد يـومـــــاً يرقب العظم ســـائلاً ملحـــاحـــا
أو بـراه داء الـكـلاب فـــأخـــفـى بين جـــفـنيـــه عـــســـجـــداً لماحـــا
كـان إيواؤها حـرامـاً فـاضـحى اليـو م إيواؤها حـــلالاً مـــبـــاحـــا
قـــد فـــرحنا فى عـــيـــده وطربنا وشـــربنا فى نخـــبـــه الأقـــداحـــا
يا كليـــبـــاً أزرى بذكـــر «كليب» لا تظنن مـــا نقـــول مـــزاحـــا
مـــا مـــدحت الأنام يومـــاً وإنى لست آلوك يا كليب امـــتـــداحـــا
أعـــجم الناس فى الوداد ومـــازا ل بنو الكلب فى الودادِ فـــصـــاحـــا
إن عيّ اللســـان خـــيـــر من النطـــ ـــق إذا كـــان للأذاة ســـلاحـــا
وســـعـــار الكـلاب أهـون شـــرا من ســـعـــار يمزق الأرواحـــا

* * *

أبو العيـــــد (*)
طائر يأكل دود القطن

أبا العـــيـــد لو جـــئت بين الأول لصلى إليك عـــبـــاد الجُـــعـل
ولا تـخـــذوك إلـهـــا لـهـم لـــه مـــلـــة بـــين تـــلـــك المـــلـــل
وقـــالـوا إلـهٌ رحـــيـــمٌ بـنـا فـــمن يدنُ منه بســـوء قـــتـل
وأبدلت من شَـــركٍ بيـــعـــة على الأرض شـــاهقـــة كـــالجـــبل
وكـــان لعـــيـــدك فى أرضـــهـم أبا العـــيـــد يومٌ عـــمـــيم الجـــذل

* * *

---

(١) قطمير : كلب أهل الكهف .

(*) أبو العيد – طائر يأكل دود القطن : جزء أول .

وعل كردفان (*)
بحديقة الحيوانات

يا وعلَ القفر كيف أسرَى ... إلى حماك العزيز أسر
ساقُك يثنينها العوادى ... والضأن عدّاءة تكرّ
سهوت عنا وعن أناس ... يعجبهم سجنك الأمر
تذكر داراً نأيت عنها ... والعمر غض الأهاب نضر
والأرض قد ملّكتك فيها ... ساقٌ لها كالرياح مر
ترود منها سهلا ووعراً ... يرضيك مرج منها وقفر
لو فرّ من حتفه وليد ... لكنت فى رحبها تفر
هذى ديار وتلك أخرى ... هيهات من كردفان مصر!
وربما خلتَها قريباً ... لها وراء الحديد عبر
لو زحزحوا بابه قليلا ... حواك من كردفان عُقر! (1)
تبلغها طفرة فأخرى ... ولا يؤد الوعول طفر
وكل ذى حاجة جهول ... وكل راجى الخلاص غر

* * *

قضاؤك الحتم فاحتمله ... واصبر وإن لم يفدك صبر
نت بحسن العزاء أحجى ... وبعض حسن العزاء كبر
تربك (2) تسليك والروابى ... حولك رفّافة تسر
ألفتَ زأر الأسود فيها ... وكان للسمع منه وقر
وكنت إن همهمت تَمشّى ... قلبٌ بجنبيك مقشعر
أمّنك الذل وهو خوف ... وحاطك الأسر وهو شر

* * *

(*) وعل كردفان – بحديقة الحيوانات : جزء ثالث . ٢١٦ (١٩ .فقرة ١٤٦) .

(١) عقر : الدار وسطها .

(٢) تربك : الترب الند والمقصود به هنا أنثى الوعل .

عش مـفـرد القـيـد ، إن أصـلا ... نماك بين الأصـول حـر
ومـا وجـدنا الإنسـان إلا ... مـضـاعف القـيـد لا يقـر
للضـيم فـيـه وفى ذويه ... حـزٌ بفـوديه مـسـتـسـر
نـحـن بـنـى آدم أسـارى ... لنـا بوشم الإسـار فـخـر

* * *

الطـير المهاجر (*)

علمـتنى مـواسم الروض أنّ الطـ ... ـيـر شـتى : مـهـاجـر ومـقـيم
أتـرانى لا أسـمع الطيـر إلا ... فى رياضى مـعـشـشـاً لا يريم (١) ؟
رب شـاد فى هجـرة يتـغـنى ... وعليـه السـلام والتـسليم
من جنوب إلى شـمـال ، وحـيناً ... من شـمـال إلى جنوب يحـوم
فله حين يسـتـقلّ (٢) وداع ... وله حين يقـبـل التـكـريم
خـذ من الطيـر كلّ يوم جـديداً ... فـسـواء جـديده والقـديم
كم مُـوَلٍ وصـفـوه لا يولى ... ومـقـيم وصـفـوه لا يقـيم

* * *

حديقة حيوانات آدمية (*)

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون ، سمى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فى اختياره اتفاق الشبه فى الملامح والعادات . وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف فى أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغنى ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهى لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان :)

أورفـيـوس الفن سـوّى بينهـا ... فـتـلاقى الدُّبّ فـيـهـا والقـرودْ

(*) الطير المهاجر : أعاصير مغرب .

(١) يريم : يفارق .

(٢) يستقل : حين يبرح ويسافر .

(*) حديقة حيوانات آدمية : وحى الأربعين .

وتغَنّى فرَسُ البحر بها ... ياله من فرس طَلْقِ النشيد !
ومشى الأرنب والحوت لها ... صاحبا القاعين من لُج وبيد
وتآخَى الجِديُ والضبْع وما ... بين هذين سوى الثأر اللدود
وجرى «السيسيُّ» فيها شوطه ... وهو ناهيك بسيسى عنيد
ولغا «البطريق[1]» فيها لغوه ... وهو من قطب جنوبيٍّ بعيد
وكأنى بالزرافَى [2] اجتمعتْ ... وحمير الوحشِ منها فى صعيد
وأوى السنَّور والجرو إلى ... نمر فيها ، على غير الوصيد [3]
والسُّلَحفاةُ تجارى عندها ... أرنب البيداء والكلب الصَّيود
فُتحتْ أقفاصها واختلطتْ ... لا سدود ، لا قيود ، لا حدود
حيواناتٌ نماها آدم ... وهى من أبنائه نسلٌ فريد
حيواناتٌ ولكن بينها ... كلُّ ذى لب سماوىٍ رشيد
أورفيوس الفن سوّى بينها ... فاستوى المنشد فيها والمعيد

* * *

رثاء كلب (*)

حزناً على كلب طاهر [4] ... فإنه طاهر الكلاب !
تشابها فى خليقةٍ ... واتفقا – شيمةَ الصحاب
وربما عَىّ طاهرٌ ... وكلبه حاضر الجواب
فليس يُوفيه حقه ... من اكتئاب أو انتحاب
إلا إذا بات نابحاً ... نبح المساعير فى الخراب
عوْعوْ ، عَوْوَوْ ، بلا وبىً ... ولا انقطاع ولا اقتضاب

* * *

(١) البطريق : هو الطير المعروف فى اللغات الأفرنجية بالبنجوين .

(٢) بالزرافى : جمع زرافة .

(٣) الوصيد : العتبة ، وفى البيت إشارة إلى الآية «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .

(*) رثاء كلب : وحى الأربعين .

(٤) طاهر : هو الأديب طاهر الجبلاوى .

لا تسألوا رحمة له ... قد رحم اللّه واستجاب
لعله مات قانطاً ... من «أزمة» الأكل والشراب
منتحراً فى شبابه ... وهكذا يفعل الشباب
أراحه اللّه من ضنىً ... أنقذه القبر من عذاب
فليحمد اللّه ربه ! ... من جاع فليرضَ بالتراب

* * *

كلب ضائع (*)

أوديوجين الكلبى (*)

أمست كلابك شتى ... وأنت يا صاح أنتا
كلبٌ نجا وهو حىٌّ ... وآخرٌ فرّ ميتا
ما بين تاركِ دنيا ... وتارك لك بيتا
قل لى بربك ماذا ... على الكلاب جنيتا
حتى «ديوجين[1]» ؟ قل لى ... يا شيخُ ماذا صنعتا
واللّه ما كان يأبى ... لو صادف الخبز بحتا
أو جَدتَ يوماً عليه ... فصادف الأدْمَ زيتا
زعمتَه راح يهوى ... من قومه الغرّ بنتا
لا تلزم الحب ذنباً ... من الصيام تأتى
فاحمل رغيفاً تجده ... فى أى صوب نظرتا
مصباحه [2] ليس يجدى ... فلا تُضع فيه وقتا
أنعمْ به من حكيم ... إلى ديوجين متَّا
رأى السلامة حقا ... ومن رأى الحق أفتى

* * *

(*) كلب ضائع – أوديوجين الكلبى : وحى الأربعين .

(١) ديوجين : الكلبى فيلسوف يونانى . قد سمى الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية .

(٢) مصباحه : كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً فى النهار يفتش به عن رجل فلا يجده .

أمام قفص الجيبون (*)
فى حديقة الحيوان

(القرود العليا هى الشمبانزى و «الأرانغ أتانغ» و الغورلا» و«الجيبون» وهو فرع وحده فى رأى كثير من النشو ئيين ، لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف .

ومن هذه القرود العليا ما يصلح – من الوجهة الشعرية – أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزى» لتأمله وسكونه وإشمئزازه من الحياة !

ومنها ما يصلح أبا لرجال المطامع والوقائع وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله .

ولكن «الجيبون» وحده هو الذى يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين لأنه لعوب طروب ، رشيق الحركة خفيف الوثوب يقضى الكثير من أوقاته فى الرقص والمناوشة ، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبرواته ، وإذا صعد أو هبط فى مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط فى حركات موزونة متعادلة كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ فى مساواة الوقت ولا فى مضاهاة المسافة ، فإذا شهدته فاسأل نفسك :

ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو فى «سلم الرقى» ولم يأت على درجات السلم كلها صعودا ووثبا فى بضعة ملايين من السنين ! هذا سؤال ، وسؤال آخر تعود فتسأله : ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد ؟ الطعام المطبوخ ؟ هو يأكل طعامه الآن نيئا وذلك أنفع ، أو يأكله مطبوخا على يد غيره وذلك أدنى إلى الراحة !!

أو يفيد العلم ؟ قصاراه إذن أن يقول «لست أدرى» كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود .

أو يفيد وزن الشعر ؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض . وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعانى ، وهو قاعد حسير ! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات :)

(*) أمام قفص الجيبون : عابر سبيل .

أيهــذا الجــيــبــون أنعم ســلامــا يا أبا العــبــقــرىّ والبــهلوان
كــيف يرضى لك البنون مــقــامــا مُــزريا ، فى حــديقــة الحــيــوان ؟

* * *

إلعبْ الآن وانتظر بعــدُ حــقْــبــا تــرقَ فــى «ســلــم الــرقــى» وتــعــلُ
كــيـف لم تصــعــد الســلالم وثبــا أيهــــا الصــــاعـــــد الذى لا يمل

* * *

يا عــمــيــد الفنون صــبــراً ، ومــهــلا وارض حظ الهــتـــاف والتـــهليل
مــرحــبــا مــرحــبــا ، وأهلا وســهــلا والهـــــدايا مـــــا بين لب وفــــول

* * *

انتظر يا صــديق شــيــئــاً فــشــيــاً تطبخ القـــوت كله بيــــديكا
غــيــر أنى أخــال مــا كــان نيــئــاً منه أجـــدى فى الحـــالتين عليكا

* * *

انتظر يا صـــديق مليـــون عـــام أو مــــلايين ، لست واللّه أدرى !
إن تدانيت بعـــدها من مـــقـــامى فــقــصــارى المطاف أن لست تدرى

* * *

واصطبــــر إن عناك نثـــر ونظم ســـوف تتلوا نثــرا وتنظم شــعـــرا
وغــدًا يطفــر الخــيــال ويســمــو والذراعـــان لا تطيـــقـــان طفـــرا

* * *

وجـــمـــال الوجـــوه ســـوف تراه فى المرايا ، بعــــد الطواف الطويل
ســــوف تحلو فى ناظريك حـــلاه فــتــهــيــأ للضم والتــقــبــيل !

* * *

وإذا مـــــا درست أوزان رقـص بعـد لأى ، فـالرقص فـيك انطبـاع
هل تنال الكمـــال من بعـــد نقص إن أقـلـتّـك فـكـرة ، لا ذراع ؟

* * *

قـفص أنت فـيـه أرحب جـدا من فـضـاء ، نقـيم فـيـه أسـارى
قـد ضللنا فـيـه وهيـهـات نهـدى ونجـوم الســمـاء فـيـه حـيـارى

* * *

انتظر ! ســوف تفـهـم الشىء باسم بعـد رسم ، وغـابر بعـد حـال
فـإذا مـا طلبت باطن فـهـم يا صـديقى ، طلبت أى مـحـال

* * *

أين بالأمس كنت يوم ابتـدأنا والتـقـينا بآدم فى الطريق
قـد بلغنا . فـأين تبلغ أينا حين تمضى وراءنا يا صـديقى ؟

* * *

إلهُ والعب واضحك كما شئت منا أنت طفل الزمـان ، والطفل غـر
سوف تبكى حزنا وتضحك حزنا حين يمضى دهرٌ ويقـبل دهر

* * *

عتب على الجيبون (*)

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة ، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو فى تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب ، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة ، كأنه هو الذى يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه ، وفى الأبيات التالية رجاء كذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء فى مدحه وتقريظه :)

أيها الجيبون لا تفـ ... ـضح تقاريظى وشكرى
أنت بعد اليوم محسو ... ب على نقدى وشعرى
أنت إن لم تحسن الرقـ ... ـص فمن يحسن عذرى ؟
أنت إن قصرت قالوا ... شاعر بالزور يطرى
ما لذا العقاد والتقـ ... ـريد و «التقريظ» يغرى
أنه يهرف بالمد ... ح ولكن ليس يدرى
فاملأ الأقفاص يا جيـ ... ـبون طفرا أى طفر
وقل العقاد لا يخطـ ... ـئ فى تعريف قدر

* * *

(*) عتب على الجيبون : عابر سبيل .

بيجـــو (*)

رثـــــاء

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حـزناً على بيـجـو تثـور الضلوع
حـزناً عليـه جـهـدَ مـا أسـتطيع
وإن حـــزناً بعـــد ذاك الـولوع
واللّهِ - يابيـجـو - لحزنٌ وجـيع

* * *

حـــزناً عليــه كلمـــا لاح لى
بالـليل فى ناحــــيــــة المنزل
مُـسـامرى حـينا ومـسـتـقـبلى
وسـابقـى حـيناً إلى مـدخلى
كـــأنه يعلـم وقت الرجـــوع

* * *

وكلمـا داريت إحـدى التـحفْ
أخـشى عليـهـا من يديه التلف
ثـم تنبـــهـت وبى من أسـف
ألا يصيب اليوم منها الهدف . .
ذلك خـيــر من فـؤاد صـديع

* * *

(*) بيجو : أعاصير مغرب .

حـزنى عليـه كلمـا عـزنى
صـدق ذوى الألبـاب والألسن
وكلمـا فـوجـئت فى مـأمنى
وكلمـا اطمـأننت فى مـسكنى
مـسـتـغنيـاً . أو غـانيـاً بالقنوع

* * *

وكلمـا ناديتـه ناسـيـاً :
بيـجـو ! ولم أبصـر به آتيـا
مداعبـا مبتـهجـاً صـاغيـاً . . .
قـد أصـبح البـيت إذن خـاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحـسبنى ذاكـره مـا حـيـيت
لو جـاءنى نسـيـانه مـا رضـيت
بيـجـو مـعـزىٌّ إذ مـا أسـيت
بيـجـو مناجىٌّ الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيـجـو الذى أرقب عند الرواح
بيـجو الذى يزعجنى بالصـياح
لو نبـحـةٌ منه ، وأين النبـاح ؟
ضيّعتُ فيـها اليوم ما لا يضيع

* * *

خطوته . . . يا برحـهـا من ألم
يخـدش بابى وهو ذاوى القـدم
مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بـنـظـرة أنـطـق مـن كـل فـم
يا طول مـا ينظر ! هذا فظيع !

* * *

ثم لا أرى النوم لعــينى يطيب
أنتم خـبـيـرون بنهش القلوب
يا آل قطمـيـر هواكم عـجـيب
غاب سنا عـينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . ولا من طلوع

* * *

ثم واترك الأفـــواج يوم الأحـــد
والبــحـــر طاغ والمدى لا يُحـد
عــيناى فى ذاك وهذا الجســد
بوحــشــة القلب الحـزين انفـرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجـــزاء
يا واهب الود بمحض الســخـاء
يكذب من قـــال طعـــام ومـــاء
لو صح هذا ما مـحضتَ الوفـاء
لغـائب عنك . وطفل رضـيع

* * *


قصص وأماثيل

سباق الشياطين [*]

يا شـيـاطين الدجى حىّ هلا [1] وتغنّى الآن بالفعل الذميم
أيّكم فى الناس أعلى منزلاً فله عندى مقاليد الجحيم

* * *

رنّ فى الندوة صوت الكبرياءْ رائعَ الصيحة مرهوبَ الصدى
قال إنى أنا داء الأعلياء أنا داءٌ لهُم فيه الردى
مالئٌ بالغيظ قلب الضعفاء تارك النابه [2] فيهم أوحدا
رُب خير بت أجريه على منهج الفتنة والشر العميم
ووضيع رحت أذروه إلى مطلع النجم كما يُذرى الهشيم

* * *

ومشى الشيطان شيطان الحسد مشية الأفعى إلى وكر القطا
شاحبَ السحنة مهضوم الجسد خائفاً فى جبنه قد أفرطا
قال : لو شئت لما حاز أحدْ منكم السبق وإن جدّ الخطأ
بذوى القربى ولُوعى والأولى بينهم قربَى سهيم من سهيم [3]
أجدر الناس بأن يتصلا حائل بينهما كيدى العظيم

* * *

ونبرى للقول يأسٌ معضلُ كلما هم تولاّهُ الضجر
قال ما لليأس فيكم مأملُ لا ولا يرجو مقاليد سقر
بيد إنى قاتل لا يَعقل ومن القتل حياة للبشر

(*) سباق الشياطين : جزء أول . ٥٠ (٣٥ فقرة ٥٦) .
(١) هلا : أى أقبلى وتعالى .
(٢) النابه : المشهور .
(٣) السهيم : الشريك والحسد موكل بالنظراء من الناس وهم أحق الناس بالمؤاخاة .

أنـا إنْ أيـأسـت مـن وِرد حـــــــلا   فكمـــا ييـــأس مـن ثديٍ فطيـم
فــذرونى ! كـــيفَ أبغى مـــؤئلاً   بـين خنَّاس ووســـواس رجـــيـم ؟

* * *

ثـم أبدى الـلـيـل شـــيطانَ الندمْ   ضــارعــاً يفـرق من خــفق الهـواءْ
اخـــرس المِقـــوَل من غـــيـــر بكم   ولقـــد ينطق حـــيناً بالبكـاء
يمقت الإثـم ويـغـــــرى من أثـِم   بذنوب مـــاله منهـــا وقـــاء [1]
يمقت الإثـم ويغـــرى بـالطلا [2]   وهـو بالشـــارب ينبـــو والـنـديم
يغـــفـــر الموتور للجـــانى ولا   يرحـم الجـــانىَ من وخـــز أليـم

* * *

ومـــشـى من جـــانب الحب أنينْ   كـــشـــواظ النـار يرمى بالشـــرار
لفح القـــومَ فـــهـــبـــوا صــارخين   وهُـم فـى الخلـق من مـــــارج نـار
أنا شـيطان الهـوى أفـرى الوتين [3]   كل من أغـــشـــاه مـــسلوب القـــرار
أنا للبـــغـض ســـبـــيـل والقلى   وســـبـــيل للرزايا والهـــمـــوم
ليس فـى الكون مكان قـــد خـــلا   من صـــراعٍ أنا مـــوحــيـــه القــديم

* * *

ودعـــا الداعى بشـــيطان الكسلْ   فـــتـــمطى ســـاعـــةً لا ينطق
قـــال لو راودت نجـــمـــاً لأفل   وثوى فـي أفـــقـــه لا يشـــرق
آفـة القـول جـمـيـعـاً والعـمل   وبلاء اللّه فـــيـــمـــا يخلق
ورأى وجـــه الرياء المقـــبـــلا   فـــتنحى خلفـــه وهو كظيـم
مـــذ رأوه هتـــفـــوا مـــا أجـــمـــلا   وهو يزوى عنهـمـو الوجـه الدميـم [4]

* * *

(١) وقاء : كم أدى ندم المجرم على جريمة إلى اقتراف جريمة أخرى !! .
(٢) بالطلا الخمر .
(٣) الوتين : عرق بالقلب .
(٤) الدميم : للرياء وجهان : وجه جميل يظهر به للناظرين ووجه يستره عنهم .

قـــال : إنى أنا شـــيطان الرياء ... صـاحب الوجـهين أملود [1] اليـد
ألبس الأعـداء جلبـاب الإخـاء ... وأعـيـر العـبـد وجـهَ السـيّـد
وأمـيت النفس فى طى الخـفـاء ... فـهى تحـيـا كـالرفـات الملحـد
أنا فـيـمـا ابتلى صنو البلى ... أبدل الأحـيـاء إبدال الرمـيم
مـيتٌ من عـاش يومـاً مـبـدّلا ... ومـسـيخٌ وجـهـه وهو وسـيم [2]

* * *

أنصت الجـمع ولم يبق سـوى ... حكم إبليس بسـبق السـابق
رجع الأمـر إليـه فـاسـتـوى ... يلحظ الرَّهط بعـينى حـاذق
ثم نادى بالرياء المجـتـوى [3] ... فـأبـى الخب إباء الماذق [4]
قـال تـأباهـا ولـولاك المجلَّى ... غـيـهب الأرض فكانت كـالنعـيم
دونك الدنيـا اتخـذها منزلاً ... وتولَّ اليـوم أبواب الجـحـيم

* * *

كولمب فى الأقيانوس (*)

مـن لـكولمب والمخـاوف تثنيـ ... ـه وتزجـيـه خـادعـات الغـرور
هام بالعـالم الجـديد كـمـا ها ... م تقى بالعـالم المسـتـور
مـا ابتـغى جيـرةً هناك ولا أهـ ... ـلاً ولا عـاذ عنده بنصـيـر
أى أهل وجـيـرة لهـمـام ... أوْحَـديّ المنى قليل النظيـر

من له فـاتحـاً . ومـا فـاتح المجـ ... ـهـول يومـاً كـفـاتح المنظور
ضـارباً فى حـشا خضـارة [5] تعلو ... ه سـمـاءٌ عـمـيـقـه التـدوير

---

(١) أملود : ناعم .
(٢) وسيم : من أظهر شعوراً غير شعوره فكأنه ميت حرم الحياة لأن الحياة هى الشعور .
(٣) المجتوى : المكروه . (٤) الماذق : المتلون .
(*) كولمب فى الأوقيانوس : جزء أول .
(٥) خضارة : من أسماء البحر والمحيط الأطلسى كما لا يخفى لم يذلل للركوب قبل سفر كولمب فكأن ظهره ظهر الأوابد أى الوحوش والحيوانات التى يسلسها الركوب .

يعتلى صهوة الخِضَمّ خضمًّا — لم يوطّأ ، كالآبد المذعور
بين سخطين من صحاب غضاب — أين يمضى ؟؟ وعيلم تيهور
يذرع الليلَ والفضاءً بطرف — شاخص لحظه ووجه وقور
ويضل الفجاج فى الصبح حتى — يسبلَ الليلُ خيمةَ الدّيجور
فإذا النجم كالسفينة ركبٌ — ليس يدرى هناك عقبى المسير

من لكولمب لا السماوات تهديه ولا النور فى دجاهُ بنور
يسأل السحب أين مسراك غرباً — أين ترمين بالحيا المسجور [1]
أمعادٌ به إلى البحر أم تُحيين منه الثرى بصوب غزير
إنما يزجرُ السحاب وما كان سحاب بالطائر المزجور [2]
لو نعيبَ الغراب [3] يسمع لاعتدّ نعيب الغراب صوت بشير
فى سماءٍ ما قط حوّم فيها — غير غادى سحابها من طيور
كلّ يوم يرى بساطاً من الموج شبيهةَ المطوى بالمنشور
فيرى الراكبوه أن لن يزالوا — راسياً فلكهم رسو ثبير [4]
تظهر الشمس كل يوم ولا يأذن للأرض حاجب بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راحاً — مدها الله من وراء البحور [5]

* * *

غرضٌ كان لم يصب منه خيراً — وتولى وليس بالمشكور
ذلكم آدم الذى أورث الناس كميراث آدم المعمور !

* * *

لا تلوموا الكبير يركب هولاً — إنما الهول من مطايا الكبير
إن قلب العظيم بحر زخور — فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلال فى اليمّ أرهب منه — صراعاتُ الضلال فى التفكير

(١) الحيا المسجور : أى المطر المخزون .

(٢) زجر الطير : صناعة كانوا يزعمون فى الجاهلية أنها تكشف الغيب .

(٣) الغراب : الناس تتشاءم بنعيب الغراب ولكن كولمب لو رآه قبل وصوله إلى أميركا لعلم أنه طار عن البر الذى كان ينشده فكان له بشيراً .

(٤) رسو ثبير : المناظر متشابهة فى عرض البحر الفسيح فإذا أصبح السفر فرأوا السماء فوقهم والماء تحتهم كما كانوا أمس حسبوا أنهم أصبحوا بحيث أمسوا وإن فلكهم كالجبل الراسى الذى لا يتحرك .

(٥) الراح : جمع راحة اليد .

الأثواب الثلاثة (*)

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك ، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك بل هو فى الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصبو إليه وهو صعلوك حقير . فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأى نفس أخرى . فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمنى والعمل وهذا مثل تقسيم الأثواب فى القصيدة التالية فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحدا منها ، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه . فكيف كان الإنسان إذن يرضى عن نصيبه ؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط أو إذا تساوى الناس فى كل شىء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر .

ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطاع إرضاء الناس جميعا إلا بما فيه خراب الكون .)

ليلة العيد أقبلت بالسعود ... فاكتسى بالجديد كل وليد

واكتست بالجديد كل فتاة ... لبست جدةَ الجمال الفريد

وتواصت على الثياب أخيّا ... ت ثلاث فتنَّ بالتقليد

يتسترن بالإخاء وتُزهى ... كل أخت بحسن وجه وجيد

لا تجل (العذراء) إن لم تجدها ... فى كساء من الطراز الجديد

قمن يقسمن بينهن شفوفاً ... غاليات من زاهيات البرود

لاحقات الأثمان بعضاً ببعض ... واختلاف الألوان جِدّ شديد

فتنازَعنها مليًّا وولت ... كل أخت بريبة المزؤد (١)

تنتقى الثوب ثم تزهد فيه ... ثم تُغرى بثوبها المردود

لم يكن غيره بأخلب وشياً ... لا ولا كان همها فى المزيد

(*) الأثواب الثلاثة : جزء أول .

(١) زأده : أفزعه .

حـسـداً والضـئـيل يبـدو جليـلا ... إن رآه الـفـتى بعين حـسـود

* * *

هكذا الخلق فى الحـيـاة تعـادوْا ... فى حظوظ مـقـدورة وجـدود

ظلمـوا دهرهم ولو بلغـوا السـؤ ... ل لما كـان عندهم بسـديد

لا تظنوا الشـريد يرضى بأن يُبْـد ... ل من همـه بهم العـمـيـد

لو تمنى العـروش لم يرض أن يخلـ ... ـع فـوق العـروش نفس الشـريد

وأحب النفـوس نفـسك لكـ ... ـنّ أحب الحظوظ حظ البـعـيـد

* * *

غادة أثينا (*)

حـدثى عن دولة الإسكندر ... يا عـروس الشعـر واروى واذكـرى (١)

* * *

كـاعب كـالظبى إلا أنهـا ... دون نهـديهـا جنان القـسـوَر (٢)

علّمـتـهـا أمٌ علـمـت ... صنوها البـأس وقـور الضُّـمّـر (٣)

رضـعـت ثدى أثينا حـرةً ... ونمت فى أمـة لم تقـهـر

أمـة حـسب بنيـهـا سـودداً ... أنهـم رهطٌ عـزيز العـنصـر

وغـزاها فـاتح الأرض كـمـا ... تحـدق النار بوكـر الأنسُـر

وابتلتـه بحنان صـابر ... وابتـلاها بالعـديد الأكـثـر

وسطا الجند عليـهـا كـالدّبا (٤) ... بين ألفـاف النبـات المثـمـر

* * *

(*) غادة أثينا : جزء أول .

(١) هذه الحكاية مأخوذة من سيرة اسكندر فى تراجم فلو طرحش بتصرف كثير .

(٢) القسور : الأسد .

(٣) الضمر : المعنى أن الأمة التى تعلم بناتها العفة هى الأمة التى تعلم أبناءها الشجاعة وركوب الجياد .

(٤) كالدّبا : الجراد .

راود الغادة منهم قائد — سيئ الخيم غَرىّ المنْظر (١)
أيها الفاتك بالعرض الذى — صانه الطهر ترفق واحذر
أغمد السيف فهذى وقعة — لم تصب فيها ، لمَّا تظفر
خضت حرباً ليس من آلاتها — منصل العضب وسَرْد المغفر (٢)
دون ذاك النصل سيف لهذَم — من شبا اللحظ وقد سمهرى (٣)
دون ذاك السور سد محكم — من عفاف واضح للمبصر
دون ذاك الحصن قلب مضمر — كيف يُرمى حسن قلب مضمر ؟
تبَّت الحرب فما فى غيرها — حل للجيش حرام المِنْسَر (٤)

* * *

أيأسته من رضاها فارتضى — من حلى الغيد بخط المشترى
قال أين المال ؟؟ قالت هاكه — يم البستان وابحث وانظر
دونك البستان فانزل بئره — والتمس فيها نفيس الجوهر
إننى أحرزت فيها لؤلؤا — ليس يُلفى مثله فى الأبحر
وأتى البئر فزجته يد — بضة بيضاء مثل المرمر
فتردَّى ، فارعوت تقذفهُ — برجوم كالغمام الممطر
واحتوته البئر فى أعماقها — كاحتواء النفس سر المنكر
إن من كانت حضيضاً نفسه — لحقيقٌ بالحضيض الأكدر

* * *

ورآها الجند فاجتازوا بها — عند ذى القرنين هوْلَ المحشر
لابس الغار عليه أخضرا — وهو مفنى كل زرع أخضر
وقفت وقفة لا مستعظم — عزةَ الملك ولا مستغفر
قال من أنت ؟ فقالت «إننى — أخت (ثيجين) الأبىّ الشَّمرى

---

(١) المنظر : الخيم الطبع وغرى أى يغرى بجماله .

(٢) المغفر : منصل العضب أى حديد السيف وسرد المغفر أى نسج الدرع .

(٣) سمهرى : اللهذم القاطع والشبا الحد .

(٤) المنسر أن ما يحرمه الناس على مناسر اللصوص يحللونه فى الحرب .

أخت (ثيجين) فسل مِن قومكم ... عنه مَن لاقاه تحت العِثْيرَ [1]
مات فى الحرب التى أرَّثها [2] ... بغى فيليب أبيكَ الغمشر
ذاد عن أوطانه ثم افتدى ... دوحة المجد بغصن «مزهر»

* * *

قال ذو القرنين إنى باسط ... لك فيْأ [3] فاسكنى أو فاهجرى
وخذى مما وهبنا أو دعى ... لن تُنالى بالأذى فى عسكرى

* * *

أورمزد واهرما (*) (٤)

أورمزد يا مخلفَ آمالى ... آمالى يا مخلقاً جدَّة سربالى
إذا تجهمت لأهل الثرى ... مزقت بالأضواء أوصالى [5]
وتمسح الأدمع من عينها ... حتى يبيت الصب كالسالى
الآن فلأحجبك عن أعين ... أحييتَها فى الزمن الخالى

* * *

مقالة فاه بها أهرما ... ثم مشى مشية مختال
لاقى بها الشمس وقد صدها ... بالغيم عن سهل وأجبال
يضحك بالرعد ويبدى لها ... بالبرق عن أنياب أغوال
فالتفتت فى برجها لفتة ... وابتسمت هادئة البال
قالت وهل يحجبنى شانئ ... لولاى لم يلحق بأذيالى ؟

---

(١) العثير : غبار الوقائع .
(٢) أرثها : أوقدها .
(٣) فيأ : ظلا .
(*) أورمزد واهرما : جزء أول .
(٤) هما إلها الخير والشر عند قدماء الفرس وقد مثلت لأولهما بالشمس وللثانى الغمام .
(٥) الأوصال : هى الأعضاء .

تحـــجــــبنى حـــيناً ولكننى أزجـــيك للخــيـــرات والنـال [1]
لو علم الناس مــصـــيـــر الأذى لنافـــســـوا فى الشـــر بالمال

* * *

عند حـــلاق (*)

مـــا بالهـــا تطفـــر كـــالغـــزال ســـاحـــرةً بالتـــيـــه والجـــمـــال
هيـــفـــــاء من أوانس الأندلس ذات جـــبين كـــالنهـــار المشـــمس
قـــد أســـفــرت حـــاليـــةً بالنَّور فى وجنة ومـــــقـلة وثغـــــر
من كـلِّ زهر نـاضـــــر الرواء والزهر لا ينضـــر فى الشـــتـــاء
ثم اســتـــوت فى مـــجلس هناكـــا تمد للخـــلائق الشـــبـــاكـــا
أمـــامـــهـــا المرآة فـــيـــهـــا يظهـــر مـا ليس فى غـيـر المرائى تبـصـرُ [2]
تمثـــالهـــا فى صـــفـــحـــة البلور مـــرتســـمـــا بريشـــة من نور

* * *

وكـــان يرعـــاها أريب كـــيِّس فـــقـــرَّ فى مـــوضـــعـــه لا ينبس
وصـــــــوّب الطرف إلى الرذيلة يرمق تلك الصـــورة الجـــمـــيلة
كـمن يهـاب الشـمس فى السـمـاء فـــيـــرتضى بقـــرصـــهـــا فى الماء
وســاءها حـــتى إلى الطيف النظر ! أهكذا تبـــخل ربات الخـــفـــر ؟
الحـــــــسن إن ضن بـه المليح كـــالمال إذ يدفنه الشـــحـــيح
والزهر إذ يزكـــو لغـــيـــر ناشق والبـــدر إذ يبـــدو لغـــيـــر رامق
فـأقـــبلت غـــضـــبى إلى قـــرينهـــا وأومـــأت ســـخـــراً إلى مـــجنونهـــا !
قـــالـت ألا تنظر للمـــغـــرور حـــدّق فى المرآة كـــالمســـحـــور
مـــازال يرنو نحـــوها بالطرف حـــتى لقـد أخـجل فـيـهـا طيـفى

---

(١) النال والنوال : بمعنى واحد .

(*) عند حلاق : جزء أول .

(٢) تبصر : المعنى أنها ترى أمامها فى المرآة ما لا تبصره هى إلا فى المرايا لندرة من يماثلها من الحسان .

فـــأومـــأ القـــرين للحـــلاق   يبـــتـــسم ابتـــســامـــة الإشـــفـــاق
وقـــال : قل للصـــاحب الصـــديق   لا يكســـــر المرآة بالتـــحـــديق
من يكْثـــر اللمح لهـــا بالليل   قـــد يعـــتـــريه خـــبل فى العـــقل

* * *

فـــأطرق الأديب كـــالمســـتـــعـــتب   وقـــال «عـــفـــوًا» يا قـــرين الكوكب
مـــا فى المرايا ثَمّ من شـــيطان   يُخـــاف منه المسّ للإنســـان
لكنّ فـــيـــهـــا ملكاً مكمّـــلا   يوحى لنا الحـــسن كـــمـــا تنزلا
ملكتَ منه الذات واســـتـــأثرتا   فـــفـــز بهـــا مـــغـــتـــبطاً ، هنئـــتـــا
ودع لنا هذا الخـــيـــال مـــغنمـــا !   ليس الخـــيـــال حـــرمـــاً أو مـــحـــرمـــا

* * *

أمنـــا الأرض (*)

(مغزى هذه القصيدة أن الخوالج التى تحرك الأطفال هى الخوالج التى تتصرف بالرجال ، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادّون بالحيل التى تخدع بها الأطفال وهم لاعبون ، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون) .

أســـائلُ أمنا الأرضـــا   ســـــؤال الطفل للأم
فـــتـــخـــبـــرنى بما أفـــضى   إلى إدراكـــــه علـــمى

* * *

جـــــزاها اللّه مـــن أمّ   إذا مـــا أنجـــبت تئـــدُ [1]
تُغـــذّى الجـــسم بالجـــسم   وتـــأكل لحـــم مـــا تلـــد

* * *

(*) أمنا الأرض : جزء ثانى .
(١) تئد : تدفن أولادها .

ألا يـا أمّ كـم طـلـعـــــــا　　عليك الشـــمس والقـــمـــرُ
وكـم أسنى وكـم وضـــعـــا　　على أرجـــائك الـقـــدر

* * *

أقــامــوا أمسِ وانصــرفــوا　　فليس لفَلّهم [1] شـــمـلُ
فـــأين نفس من سلفــوا　　وأيـــن يـكـون مــن يـتـلـو

* * *

فــقــالت فى مــلامـحكم　　يـبـين الجــــدّ والخلَف
فـجــوســوا فى جــوانحكم　　فــثمَّ يجــوس من سلفــوا

* * *

وأين عظام من نبـــهـــا [2]　　من الماضين فى السِّـــيـــر
فــقــالت قــد صنعت بهــا　　لكم حلوى من الثـــمـــر !

* * *

ومــــا المجـــد الذى أضــرى　　قلوب بنيك فـاشـتـجـروا ؟
فــــقـــالت حلة كــبـــرى　　يراها القلب لا البـــصـــر

* * *

فـقلت لهـا : فـمـا العـمل ؟　　فـــقـــالت خـــادم الحُلْم
ومــــا الأحـــلام والأمل ؟　　فـــقـــالت حـــيلة الأم

* * *

وقـــد يُحــتـــال للطفل　　على خـــيـــر له مُـــجـــد
ألا يـنـبــــو عن الأكـل　　إذا لـم يُغـــرَّ بالوعــــد [3]

* * *

(١) فل الجيش : هو ما تبدد منه .　　(٢) نبه : اشتهر .

(٣) بالوعد : الأمل كاللعبة التى توضع أمام الصبى ليمشى إليها حتى إذا بلغها أبعدت عنه وهكذا إلى أن يقوى على المشى وكذلك الأمل كلما بلغنا منه منزلة لاحت لنا منزلة أعلى فيبعثنا على العمل الذى يقدمنا ولولاه لما عملنا .

فقلت لها ما السَّقمُ ... وما الآلام والبلوى
وما الآفات تخترم ... شبابَ الأحور الأحوى ؟

* * *

فقالت إنما البلوى ... عقاب الطيش والنَّهم
فإن جرتم على الحلوى ... هززت لكم عصا الألم

* * *

وقلت لها فما الذهبُ ... وفيمَ طويته عنا
فماج الناس واضطربوا ... فلا عطفاً ولا أمنا

* * *

فقالت لست أحسبه ... سوى ضرب من الحجر
وإن الطفل مطلبُه ... أشد لكل مستتر

* * *

يجد الطفل مفتتنًا ... بما لم يُبِده العلَنُ
ويحسب جهده ثمنًا ... لشيء ما له ثمن !

* * *

لَزدت بقولها خُبْرًا ... وزدت بقولها جهلا
فما ألفيته وعرًا ... وما ألفتيه سهلا

* * *

وصحت بها إلى أينا ... إلي أين المصير بنا ؟؟
فغضّت عينُها الجفنا ... وصدت عنّيَ الأذُنا

* * *

بنى الدنيـا لعـابِ بهـا ... ففى الأبواب قصّاد
لكم يوم بملعبها ... وتحت الأرض آباد

لهـا ملهىً تكرره ... إذا ما انفضّ لم يُعقدْ
نغـادية فننظره ... ويوصَدُ بابُه السرمد

سيـان (*)

ياشمس ما ضرّك لو لم تشرقى ... يا روض ما ضرك لو لم تعبق
يا قلب ما ضرك لو لم تخفق ... سيان فى هذا الوجود الأحمق

من كان مخلوقًا ومن لم يخلق

المعرى وابنه (*)

قال المعرى :

وإذا أردتم بالبنين كرامة
فالحزم أجمع تركهم فى الأظهر

(فهو والدرؤف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم ! فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه ! ومتى كان الأبناء يعرفون البر للآباء؟ والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم العدم) .

يا أبى ! طال فى الظلام قعودى ... فمتى أنت مخرجى للوجود ؟
طال شوقى إليك فاحلل قيودى

(*) سيان : جزء رابع .
(*) المعرى وابنه : جزء ثانى .

يا أبى عـــالمُ الظلام مـــخـــيف ليس يقـوى عليـه طفل ضـعـيف

فاجزنى من ظله المسدود

حَـدّثونا عن الحـيـاة العـجـاب فلهـــجنا بحـــسنهـــا الخـــلاّب

وظَمئنا لحوضها المورود

حـــدثونا عن الدجى كـيف يسطو وعن الصـبح بعــده كـيف يعطو

وعن النحس فيهما والسعود

حـــــدثونا عن دارها وبنيــــهـــــا وجـهـادٍ يُمنى[1] به القـوم فـيـهـا

وعن الموت بعدها والخلود

أرنى الجــهــر يا أبى والخــفــاءَ أى شىء ذاك المســمّى شــقــاءَ ؟

أى سر يُراد بالمولود ؟

مـا الوجـوه الحسـان ؟ ومـا النُّوار ؟ ما الدراريّ ؟ مـا الفلا ؟ ما البحار ؟

إن دأب الوليد حبُّ الجديد

لـى جــــــدود وليـس لـى أبـوان ولـئـن شـــئـت آن فـــيكم أوانـى

وتملَّيت قسمتى فى الوجود

* * *

ولـدى ! إننـى أبـوك الرحــــــيـم أنـا بـالـعـــــيـش يابـنـى عـلـيـم

لا تصدق مقالةً من بعيد

مـا حـيـاةٌ تشـقى وتسـعـد فـيـهـا تتـــعنَّى لكن بما يعنيـــهـــا

فى عظيم تُبلى به أو زهيد

(١) يمنى : أى يبتلى .

يحسب الحى جهده لهواه · جهل الحىَّ جهدهُ لسواه
إنما المرء آلة للجدود(1)

إنّ غُنم الحياة من لم يجده · لم يُمتّع به ، ولم يفتقده
فاغتنم ربح شرها المفقود

شرها يا بنىَّ شرٌّ ثقيل · خيرها يا بنىَّ خيرٌ قليل
أهلها يا بنىَّ أهل حقود

زعموها إلى الخلود تؤدى · ما رأينا سوى فناء ولحد
فيه مُوْد على تجاليد مُودى

قف بباب الحياة لا تدخلنها · واعتصم يا بنىَّ ما اسطعتَ منها
سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد

* * *

هكذا أقنع المعرى الوليدا · فتنحى عن الحياة بعيدا
والتفى الشيخ وابنه فى اللحود

* * *

بين الشاعر(*)
وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالى · وكذّبت أحلامى ، وأشمتِّ عذالى
إذا ما وعدت أخلفت فى غد · وهيهات لا تبقين يوما على حال
يظل غريرا من أعارك سمعه · وإن عاش أجيالا عفتْ بعد أجيال

* * *

كفى يا صديق العهد هيجتَ بلبالى · وما أنت بالسالى هواى ولا القالى
ملامك فيه الحق ، أو فيه بعضه · وما غاب عن ظنى ولا بان عن بالى
إذا قلتُ زورا فهو من صدق شيمتى · ومن يصف الدنيا يصف خيمَ(2) ختَّال
إذا هزلت أمى الحياة فهل ترى · من الصدق ألا يطرق الهزلَ أقوالى ؟
بحسبك من عذرى إذا ما عذلتنى · أما نة تمثيل ، وروعة تمثال !

---

(1) للجدود : الحظوط . والمعنى أن الإنسان مسخر فى الحياة وهو يحسب أنه خلق لنفسه وأن الحياة نعمة تعنيه هو وما نصيبه منها إلا أقل من نصيب الأقدار التى تسخره لغاياتها .

(*) بين الشاعر وعروس شعره : وحى الأربعين .

(2) الخيم : الطبع والعادة .

حانوت القيود(*)

(الحياة كالمرأة إذا أحبت امرءاً قيدته بأحابيلها وعلّقته بهواها ، فمن كان حى النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو مقيد بالغرائز والأهواء ، ولا تضعف هذه الغرائز والأهوواء فى الإنسان حتى يكون منبوذاً من الحياة كأنه عاشق لها مملول لا تبالى هى أن تطلق له القيد وترسله حرا متى شاء ، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود . ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها ، لأن قيودها تلك هى الأزمة التى تقودنا بها إلى حيث تريد) .

جزى اللّه حانوت القيود فإنه ... مناط الأمانى من بعيد ومُكثِب[1]

تزوّد منه الناس فى كل حقبة ... وحجوا إليه موكبًا بعد موكب

يصيحون فيه بالقيون[2] كأنهم ... سراحين[3] فى واد من الأرض مجدب

فمن قائل عجل بقيدى فأننى ... طليق ، ومن عان كثير التقلب

إذا أخطأ الأغلالَ قطّب وجهه ... كئيبًا ، وإن أثقلته لم يقطب

يطوفون بالمغلول طوفة عاطل ... فقير بموشيّ الطيالس معجَب

فهذا إلى قيد من العقل ناظر ... وما العقل إلا من عقال مؤرّب(٤)

يخفّض من أهوائه كل ناهض ... ويغلب من آماله كل أغلب

يمشى بأغلال التجارب معجبًا ... على غبطة منه لمن لم يجرب

وهذا إلى قيد من الحب شاخص ... وفى الحب قيد الجامح المتوثب ففى

ينادى : أثلنى القيد يا من تصوغه ... القيد من سجن الطلاقة مهربى

أدره على قلبى وعقلى ومهجتى ... وطوّق به كفى وجيدى ومنكبى

ورصّعه بالحسن المسوَّم وأجلُه ... بكل سعيد فى المناظر طيّب

(*) حانوت القيود : جزء ثالث . ٢٠٤ (٥ فقرة ١٤٤) .

(١) المكثب : القريب . (٢) بالقيون : جمع قين وهو الحداد .

(٣) سراحين : ذئاب . (٤) مؤرب معقد .

عــزيز علينا اليش حــرا وحــولنا ... أسارى الهـوى من فـائز ومـخـيّب
ورب رخـىّ الـبـــال تمت حظوظه ... يقـيـد دنيـاه بعنقـاء مـغـرب
أمـانىّ يقـفـوها فـتـربط خطوَه ... رباطَ الـدياجـى خطوة المتـشكب
وآخــر أضـنتــه الملالة باسط ... يديه إلى الأعـمال فى غـيـر مأرب
إذا مـا رأى المكدود يمقت عـيشـه ... تمنى على الأيام شـقـوة مـتـعب
وكم طامع فى الجاه والجاه عـصـمة ... ولكنه كـالمعــقل المتـأشب
يصـد العـدى عن ربه ويصـده ... عن الناس صد المحـجم المتـرقِّب
ورب عـقـيم حطم العـقم قـيـده ... يحن إلى القيـد الثـقـيل على الأب
إذا منّت الدنيـا عليـه أجـابهـا ... بلعنة مـوتور وعـولة مـتـرب[1]
يرى أن حـال المفـتـدى من إسـاره ... لديهـا كـحـال المجـتـوَى المتـجنِّب
ومن لم تعلّقـه الحـيـاة بقـيـدها ... فـيا سـوء ما اختـارت له من تقرّب

* * *

بنى آدم لا تنـكـروها فـإنهـا ... مـيـاسم من أرواحكم لم تُغـيّب
فـمـا تكرهون القـيـد إلا لأنكم ... تـتـوءون منه بالثـقـيل المشـعَّب
أعـزكم من لا مـزيد لوقـره ... ولا فـضل[2] فى أغـلاله لمعـقّب
وقـد زعـمـوا أن القـيـاد قـيـادة ... لمن كـان يمشى فى مـجاهل غـيـهب

* * *

---

(١) مترب : فقير .
(٢) فضل : بقية .

أكاروس(*)

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة فى الأساطير اليونانية القديمة . وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية ، وهذه هى خلاصتها : ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة فى الصناعة وحسن الحيلة فى تذليل المصاعب والخروج من المآزق ، وزعموا أنه غار من ابنه أخته الذى كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته ، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب فى البلاد برا وبحرًا حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقى عنده كرامة وحسن وفادة . وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته فى تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام .

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورا مشهورًا فى الأساطير «منوطور» . فولدت منه طفلا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان ، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه فى غفلة من زوجها المخدوع ، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبنى لذلك الطفل سردابا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة . فتردد الصانع أولا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسيسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب ، ولكن الملك علم به فصارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربا من عقابه ، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة ، ونصح الحكيم الصناع ولده ألا يعلو فى السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبللهما الرشاش الكثير . ولكن الولد نسى النصيحة وهو فى نشوة الطيران والوثوب ، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه ، إذ سقط هالكا على صخرة فى البحر يبكيه من حولها بنات الماء ، فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح) .

(*) أكاروس : وحى الأربعين .

«أكاروس هذا مسبح الطير فاركب ... وتلك المهاوى من خُضارةَ[1] فاجنب
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه وظن ... ونادى ، فنحَّى جنده كلَّ مركب ؟
بنا عجزًا ، فيا سوءَ رأيه ! ... متى حيل ما بين السماء وكوكب
أدر مركب الريش الذى ما استقله ... أَنيسٌ ولا جنٌّ ولا ذات مخلب
وطر نلتمس عِبْرَ[2] الشمال ونرتحل ... على سنة الطير التى لم تُهذَّب
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها ... على أهبةٍ فى جوها المتقلب»

«ألا وادّخر عزمًا يقودك شرخه ... إلى الأوج ، فاحفظه لشوطٍ مغيّب
وسر قدُمًا . إن المطار لواحدٌ ... ولكنْ سبيل الأوج ليس بمقرب[3]
أكاروس ! إنا هاربان من الردى ... فلا تجعل العقبى إلى شر مهرب
توسّط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدا ... ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلب
فإنك أن تغترّ بالشمس ينخذلْ ... جناحاك ، أو تبتلّ بالماء ترسب
هنا لافح يوْهى اللحام ، وها هنا ... لريشك وهيٌ من رشاش مرطِّب
أكاروس ، إنى باذل لك من يدى ... ومن خبرتى ذخرَ الصنَّاع المجرب
تذكر عظاتى واعلم اليوم أنه ... صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبى
ولا تتخذ ريشى وتنس نصيحتى ... يخنْك جناحُ الرأى يوما فتعطب
جناحك من ريش إذا لم يُعنهما ... عديلان من رأى ، كأغلال مُتعَب
أقلُّ من الصخر امرؤٌ ضم جسمهُ ... أمانة روح لم يصنها لمأرب
ولى فيك أعمارٌ طوال واللذّنى ... فأسند إلى عزّم الصبا حزم أشيب
حياتك من بعدى معادى ، ولن ترى ... فتى صالحا يجنى الفناء على أب
وللأمس شوقٌ أَنْ يرى الغد طالعا ... فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب[4]
بُنَىّ استمع قولى فما بعد نَسْيه ... سبيلٌ إلى تكراره لمعقب
إلى الجو ! هذا يا بنى وداعنا ... وللأرض منا لهفة المتغرِّب
فإما لقاءٌ بعد فوق صعيدها ... وإما فراقٌ شاعبٌ كل مشعب

(١) خضارة : اسم معرفة للبحر . (٢) العبر : الشاطئ .
(٣) بمقرب : أى إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام .
(٤) لا يحب الأب أن يموت ابنه قبله فيكون كالغد الذى غرب قبل أمسه .

وصـــاةٌ لديدالوس وصّى بهـــا ابنه ... ونعم الموصّى من حكيم مـــدرّبٌ
صناعٌ له كف كــــأنّ أكــــفّنا ... من العجز - إن قيست بها - لم تُركّب
عليمٌ بأســــرار الفنون ، وإنهـــا ... لتـقـبس من سـر الحـيـاة المحجّب
ومن يُؤتَ تصريف الجماد يُضب به ... أكـفًـا وأعـضـادًا إلى كلّ منكب
وناهيك ديدالوس من ذى حصافة ... قدير على فعل الأعاجيب معجب
يعيرك من يمناه صولة قشعم[1] ... وخلسة ثعبـان وحيلة ثعلب
ويبنى فـمـبناه عـمـادٌ لأمـة ... وبيتٌ لأجـيـال وزينٌ لمنصب
ولكنه بئس الغيـور على اسمـه ... وقد يحمل الغيرانُ أوزار مذنب
تغـيّظ لما بزه فـرع صنوه ... ولم يرع حق الأخت فى ابن محبّب
فأصماه ، لم يشفق عليه من الردى ... وواراه ، لم يندم ولم يتحوّب[2]
ومـا كـان إلا أن نبـا بكليـهـمـا ... فضاء أثينا من مقيم ومُعزب
فهذا مسجّى فى ثراها متربٌ ... وهذا مُزجى دونهـا كالمتـرب
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره ... ذكاءً يريك النجم فى جنح غيهب
ووارته من عين الغـريم فنونهُ ... وكانت منارًا بين شرق ومغرب
ومـا زال يَعْـرَورى البـلاد ويتـقى ... تصعّدَ أثناء الذرى بالتصوّب
إلى أن تلقّتـه «كـريت» وربهـا ... على خير أهل فى حماها ومرحب
وأمّل «مـينو» منه حصنًا لملكه ... فحصنه «مينو» بملك مؤشّب[3]
ومـا مَلِكٌ إلا له من صناعة ... معاقلُ يبنيها ليوم عَصَبْصَب

* * *

هنالك كـان الأمن لو يأمن امـرؤٌ ... يُخاف ويرجى للمخُوف المؤرّب
تحـيّـر ديدالوس مـا بين مُنكر ... وشكر ، وغِبٌّ اثنيهما غير طيّب
أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه ... وأنجاهمـا فى طيّه سمٌّ عقرب
غوتْ عرس مينو واشتهت ، ساء ما اشتهت ... من الناس ، لا بل من بهيم مذنّب
تحنُّ إلى ثور وتهـوى اقـترابه ... وليس ولىّ العهد منه بمعجب !
فأولدها طفلا له مثل ظلفه ... إلى شـر وجـه آدمىّ ومنكب
ويا رُبَّ أنثى تعشق الثور كلما ... سباها فتى بالجسم لا الروح يستبى

(١) القشعم : المسن من النسور ومن كل شيء . (٢) تحوب : أى تجنب الحوب وهو الذنب .
(١) مؤشب : متشابك ملتف .

فَمَنْ غير ديدالوس يخفى شنارها ... ويرعى مهاد الطفل رعيَ المؤدِّب ؟!
أهابت به أما وأنثى حريصةً ... ومالكة حيرى ، فلم يتهيب
بنى لسليل الثور حرزا ، وليته ... تلمّس حرزًا من غوائل مُغضَب
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه ... وضاجع أشجانَ المعنَّى المعذَّب
وأقسم لا واق من الموت عنده ... ولا وائلٌ من سخطه المتلهِّب
وأهولُ من هول الخِضّارم فى الدُّجى ... ضراوة مهتوك وغيظ مخيَّب

* * *

فلمّا تنادى الجند وارتجَّت القرى ... وخيف الأذى من حاضرين وغُيَّب
وقالوا : أمَنْ ربُّ الجزيرة حربه ... يوقيه عرض البحر أو طول سبسب
أهاب الصَّناع العبقرى بفنه ... فلباه ، فاستعلى به متن أشهب[1]
تسربل من ريش وسربل نجله ... خوافق لوَّى بينها ألف لولب
فحلّق مزهوا وفرّ مظفّرا ... وأغرى لسان السخر بالمتعقِّب

* * *

مضى ناجيًا من بأس «مينو» فهل نجا ... فتاه من البأس الذى فيه يختبئ ؟
بلى ! قد نجا لولا طماحٌ سما به ... إلى الشمس فى ثوب من النار مُذهَب
تعشّقها مفتونةً فتقلبتْ ... هواه بوجه صادق النور خلّب
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى ... لنصح نصيحٍ أو لزجر مؤنّب
وما هى إلا وثبة بعد وثبة ... إلى الشمس حتى عزّه كل موثب
تعشّقها نارًا ، فإن جاءه الأذى ... من النار ، فليعتب . فلا حين معتب

* * *

علا بدم حىّ وخرّ مضخمًا ... به فى جناحى أرجوان مخضَّب
طريحًا علَى صخر تُغشّيه رغوةٌ ... من العيلم[2] الغضبان فىّ غير مَغْضب
وراحت بنات الماء يندبن حوله ، ... ومن يرَ أنقاض الصبا الغض يندب
وما من عزاء للشباب علمتُه ... سوى مدمع من أعين الحسن صيِّب
إذا جال فى حسبانه هان عنده ... دموع ذراها[3] الحزن من طرف أشيب

* * *

---

(١) الأشهب : الأمر الصعب وقد يطلق على الطير الجارح الأشهب .

(٢) العليم : البحر . (٣) ذرا : الشىء فرقه وبعثره .

كعبة الأصنام(*)

بعد الزلزال

كـانت الكعـبـة والأصنام فـيـهـا ... زينةً تأخـذ قلب الصبّ تيـهـا

حـلـفـتْ فـى كـل ركـن بـالـدُّمـى ... والدمى مـسـتـعـبـدات صـائغـيـهـا

هى أصنامٌ لمن يعـبـدها ... أو تماثيلُ تناجى عـاشـقـيـهـا

عظمتْ حـينا فلمـا زُلزلت ... كـاد من صلى إليـهـا يزدريهـا

كـان فـيـهـا صنم الحق نبيـ ... ـهـا(1) تداعى ، فبدا مسْخا كـريها

نزع الـزلـزال عـينى رأسـه ... فـاحـتـوته ظلمـاتٌ غـاب فـيـهـا

وارتمت سـاقـاه فى جـانبـه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهًـا ؟!

* * *

كـانت النخـوة فـيـهـا صنمـا ... صاغىَ السمع ، كمـا شئت نزيها

يخـلب الـطَّرف بحـسـن واضح ... وسـمـات تزدهى من يجـتليـهـا

فـارتمت أذناه فـى الأرض لَقىً ... ومـضت كفٌ بـال كف تليـهـا

يطلـب الـغـوث ولا غـوث له ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟!

* * *

والإخـاء المحض كم أبصـرته ... حـيث لم أبصـر له قط شـبـيـهـا

قـائمًـا يفـتـرُّ عن مـبـسـمـه ... واسع الصـدر ، يحـيـيك وجـيـهـا

شـقـه الزلـزال فـانجـاب لنا ... عن حنايا صـدره لا قلب فـيـهـا

خـيـر مـا فى وجـهـه ظاهرُه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟

وتراءى الحـب فـيـهـا فـتـنةً ... مـا اجـتـواها زائرٌ من زائريهـا

ضـرب الـزلـزال فى أصنامـه ... فـهـوت أشـلاؤها تنعى زويهـا

مـا الذى أبقـاه من أشـلائهـا ؟ ... سـوأة يعـرض عنهـا مـشـتـهـيـهـا

* * *

(*) كعبة الأصنام بعد الزلزال : وحى الأربعين .

(1) النبيه من النباهة وهى الظهور والشهرة .

وهوى تمثـــال مـــجـــد لامع | يخطف العين بنور يعــتليـــهـــا
مـــــلأ الدار علينا جـــوهرًا | زائفًـــا ينطق بالزيف بديهـــا
وقـــشـــورًا لا تســاوى وزنهـــا | من تراب ، لن ترى من يشــتـريهـا
هى إن قـــامت جـــمـــالٌ فـــإذا | ســقطت ، لم تكد العين تعـيـهـا

* * *

هكذا أقـــوت زوايا كـــعـــبـــتى | وثوت خـــاويةً من ســاكنيـــهـــا
غـــيـــر أنى طائفٌ من حـــولهـــا | لم أشـــأ أهجـــرها أو أبتنيـــهـــا
لا طوف المتـــملِّى[1] حـــسنهـــا | أو طواف المهـــتـــدى من عـــابديهـا
بل كـــمن نقب فى جـــوف الثـــرى | يجـــمع الآثار فى شـــتّى سنيـــهـــا
من فـــراغ لا من الرغـــبـــة فى | تلكم الآثار ، أمـــسى يقـــتنيـــهـــا
أو هى العـــادة كـــالطيف إذا | هام بالأجـــداث يبكى نازليـــهـــا

* * *

(١) تملى الحسن : نظر فيه واستمتع برؤيته .

إبليس ينتحر(*)

(الاستعباد هو الجو الذى تعيش فيه الشياطين لأنه و الخوف والإغراء ، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء) .

هاتو لى الخير والهدى جُرَعا ... أبخع نفسى حزنا كمن بخعا
حريةُ القوم أفسدت خُدَعى ! ... لم تبقِ لى فى الأنيس منخدعا
إن مُنعتْ لذةٌ حفزتُ لها ... فكيف حفزى من لم يكن مُنِعا ؟
لو حُجبتْ شهوة أُزيِّنُها ... فكيف تزيين ظاهرٍ سطعًا ؟
وإن طغى ظالم له خنعوا ... فكيف يطغى إن عَزَّ من خنعا
لو دام هذا البلاءُ واتسعتْ ... حريةُ القوم ضاق ما اتسعا
واستغنتْ الأرض والسماء معًا ... عن الشياطين فانطووا جزعا
ما حاجة الأرض للأبالس فى ... عهد نضا الخوف عنه والجشعا ؟
وكيف تغذوهُم بلا عمل ... وهى على السعى شأنها اجتمعا ؟
وأين يأوونها إذا قشعتْ ... عنها ظلام الدهور فانقشعا
أتى زمانٌ أموت فيه أنا ... إبليس يأسًا ، وفى يدى صُنعا
ودعتُ ملكَ الدنيا وودعنى ... ملكٌ إذا همَّ قلما رجعا
هاتوا لى الخير جرعة فإذا ... ضعفتُ عنه شربته جُرَعا
سأسبق الموت حين يتبعنى ... فإنه لاحقٌ إذا تبعا

* * *

(*) إبليس ينتحر : وحى الأربعين .

بيت يتكلم(*)

(كل بيت من البيوت التى تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طلسم الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان ، ولسمعت عجبا لا تسمع الآذان أعجب منه ، وليس الذى يتحدث به «البيت» فى القصيدة التالية إلا قليلا من كثيره) .

جـــمـــيع الناس سكانى ... فـــهل تدرون عنوانى ؟
ومـــا للناس من ســـر ... عـــدا آذان حـــيطانى
حـــديثى عـــجب فـــيه ... خـــفـــايا الإنس والجـــان
فكم قـــضـــيت أيامى ... بـأفـــراح وأحـــزان !
وكـــم آويـــت مـــن بـــر ... وكم آويت من جـــان !
فـــإن أرضـــاكم ســـرى ... فـــهـــا كم بعض إعـــلانى

* * *

بنى الإنســـان لن أحـــفـ ... ـل فى دهرى بإنســـان
ألـم أعـــرفـكم طـرا ... فلم أســـعـد بعـرفـانى
أتـانـى أول الـسـكْـن(1) ... ومـا اسـتـوفـيت بنيـانى
ومـــا أرهـفـت آذانـا ... ولـم أنـس بـقـطـان
وأصـــغـيت على مـهل ... فـطـاشـت كـل آذانـى
همـا زوجـان ، أو شـيطا ... نـة لاذت بشـــيطـان
وقـد عـاشـا وفـيين ... بتـقـدير وحـسـبـان
وراحـا - هـكـذا يحكو ... ن - فى روح وريحـان
ومـا أبصـرت من هذا ... ولا مـن تـلـك فـى آن

(*) بيت يتكلم : عابر سبيل .

(1) السكان .

سوى خـوانة خـر ... قـاء تفـرى عـرض خـوان
إذا مـا ضـحكا يومـا ... على غش وبهـتـان
حسـدت البيـد والأطلا ... ل فى غـيظى وكـتـمـانى
وأشـفـقت من النقـ ... ـمـة أن تهـتـز أركـانى

* * *

وجـاء السـاكن الثـانى ... وبئس السـاكن الثـانى
يـراه النـاس ذا مـال ... وأفـراس وغـيطان
وقـد شـوهنى بخـلا ... وأعـرانى وأعـيـانى
وقـد صـيـرنى سـجنا ... ومنه كـان سـجـانى
فلمـا طال بى عـهـدا ... ولم أسـعـد بهـجـران
وددت لـو أن لـى فـى ... كل جـحـر ألف ثعـبـان
بـديلا مـنـه أرضـاه ... وأحـبـوه بغـفـرانى
وأنفث سـمـهـا أو يتـ ... ـقى شـرى ويخـشـانى
إلـى أن آده[1] أجـرى ... ولم يظفـر بنقـصـان
فـأخـلانى ولن أنسـ ... ـى سـرورى يوم أخـلانى

* * *

وكـان السـاكن الثـا ... لـث ذا عـز وسـلطان
فـمـا ارتبت بأن العـ ... ـز والذلة سـيـان
ومـا ألفـيـتـه إلا ... لئـيـمـا جـد غـفـلان
ضـعـيفًا يسـتـر الضعـ ... ـف بطغـيـان وعـدوان
وكـم أذعـن لـلطـاغـى ... عليـه شـر إذعـان
إذا مـا لقـى النـا ... س بـكـبـر منه طنـان
فـمـا أصـغـر مـا ألقـ ... ـاه منه بين جـدرانى

* * *

وأمـا رابع القـوم ... فـذو علم وتبـيـان
حـشـا بالورق اليـا ... بس والأخـضـر حـيـشـانى

---

(١) آده : أثقله .

فما لى موضع فى الأرض رض أو من فوق عمدان
ومالى مطبخ أو مخدع أو بهو ضيفان
ولا زاوية إلا وفيها الكتب تلقانى
أبى للنفس دعواها لم يسمع لجثمان
فلا سهرة أحباب ولا جلسة ندمان
فما أجهله بالحق ذاك العالم العانى !
أبين الناس يحتاج إلى علم وبرهان ؟
وهم عميان ظلماء سروا فى أثر عميان ؟
كثيرٌ لك يا إنسان فى دنياك عينان !!

* * *

وأما الخامس الجانى فناهيك بشهوان
فما زودنى إلا بإثداء وأعكان
وهُتّاف بألحان وسُمار على ألحان
إذا أمسيت مسانى بأشكال وألوان
على الأبواب ما يرضيك من حسن وإحسان
ومن صون لأسماع ومن غض لأجفان
فلا تنظرهم ثمة وانظر بين أحضانى
فيا للّه كم فى الأرض من غى وغيان
وكم فى القوم من مخدوع آباء وإخوان
وأزواج وأصهار وخلان وأخدان
لو أنى قلت ما أدرى لهدوا كل أركانى
فنعم الصمت والحكمة يا صخرى وصوانى !

* * *

وكم صاحبت من أصحاب آداب وأديان
تجافوا وصمة العاصى وعافوا شهوة الزانى
وباتو بين قربان وترتيل لقرآن
ولم يأسوا من الدنيا على غبن وحرمان
إذا ما شرفتنى زمرة منهم بصحبان

حسبت الأرض تجفونى ... فأنساها وتنسانى
وقالوا الجان لا تقر ... ب من مجلس فرقان
فقد ألفيت بعض الأنـ ... ـس فى العنصر كالجان

* * *

ولكن شر ما آو ... يت فى لؤم وعصيان
رياء الخائن العادى ... على أهل وأوطان
تلقّاهم بتمويه ... ولا قوه بإيمان
وفى حجرة أسرارى ... وفى ظلمة أوكانى
يبيع الحوزة الكبرى ... بربع أو ببستان
ويعطى الحق والذمـ ... ـة والفتيا بأثمان
ويُفنى أمة تحيـ ... ـيه وهو الزائل الفانى
ويمشى بين قتلاه ... رفيع الذكر والشأن

* * *

ولم أحمد من الضيـ ... ـفان ضيفا مثل فنان
تولانى بإبداع ... من الفن وإتقان
وغطى كل جدرانى ... بمنضور ومزدان
وأوحى الحسن واستو ... حاه من جنات رضوان
فحينا حسن مكسوٌّ ... وحينا حسن عريان
بريئا فى سماء الفـ ... ـن من عبث وأدران
وفتانا على الحا ... لين لكن أى فتان
كما تفتنك الزهـ ... ـرة فى أعطاف أغصان

* * *

جموع لست أحصيها ... لو دونت ديوانى
ومثل كل جاراتى ... ومثلى كل جيرانى
عرفت الناس أشتاتا ... بلا عد وحسبان
فلم أعرف أأعداء ... هم أم جمع أقران ؟
إذا ما اختلفوا فى ... سيمة تبدو وشغلان
فهم فى الموت أشباه ... وفى سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا ... بكى حينا وأبكانى

مـــســـاكين فـــلا تحـــفل من الـنـاس بـإنـســـــان
ولا تحـــســـد فـــتى منهم عـــلـــى بـــأس وإمـــكـــان
فـــأعـــــلاهم وأدناهم أمـــام الـغـــيـب صنوان

* * *

نزيل المنزل الخـــــالى ألا تعـــــرف عنوانى ؟
إذا مـــا طفت حـــوليـــه فـــثق أنك تـلقــــانى
فـــمـــــا من منزل إلا وفـــيـــه بعض ألوانى
تأمل فى نواحـــيـــه وراقـــبـــه بإمـــعـــان
ولا يخـــدعك صـــمت فـيـ ـه أو تفـــتـــيح بيـــبـــان
ولا تحـــســـبـــه خلوا من مـــغـــــاليق وأكنان
إذا مـا كنت مستحضر أرواح وحـــــــدثـان
فـــقف فى المنزل الخـــالى وأرهف ســـــمع يقظان
وأغـــمض فـيـــه أجـفـــا نك وانظر غـــيـــر وسنان
تر الأطيـــاف أفـــواجـــا وتســـمع مـــوج طوفـــان
وتجـــمع كل مـــا يُجـــمع من ربح وخـــســـــرن
ولا يـخـطـئـك تـاريـخ ولا دارس أزمـــــــان

* * *

بعد صلاة الجمعة(*)

على الوجـوه سـيـمـة القلوب فـانظر إلى المسـجـد من قـربـه
وقف لديه وقـــفـــة اللبـــيب فى ظهـر يوم الجـمـعـة المحـبـوب

إنك فى حـشـد هنا عـجـيب

* * *

(*) بعد صلاة الجمعة : عابر سبيل .

هـذا الـذى يمشى ألا تـراه　　كـأنما قـد حملت يداه
سفتجة[1] صاحبها الإله　　ذاك هو الدَّين ، وقد وفاه

فليس للدائن بالمطلوب

* * *

وذلك المبتسم الرصين　　كـأنه بسره صنين
أصغى إليه سامع أمين　　فهو إذا صلى كمن يكون

فى خلوة النجوى مع الحبيب

* * *

وانظر إلى صاحبنا المختال　　فى حلة ضافية الأذيال
أكان فى حضرة ذى الجلال　　أم كان فى عرض أو احتفال

يُزهى على المحروم والمسلوب

* * *

وكم مصلّ خافت الدعاء　　كـأنما نصٌّ إلى السماء
رسالة فى عالم الخفاء　　فلا ينى يبدو لعين الرائى

كالمترجّى أوبة المكتوب

* * *

ورب شيخ من ذوى الخلاَق[2]　　فرحان بالجمع وبالتلاقى
كأنه التلميذ فى انطلاق　　بين تلاميذ له رفاق

عادوا إليه عودة الغريب

* * *

تجمعوا فى بيته تعالى　　وافترقوا فى جمعهم أحوالا
وهل نسوا فى أرضه النضالا　　فيحتويهم بيته أمثالا

على اختلاف السَّمت والنصيب ؟

* * *

(١) السفتجة : هى ورقة التحويل المالى .　　(٢) الخلاق : الخير الوافر .

لعلهم صلوا له ارتجالا ... فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا ... صب على رءوسهم وبالا

وألحق المخطئ بالمصيب

* * *

الدينار(*)
فى طريقه المرسوم

لما بدا الدينار من ... باب الخزانة فى السماء
نادى الموكّل ثم بالأ ... رزاق : أين ترى الثواء ؟
قال انطلق فى الخافقـ ... ـين إلى فتى جم الشقاء
قد بات ممنوع الغذا ... ء وراح مقطوع الكساء
فاذهب إليه ومنّه ... بعض السعادة والرجاء

* * *

فأجابه الدينار وهـ ... ـو يكاد يجهش بالبكاء
أنا لست أعرفه فدعـ ... ـنى استطيب هنا البقاء
سيطول بحثى عنه فى ... وادى الخمول ، ولا لقاء

* * *

قال الموكّل ثم بالأر ... زاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقـ ... ـيرَ ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامـ ... ـض كما تشاء لمن تشاء

* * *

فاستقبل الدينارُ وجهـ ... ـتَه وهمّ بلا وناء
ومضى إلى حيث المعا ... لم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوا ... بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحا ... م كالطريق على اهتداء

(*) الدينار فى طريقه المرسوم : عابر سبيل .

نداء طفل(*)

أرسلت إلى عروسين :

سرى إلى الآذان … في غفوة الوسنان
نداء طفل جريء … مستعجل لهفان
عجبت منه صغيرا … يقول طلق اللسان :
«أبي كريم وأمي … كريمة في الحسان
كلاهما في رواء … من الصبا وازديان
كلاهما ذو فؤاد … مجمَّل بالحنان
كلاهما يتمنى … بين الصغار مكاني
فلي أحق رجاء … في عالم الإنسان
وفي ولادة يمن … تزف بالمهرجان
وفي احتفال ختان … وفي احتفال قران
وفي احتفال نجاح … ويجوز كل امتحان
هيا ادعواني سريعا … إليكما واهديانى
وقربا لي ضياء الشمو … س والأكوان

* * *

قالوا : انتظر ! قال لا لا … هيهات لست بوان
قالوا تعقل قليلا … يا أعقل الفتيان
فكل شيء لدينا … موكلٌ بأوان
أتحسب العيش رهنا … بما قضى الأبوان
فصاح صيحة سخط … وقال في عنفوان
مالي أنا ؟ أنا مالي ؟ … هيا ادعواني ادعواني
أتأبيان لقائي … ما أنتما منصفان

* * *

(*) نداء طفل : عابر سبيل .

لا تـعـــــذلـوه إذا مــــا أطـال فـى الـهــــــذيـان
فـالطفل غـيـــر صـبــور على الحــجى والبـيـــان
والطفل هيــهـــات يدرى يومـــا بحكم الزمـــان
فـاســتـمـهـلاه برفق وحـــيلـة وافـــتـنـان
ولا تطيـــلا عليـــه فى الغـيب عـد الثـوانى
فـكـلـنـا نـتــرجـى قــدومـــه فى أمـــان

* * *

جواب جميل(*)

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيهـــا النـوام ويحكم هبـــو أســائلكم هل يقـتل الرجل الحب

وأجيبَ بلسان أحد النوام :

بـربك دعـنا راقـــدين فلو درى بنا الحب لم يرقـــد لنا أبدًا جنب
وسل راقـدى الأجـداث عنهم فإنهم مـجـيـبـوك عن علم بمن قـتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيهـــا الأمـــوات ويحكم هبـــوا أســائلكم هل يقـتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مـــزعجَ الموتى فلو كنت قــادرًا على أن تهب اليوم من صـرعة هبوا
ولستَ إلى أن يُسمع الصور سامعًا هنا سـر مـقــتـول يبـوح به صب !

(*) جواب جميل : أعاصير مغرب .

جنة الخيام(*)

رغيف خبز ووجهٌ حلو ، وكأس مدام
وتلك جنة عدن في مذاهب الخيّام(1)

* * *

قالوا : ونُوديَ يوما : ما تشتهى فى يديكا
دع مطلبًا منه فردا والباقيان لديكا

* * *

فحار بين رغيفٍ إنْ فاته مات جوعا
وبين وجهٍ منيرٍ إن غاب غابت جميعًا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداعُ مناهاً أفاق وهو غبين

* * *

طال التردّد فيها فمال عنها كظيما :
سألت جنةَ خلد وما سألت جحيما

* * *

قالوا : فناداه صوتٌ يقول فى غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فَرط صدق

* * *

«أتلك جنة خلد تهذى بها يا حكيم
يطلبٍ إن عداهاً ترتدّ وهى جحيم ؟»

* * *

(*) جنة الخيام : أعاصير مغرب .

(1) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسى وله رباعية بهذا المعنى .

مادى يعلل الربيع (*)

رفيق أول : إن الربيـــع جـــميـل
رفيق ثان : صـــه ! ذاك قولٌ دخـــيلُ

ألـســت تـعـلـم أن الـر ... بيع شـــيىء ثقـــيـل
وأنـــه مـــن صـــنـيـع ... للغش فـــيـــه أصـــولُ

رفيق أول : مـــن غـشه يا صـــديقى ؟
رفيق ثان : حـــقا لأنـت جــهـول

قــد غـشـه الأغنيـاء المـ ... ـســتـأثرون القـليـل
أليس فـــيـــه مـــتـــاع ... لـهـم وظـل ظـلـيـل ؟

رفيق أول : لكنْ بعـــيـــشك قل لى ... وذاك منى فـــضـــول
بـأى بـرهـان صـــدق ... وأى شـــــرح يـطـول
قــد أقنعـوا الأرض حـتى ... بـاتـت إلـيـــهـم تميـل ؟

رفيق ثان : حـــقـــا لأنت عـجـيبٌ ... فـــيـــمـــا أراك تقـــول !
بـرشــــوة دفنتــــهـــا ... فى جـــوفـــهـــا يا زمـــيل
ألا ترى الـتـبـــر فـــيـــهـــا ... منهـــا إلـيـــهـــا يؤول ؟
فـــافـــهم إذن يا صــديقى ... فـــقـــد أتاك الـدليـل
وأيـدتـه شـــهـــود ... وأكــــدتـه عـــقـــول
الأرض والـشـــمـس والـنا ... س والـدعـــاة العـــدول
لـهم ضـمـــائر ســـوء ... مـــرضى ، وطبع وبيـل
بذاك «مـــاركس» أفـــتى ... ونقـضـه مـسـتـحـيـل !

(*) مادى يعلل الربيع : عابر سبيل .

عيد ميلاد فى الجحيم(*)

(دخل شقى الجحيم فحسبوه مولودًا جديدًا فى ذلك العالم القديم . ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده :)

صُفّوا الموائد واملأوا الأكوابا ... وادعوا الصحاب ، وبشروا الأحبابا
قولوا مضى عامٌ ليوم هبوطه ... هذا الجحيم ، فقرّ فيه وطابا
وبلا المقامَ فراح يحمد شرَّ ما ... فيه ، وآدب باسمه إِيدابا
هذا الجحيم أحبُّ لى من عالم ... ما كان لى إلا رجاءً خابا
الشر ثمة كان شرا كاسمه ... والخير كان كما علمت سرابا
يشقى بنوه ليعمروه ويجشموا ... فيه الشقاء ليرجعوه خرابا
لا يعرفون الحق إن سمعوا به ... إلا ليلقوا فى الحقوق عذابا
أهونْ بصاب فى الجحيم أذوقه ... قد كان ثمة كلُّ شىء صابا
صابًا إذا ارتوت الشفاه شربته ... بالناظرين ، وساء ذاك شرابا
ولربَّ وجه يومذاك شهدته ... فكأن سمًا فى العيون انسابا
وجه اللئيم إذا استهلْ ومثله ... وجه الكريم إذا اضمحل وذابا
ورضى الظلوم وحيرة المظلوم فى ... بلواه يطرق كل يوم بابا

* * *

يا صحب حيوا النار فى ويلاتها ... واحثوا على ذاك التراب ترابا
ما كان فى حُسن هناك فجهده ... أن يخدع الأبصار والألبابا
أو كان من فضل هناك فحسبه ... أن يملأ الدنيا عليك صعابا
ياصحب هاتوا من علاقمها لنا ... وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا
من عاش عاما فى الجحيم فلا اشتهى ... أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

(*) عيد ميلاد فى الجحيم : وحى الأربعين .


ترجمة شيطان

ترجمة شيطان(*)

(نظمت هذه القصيدة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وهى تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق . وإن شيطانا يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير . لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى فى هذه التجربة ، ولكن الشيطان الذى يزيف الحق بيديه ، ثم يكفر بالشر يخبط فى حياة ليس لها معنى على الحالين ، ويمضى غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين ، وغير مكترث لهم ولا لنفسه فى هداية ولا ضلالة) .

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم — غسقَ الظلماء فى قاع سقر
ورمى الأرض به رمَى الرجيم — عبرة . فاسمع أعاجيب العبر

* * *

خلقة شاء لها اللّه الكنود — وأبى منها وفاءَ الشاكر
قدرَ السوء لها قبل الوجود — وتعالى من عليم قادر

* * *

قال كونى محنة للأبرياء — فأطاعت ، يا لها من فاجرة !
ولو استطاعت خلافا للقضاء — لاستحقت منه لعن الآخرة

* * *

سُنةٌ للّه فاقفوا إثرها — عصبة السواس وامضوا راشدين
علّم الأقيالَ قدمًا سرها — فأقاموا دينه فى العالمين(1)

* * *

(*) ترجمة شيطان : الجزء الثالث .

(1) إشارة إلى كلف أكثر الملوك ببناء المعابد تعزيزا لقوتهم بقوة العقائد .

سنة اللّه ومـــا أوســـعــــهـــا رحـــمـــة منه بجـــبـــارى الأمم
ويحـــهـم ! لو لـم يكن أبدعـــهـــا كـــيف يدرون بأســـرار النقم ؟؟[1]

* * *

فله الحـــمـــد على مـــا فـــقـــهـــوا من دهاء الملك والكيـــد الحـــذر
فـــإذا رامـــوا نكالا شـــبـــهـــوا من أرادوه بشـــيطان قـــذر

* * *

قـــال : كـــونى مـــحنة للأبرياء واخـــسـأى أيتـهـا النفس العـقـيم
أيهـــا الشـــيطان اضلل من تشـــاء ســـوف تأويك وتأويه الجـــحـــيم

* * *

فـهـوى الشـيطان صـفـر الراحـتين خـــاوىَ الزاد ويا بئس الســـفـــر
أيـن يمضـى ؟ أيـن أفق الأرض أيـن ؟ فـــرحـــاب الكون مـــلأى بالأكـــر

* * *

بيـــد أن الشـــر مـــا زال أريبـــا وســـبـــيل الغى ممهـــود الجناب
لن تراه حـــيث تلقـــاه غـــريبـــا أبد الدهر ولا نزر الصـــحـــاب

* * *

هبط الشـــيطان فى وادى القـــرود أوْهمُ الزنج كـــمـــا قـــد خُلقـــوا
أمـــة من صنعـــة الخـــلائق ســـود أخطأوا الصـــبـــغـــة أو قـــد حـــرقـــوا

* * *

أرضـــهـــم أنجب من أبنائهـــا وحـــصـــاد الزرع فـــيـــهـــا دائم
لا ينام الظل فى أرجـــائهـــا وهُم ظلٌّ عليـــهـــا قـــائم

* * *

واســـتـــوى بين رباها والحـــوافى فـإذا السمت بهـا سـمت السبـاع
سيـد القـوم كسِيد[2] القفـر حـاف وهمـــا بعـــد ســـواء فى المتـــاع

* * *

(١) أى أن الأقيال إذا أرادوا أحد أتباعهم بنقمة أخرجوه حتى يزل أو تمحلوا له العلة ليأخذوه بها .
(٢) السيد بكسر السين هو الذئب .

وإذا الكعبــة فى الأرض الشّــرى ورســول العلم ضــاريهــا الشــروط
بـين قنـص أو هـراش أو كـــــرى يـذهب التــاريخ فــيـهــا ويعـــود[1]

***

ولقـــــد همّ ومــــا أعـــجلـه يســأل الإنس بهــا لو يفــقــهــون
أو ينـادى الوحـش لـو أصــــغى لـه ألكم فى القـوم صــهــر وبنون ؟؟[2]

***

ســخــر الشــيطان من قـســمـتــه ومن الأرض ومــا فــوق الســمــاء
ومــضى يهــجس فى مــحنتــه : «ألهــذا تُســتــذَل الكبــرياء ؟»

***

أن يكـن أغـــوائىَ الزنج لـزامــــا فــمن العُــجم الضــوارى عــجــبى
مــالـه يأنف إن يغْــوىَ حــامًــا ذلـك الـغـــــوى ذوات الـذنــب[3]

***

ومــشى ينغم فى غــيــر طربْ نغم الغــبطة باليــوم العــبــوس
نغــمــا يرصــد من خلف الحــقب يومَ تندك على الأرض الشــمــوس

***

لا نطيل القــول فــالخطب يســيــر وحــــيـــــاة الإنس والجن هدرْ
خــرج الشــيطان فى الأرض يســيــر ومـن اللّــه إلـى اللّـه الـصـــــدَرْ

***

لمحــة جــازت به مــشــرقــهــا ثـم ردتـه حــــيـــــال المغـــرب
ويشــــاء الله أن يوبقـــهـــا فــاشــتــهــاها شــهــوة المغــتــصب

***

وارتضى منهــا مــقــامًــا رغَــدا حــول بحــر الروم أو بحــر العــجمْ
يتلهّى فى مــغــانيــهــا ســدى أو لأمــر خــفــيت فــيــه الحكمْ

---

(١) الشرى مأسدة أو مسبعة المعنى أن آداب المعيشة والأزياء فى ذلك الوادى الذى نزل به الشيطان من مجاهل إفريقية هى آداب السباع وأزياؤها فأقدس مكان هناك هو أوجرة الوحش ومكامنها وكل ما يعرفه أهلها من العلم هو ما يصدر من شهوات الحيوانات وحركاتها من عفو الطبيعة فكأنما هى القائمة هنالك برسالة العلم وفريضة المعرفة .

(٢) هم الشيطان المتهم أن يسأل الوحش أى قرابة لكم بأهل ذلك الوادى لأنه رآهم جميعا متشابهين .

(٣) يقول الشيطان : إذا كانت الضوارى لا تحتاج إلى من يغويها فما حاجة أبناء حام إلى شيطان لإغوائهم .

ورمى أول فخ فأصابا ... ودعاه الحق واستلقى فنام
وأناب الحق عنه فاستجابا ... فإذا الحق لجاج واختصام[1]

* * *

وإذا الحق طلاء الخبثاء ، ... رسن الواهن ، سيف المعتدى ،
ضلة الجهال ، لغز الحكماء ، ... ذلة العبد ، غُرام السيد

* * *

وإذا الحق طعام ووكون ... وإذا الحق بريق الذهب
لو يموت الناس أو لو يشبعون ... ذهب الحق ذهاب السغب

* * *

يا لها من لفظة زوّقها ... آض فرضًا بعدها الفعل الذميم
ويحه ! فى نأمة أطلقها ... غلب النحسُ ولم يُغن النعيم

* * *

نام لما صنع الحق وأغضى ... ولو اختار لأغضى أبدا
غير أن الشر لا يألف غمضا ... ربحت صفقته أو قد فقدا

* * *

فأطارت سنةً فى هدبه ... بهجة الزرع الذى كان بذر[2]
كان أن يشكر نعمى ربه ... لو يسيغ الشكر شيطان كفر !

* * *

وتمادى بعدُ فى شرّته ... كلما أنبت زرعا ينعا
فرأى الشوكة فى دولته ... وجنى الوفرة مما زرعا

* * *

ألفُ جيل بعد ألف غيرت ... صاحبَ الآباءَ فيها والبنين
ورأى منها فنونًا ورأت ... منه فى صحبته أى فنون

* * *

(١) معنى هذا أن الشيطان صنع للناس شيئا دعاه الحق فكان علة خصامهم وإنقسامهم فأغناه عن السعاية بينهم وأغوائهم بالمنكرات وفى الأبيات التالية وصف ذلك الحق الذى صنعه الشيطان .

(٢) المقصود بالزرع هو ذلك الحق المصنوع .

أتلفته مثلما أتلفها عجبًا ! لا بل علام العجب ؟
أترى الشيطان يدرى ضعفها وهو من ذاك برىء أجنب ؟[1]

* * *

فاشتى الخمر ورنات المثانى وأحب الغيد عذرىَّ الهوى !
لعبًا ينهل آنًا بعد آن نُهَلا منهن ينعشن القوى

* * *

لا نطيل القول فالقول هذرْ وحياة الإنس والجن هباءْ
إن يدمْ للناس سلطان القدرْ فعليهم بل على الكون العفاءْ !

* * *

أنف الشيْطان من فتنته أيما يأنف من إهلاكها
ورأى الفاجر من زمرته كعفيف الذيل من نُساكها

* * *

ما له يفسد خلقًا عدموا آية الرشد ، وهبهم رشدوا
وعلام السلب مما غنموا وهُمُ لو غنموا لم يُحسدوا

* * *

كلهم طالبُ قوت ، والثرى ذل قوم أو تعالوا ، مخصب
وقصارى الأمر فى هذا الورى راسبٌ يطفو وطافٍ يرسب

* * *

مذ رأى الشيطان عقبى شره كفر المسكين بالشر العقيم
وأراها بدعة من كفره دونها الكفران بالخير العميم[2]

* * *

يا إله الكون يا خير إله أين من قدرك أصنام القدم
من كربّ الكون لا بل من سواه عادلٌ فى الخلق بر بالأمم

* * *

أنتَ يا رب لطيف فى القضاء فاصعق اللهم من يجحد لطفك
قسمًا باسمك يا رب السماء ما رأى فى الناس من يدرك وصفك

---

(١) لا عجب فى أن يكون الشيطان عرضة للتلف فإنه لما كان يداخل الناس من جهات الضعف فى نفوسهم فلابد أن يكون فى نفسه شبيه تلك المواطن الضعيفة وإلا لما عرفها .

(٢) أى أن كفر الشيطان بالشر إنما هو ضرب من الكفر أسوأ من الكفر بالخير لأنه يرى الخير أهون من أن يستحق العناية بإزالته ورصد المكائد له ، فالراشد والغاوى عنده سيان .

يكفر الشيطان بالشر العقام   فتعد الكفر منه ندمًا

وتنجّيه إلى دار السلام   وقديمًا قلت لا يغشى الحمى[1]

* * *

فضلك اللهم من غير حساب   وكذا اللهم آلاء[2] العليم

فاعجبوا من نعمة الله العجاب   وانظروا كيف تلقاها الرجيم

* * *

نزل الشيطان من جنته   منزلا يرضى به الفن الجميل

ومشى فاختار فى مشيته   هضبةً عند مصب السلسبيل

* * *

هضبة فيها نخيلٌ وثمر   وبراكين خبا منها الضرام !

وحلاها دون أنماط الصوَر   قالب الحسن كما شاء التمام[3]

* * *

قالب الصنع الذى ينقل عنه   كلُّ ذى فن أعاجيبَ الفنون

شركٌ لا تفلت الألباب منه   حفظته روضةٌ تسبى العيون

* * *

كملت زينتها من كل فن   وكساها الزهو ولدان وحور

وعلى أحواضها الطير تغنى   يا كريمٌ ، ياحليمٌ ، يا غفور

* * *

وحواليها على رحب المدى   زُمَر الأملاك من خلف زمر

كلما راح عليها أو غدا   شيّعته بنشيد مبتكر

* * *

ونُفيض الوصف لولا أننا   نصف الدار لكم يا داخليها[4]

فاصبروا فالصبر مفتاح المنى   واسمعوا كيف غوى الشيطان فيها

---

(١) يؤخذ من هذا البيت إن هذا الشيطان لما كفر بالشر نقله اللّه إلى دار السلام أى النعيم وعد ذلك الكفر منه ندما لعله يكون سبيل الهداية والإيمان من جهة أخرى .

(٢) الأفضال .

(٣) للجمال مثل أعلى ينقل الشعراء أخيلتهم والمصورون صورهم فتلك البقعة التى اختارها الشيطان من دار النعيم كانت مزدانة بقالب المثل الأعلى نفسه لا بالصور والأخيلة المنقولة عنه كما هو الشأن فى قصور الدنيا وبقاعها .

(٤) لا حاجة إلى الإطالة فى الوصف فإننا نرجو أن يكون القارئ من أهل الجنة فيراها بعينه .

أزفت ساعــتــه ذات شــتــاء ... أو على قــول مــضت حين مــضى
وإذا حــدثتْ فى أمــر الســمــاء ... فــاترك التــاريخ سطرًا أبيــضــا

* * *

وقُــبــيل الصبح أو نحــو الأصيل ... عند باب القــدس أو باب الحــرم !
ركب الشــيطان فــوق السلسبــيل ... مــركــبًــا يزجــيــه سلســال النغم

* * *

وفــشت حــوليــه أرواح الســلام ... كــلٌّ زهــر باعــثٌ مــنــه شــــذاه
ســاريات مــثلمــا تســرى المدام ... أو كــمــا رقّت على الخــد الشــفــاه

* * *

وهو مـــا بين وصــــيف وملكْ ... فى رواق من رضى لو كــان يرضى
ســبّــحــوا اللّه وقــالوا الملك لكْ ... وهو يزداد على التــســبــيح قــبــضــا

* * *

نظرت صــحــبــتُــه الوجــهَ العــبــوس ... فــرأوا فى الخلد شــيــئًــا عــجــبــا
مــا رأوا من قــبــل مــا لون النحــوس ... لا ولا يـــدرون إلا الـــطــــربــــا

* * *

والتــقــت أعــينهــم فــابتــســمــوا ... كــابتــســام الطفل فى مــهــد الرخــاء
وتمادى الأمــر حــتى ســئــمــوا ... فــتــمــشت فى الخليط الثــؤباء

* * *

قـــال أدناهم إلى مــــجلســـــه ... وهو لا يــعــلــم أنْ قــــد أغــلــظا
مـــا لمولاى أرى فى نفــســـــه ... بعضَ مــا خُــبِّــرت عن وادى اللظى

* * *

أترى الــويــل إذن والــشــــجــنــا ... فــتــرةً تُطبقُ أهدابَ الرقــود[1]
أكــــذا الــوادى الــذى قــــيــل لنا ... فى صــبــانا أنه مــرعى الجــحــود ؟

* * *

فــانثنى العــابس وقّــادَ الجــبين ... صــارخًــا صرخــة مــقــضىّ الهــلاك :
أى واد ؟؟ قــال وادى الكــافــرين ، ... قــال دع هذا فــمــا أنت وذاك

---

(١) سئم الملائكة منظر انقباض الشيطان فناموا كما ينام الأطفال إذا غلبت عليهم السآمة ولهذا يتساءل الملائكة لطهارة قلوبهم : هل الويل والشجن الذى يصيب أهل جهنم هو هذه الفترة التى تجلب النعاس للعيون .

قل لنا كيف ترانا ها هنا ؟ ... قال : ماذا ؟؟ إننا للفائزون
قال لكنى أرانا كلنا ... وأراكم قبلُ أشقى ما يكون

أيها القارئ وُقِّيتَ العثار ... وبلغت الخلد موفور القدم
هل شهدت الجيش فى هول الفرار ... أو رأيت الطير راعتها الدِيَم[(١)]

إن تكن لم ترها فارصد لها ... تدر ما فزعة أملاك السماء
فزعةٌ للّه ما أجملها ... صانها الرحمن عن سفك الدماء

ساءهم فى الخلد ألاّ يُحسدوا ... وم الحسّاد من تطلبه
راعهم فى الخلد أن لا يسعدوا ... منكر السعد كمن يسلبه[(٢)]

ولقد علّمهم شيطانه ... علم ما لم يعلموا من غضب
ما لهم قد فاتهم شكرانه ... أو ليس الغيظ بالمكتسب ؟؟

لو تراخى خطبهم لاحتملوا ... عُدد الرجم لذاك المعترك
لطف اللّه فلو قد عجلوا ... لخلا من نجمه هذا الفلك[(٣)]

منٌ للّه لا يحصرها ... صيرفىّ رُوّضت أعداده
خفراتٌ لم يزل يظهرها ... كلما هام بها عباده

هو أوحى الوحى فى جنته ... فسرى فى الملأ الأعلى الصدى
حين نادى قرّ فى وقفته ... كلُّ غضبان ولبى واهتدى

---

(١) الأمطار .

(٢) إذا أريت سعيدا من الناس أنه لا يستحق أن يحسد فكأنما جعلته كمن لا يتمتع بنعمة من النعم المرموقة فسلبته تلك السعادة التى أنكرتها ، وكذلك الملائكة فى النعيم ساءهم من الشيطان أن ينكر عليهم ما يعرفونه لأنفسهم من النعمة ورأوا أن إنكار السعادة وسلبها على حد سواء .

(٣) المعروف أن النجوم هى رجوم الشياطين يرجمهم بها الملائكة فلو أن أملاك النعيم اقتصوا من ذلك الشيطان برجمه لخلت الأفلاك من كواكبها لعظم جريرته عندهم .

فإذا الجنة أمنٌ وسكون — كسكون الليل فى ضوء القمر
خشعت حتى الشوادى فى الغصون — وصغت حتى وريقات الشجر

* * *

ساعةٌ ثم انجلى موقفها — عن جلال اللّه فردًا فى علاه
غابت الأملاك لا تعرفها — وبدا الشيطان معروفا تراه

* * *

وبدا الشيطان معروفا ترى — كبرياء الكفر فى وقفته
عالىَ الجبهة يأبى القهقرى — وتوّج النار من نظرته

* * *

وتَنحّى كلُّ مشهود فما — ثَم إلا اللّه والطاغى المريد
ويكاد الكون ما بينهما — يغلب الشك عليه فيبيد

* * *

ساعةٌ أخرى وقد حُم القضاء — وانقضى العفو وحق الغضبُ
ساعة للنحس حلت والبلاء — ومتى حلت فأين المهربُ ؟؟

* * *

حاقت اللعنة . حاقت كلها — وقضاها المنعم المنتقم
وجناها وهو لا يجهلها — ذلك الجانى الذى لا يندم

* * *

هاتفٌ فى الخلد لما هتفا — نفذ السهم فمن ذا الهاتف ؟
إهو الرحمن ؟؟ لا وا أسفا — بل هو الروح العصىّ العاصف

* * *

هو روح يحسد اللّه وما — أعجب الحاسد للّه الصمد
كلما أبصره محتكمًا — أصغر الكون وأزرى بالأبد

* * *

هو ناع سمجت فى عينه — نعمُ اللّه فأمسى يجتويها
حبة يزرعها فى كونه — تلكم النعمى ، فأين الجود فيها ؟؟[1]

---

(١) يجحد الشيطان جود اللّه وكرمه ويقول : إذا كان تنعم اللّه إنما هى كالحبة التى يزرعها الزارع فى أرضه فأين الجود فيها ؟؟

هو طاغ يأنف الصغو إلى | سائل يسأله عما جنى
يحسب الصغو عقابا قد غلا | كيف لو أعذر أولو أذعنا ؟؟[1]

* * *

فرمى بالهُجر لا يحفله | حيث لا يبدأ خلق بالكلام
ويجدّ القولَ أو يهزله | ولعينيه وميضٌ وابتسام

* * *

قال : سبحانك يا مولى الموالى | وتعاليت ولسنا نعتلى !!
لا سلامَ اليوم يقريه مقالى | أيها المولى فهل تغفر لى ؟؟

* * *

أيها المولى ونوليك العزاءْ | ويُعزَّى سيدٌ يفقد عبدا
فاقد العبدان أولى بالرثاء | مِن فتى يألم للأرباب فقدا

* * *

أيها المولى ولا تغضب على | عبدك العاصى إذا لم تُرضه
عبد سوء رفض الخلد فلا | تَبلُ بالجود قصارى رفضه !!

* * *

لا تعالجنى بلوم إننى | قائم عنك بلومى وانتقادى
أنا من ينصف من يقرفنى | ونَجىٌّ بالذم منى لا يُصادى[2]

* * *

لائمى أنت على كفر النعم | وكذا يبدأ باللوم الكريم
ليتنى ذاك الكفور المتهم | إنما الكفر أخو الخير القديم[3]

* * *

آخذى أنت بقوم شكروا | بعضَ ما قيضتَ لى من نعم
كذف لا يشكر قوم ذكروا | لك بالحمد حلول النقم

* * *

---

(١) إن الشيطان لتجبره يرى أن إصغاءه إلى من يلومه هو العقاب أشد العقاب فكيف به لو قبل ذلك اللوم أو أذعن له ؟؟

(٢) يصف الشيطان نفسه بأنه لا يصادى أى لا يجامل فى ذم نفسه لأنه يرى أقصى الذم كالثناء .

(٣) ينكر الشيطان إنه أصاب أى خير فهو لذلك ينكر أنه كفر لأن الكفر لا يكون إلا مع الخير .

تهب العشب لآساد الشرى ... وتعد الجوع منهن كنودا
فازت الشاء فلا غرو تَرى ... أنها تبلغ بالأكل الخلودا

* * *

كم عهدنا عاهلاً فى ملكه ... يحكم الناس بما لا يفقهون
يوبق السائلَ عن مسلكه ... ويبيح الأمن من لا يسألون

* * *

هكذا ملكك يا رب القضاء ... دولةٌ تحمى على الطرف النظر
حظ من يدنو من الستر الشقاء ... وسعيدٌ من لها عما استتر[1]

* * *

فاغن بالراضينَ عن أقدارها ... أنهم نعم عتاد المالكين
واجعل الفردوس من أقطارها ... حيث يرضون ، وما هم ساخطين

* * *

وإذا مارئم[2] الضب الكدى ... فقل الكدية فردوس السماء
أو ليس الخلد يا رب الهدى ... منزلا لا يتخطاه الرجاء ؟؟[3]

* * *

لا تعاجلنى فقد لا يتقى ... سيد الكون لسنا يكذب
أن يكن وزر ضلالى مزهقى ... آخر الأمر ، فحتفى مكثب

* * *

لا لعمرى بل هو الصدق وما ... أجمل الصدق بشيطان غوى
إنما الصدق نبات ما نما ... قط بالخير ، وقد ينمو الهوى

* * *

(١) يقول الشيطان أن الشقاء نصيب كل من يحاول الكشف عن حكمة الإقدار كما أن التنكيل نصيب من يحاول إزاحة الستر عن سياسة الدول الخفية .

(٢) ألِفَ .

(٣) يستصغر الشيطان الفردوس التى وهبها لأنه له رجاء فوقها ولذلك لا يسميه فردوسا ولا يعد الرضى به نهاية السعادة كما أن الضب يرضى بكديته أو جحره وليس جحره بأقصى ما ترتقى إليه الآمال .

إنما الصـــدق وبال يُفـــتـــرى وأحق الحق مـــا يوحى الرجـــيم
أبطل البـــاطل لا يؤذى الورى وأحق الحق يودى بالصـــمـــيم[1]

أمـــجـــيـــبى أنت أم عند الصـــدى أبدا الدهر ســـؤالى والجـــواب
أهى الراحـــة فى الخلد ســـدى ثمـر الكون جـمـيـعًـا واللبـاب ؟؟

كـــيف يرضى خـــالدٌ يفـــصله أمـــدٌ بينكمـــا لا يُعـــبـــر
ايعـــاف الشـــأوَ أم يجـــهله أم يرجـــيـــه فـــلا يقـــتـــدر

عـــفـــوك اللهم لا خلد هنا ومـــتى كـــان خلود فى قـــيـــود ؟؟
ســـيظل الخلد وســـواس المنى وصـــدى الليل وأحـــلام الرقـــود

وســـيـــبـــقى الكون فى جـــوهره أبدًا شـــيـــئين مـــهـــمـــا اقـــتـــربا
خـــالقٌ قـــام على عنصـــره ومـــخـــاليق رأوه احـــتـــجـــبـــا

صـــانع يحـــيى البـــرايا منعـــمـــا وبـــرايا صـــنعـــا منٌ وجـــود
وكـــلا هذين مـــوجـــود فـــمـــا أبعـد البـون لعـمـرى فى الوجـود !![2]

أيهـــا الفـــانون فى هذى الدنى خلدكم يا قـــوم آجـــال تَوالى[3]
تحـــســـبـــون الخلد فى نيل المنى قـد خُـدعـتم ! فـاشكروا اللّه تعـالى

---

(١) من رأى هذا الشيطان أن الناس إذا وصلوا إلى الصدق قد تجردوا عن الأهواء ونزعات الطبائع ومطالب اللحم والدم وهذا نذير الهلاك فى عزمه .

(٢) تطمح كبرياء الشيطان إلى أعلى منزلة فيرى وراءها منزلة أعلى منها وهى منزلة الإلهية فيسخط على قسمته ويقول كيف يرضى بهذه القسمة الخالدون ؟؟ أيعافون ذلك الشأو الذى فوقهم وهو لا يعاف أو يجهلونه والجهل نقص فى مرتبة الخلود أو يطلبونه فلا ينالونه فيكونون من المحرومين ؟؟ - وفى هذه الحجة موضع ضعف لأنها تفترض التماثل التام بين حالة الخلود وحالة الفناء فى هذه الدنيا المحدودة .

(٣) المعنى أن خلود الفانين فى رأى الشيطان إنما هو آجال محدودة متعاقبة ليس إلا فكأنهم لا يزالون فانين مع خلودهم وهو إنما يريد الخلود المطلق الذى لا تحده الآجال .

قد خُدعتم فاسألوا الدود أما   يبلغ المأمول من شهوته
واغبطوه فهو أرقى سلما ،   أو ما يوغل فى حمأته ؟؟

* * *

اسألوا يا قوم أن لا تسألوا   وتمنوا للأمانى الكمالا
وإذا أعجزكم أن تفعلوا   فاشكروا من يحرم الخلق السؤالا[1]

* * *

عفوك اللهم أو لا عفو لى   طال بى حلمك فابعث وجلك
أنت لا تخطر لى فى أملى   لا تكن توبة نفسى أملك

* * *

وادع فى خلقك يسجد من رجا   خلدَك الأعلى فما نحن سجود
لنكونن إذا صح الحجى ،   حجرًا صلدًا ولا هذا الوجود

* * *

لا نطيل القول . أما المنتهى   فقريب ، وجرى ما قد جرى
السنى أظلم والنجم سها   ولهيب النار أمسى حجرا

* * *

لا انتقامًا حبطت فتنته   حاشَ للّه ولا الحلم نفد
إن تكن قد خمدت جذوته   فمن الرحمة بالخلق خمد

* * *

حين جارت فتنة الغاوى على   عصمة الأملاك فى غرتها
عجّل اللّه به ما أجّلا   وحمى الدولة فى بيضتها

* * *

قال كن عبدى فلما أن أبى   قال كن صخرًا كما شئتَ فكان
لهبٌ طار فلولا أن خبا   لتغشّى الكونَ نار ودخان

* * *

ولقد قال أناس شهدوا   مصرع الشيطان هل طبع يزول ؟؟
ناره تخبو فلا تتقد   وهو فى الصخرة يستهوى العقول

---

(١) يقول الشيطان إذا طلبتم أمنية تستحق الطلب فلتكن أمنيتكم أن تصبحوا من الكمال بحيث لا تطلبون شيئًا ، وهذه أمنية لا يقل اللّه منكم أن تطلبوها فاشكروه لأنه يحرمكم السؤال .

فإذا أبصرت من صخرته ... دُميةً ساحرة أو صنما
فابتعد منه ومن رقيته ... واتق اللّه وحوقل ندما

وتعجّبْ من شواظ[١] رده ... طارقُ اليأس صفاة جلمدا
وتدبّر كيف أبقى كيده ... ومحى روحًا وأفنى جسدا

ولقد أسمع فيما زعموا ... نبأً من نحو إبليس أتى
قال لا تأسوا ولا تنتقموا ... معشر الجن فما برّ الفتى

ما أرى هذا الفتى من دمنا ... ومتى استغوى الشياطين الشرك ؟
أترى شيطانه من قومنا ... أغوت الأملاك فهو ابن ملك !

ذاك أو كيف أطاشت فمه ... غيرةٌ منه على القول الصراح
أكبا الشرثار أم أسقمه ... أرجُ الجنة أم مل الكفاح ؟؟)

فتلاحَى القوم[٢] ثم استضحكوا ... ودعا مازحهم شر دعاء
قال فلتسلكه فيمن سلكوا ... أيها المولى سبيل الشهداء !

وتقضتْ بينهم سيرته ... ومضى كالطيف أو رجع الصدى
باءَ بالسخط فلا شيعته ... رضيت عنه ولا أرضى العدى

وكذا العهد بمشبوب[٣] القلى[٤] ... عارم[٥] الفطنة جياش الفؤاد
أبدًا يهتف بالقول فلا ... يعجب الغيّ ولا يرضى الرشاد

(١) شواظ النار اللهيب . (٢) تلاحى القوم : أى تنازعوا .
(٣) المشبوب المتقد .
(٤) القلى : الكراهية .
(٥) العارم الذى اشتد وجاوز حده .


قوميات

هيكل إدفو[*]

. . . .

يا دار بطليموس حسبك رفعةً ... وصيانة بين البِنَى وجمالا بالشامخات
حرصُ الزمان عليك وهو موكَّل ... يحيلها أطلالا
أبقاك فى فلك الزمان مصونةً ... جيلان يبنيك الملوك وصالا[1]
لم يبصروا بك موضعًا لزيادة ... إلا استزادوه علاً وكمالا
غدروا ذوى القربى ودكوا دورهم ... وتلاحقوا عمًّا إليك وخالا
واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا ... بين العباد ثوابًا ونزالا !
وضعوك أم رفعوك لما صوروا ... فيك السلاح أسنة ونبالا !
وتقحّموا الحرم الجليل أم ابتغوا ... زلفى لديه وقوة ونوالا ؟
ضلَّ الذين تطاولوا فتوهموا ... أن الأوائل دونهم أفعالا
حسبوا المعابد أرضَها وسماءها ... كونين من حكم الطبيعة حالا[2]
هبطتْ من الملأ العلىّ فأصبحت ... فيها الذئاب الضاريات سخالا
ننسى العداوة والصداقة والهوى ... فيها وننسى الخوف والآمالا
كذبوا فما تغنى الأنام عبادةً ... تذر القلوب فوارغا أغفالا
لا ربَّ إلا من يمالئ شعبه ... عند الكريهة إن جفا أو مالا
لا تعبدنَّ إذا أردت سيادةً ... ربًّا يُعين الصيد والأنذالا
واعبد إلهًا يصطفيك بعونه ... ويذيق خصمك ذلةً ونكالا[3]
من ظنَّ أن ولاته كعداته ... عند الإله . فكيف يسعد حالا ؟؟

* * *

الناس يغتال القوىّ ضعيفهم ... والدهر يغتال الفتى المغتالا
قهار كل القاهرين تقاصرت ... عند مكائد من طغى واحتالا

(*) هيكل إدفوا : جزء ثانى .

(1) وصالا : أى متواصلين .

(2) حال : أى اختلفت .

(3) هو الإله العادل الذى يعين الأخيار ولا يسوى بينهم وبين الأشرار .

ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم ... أسفًا وما نقص الثرى مثقالا

مَلكَ الفراعنة الحماة وخلّفوا ... للملك أعلامًا بمصر طوالا

وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم ... عبروا بمدرجة الزمان رمالا

ومضى البطالسة الكماة وهذه ... مصر يزيد شبابها إقبالا

تتقوض الأوطان وهى كدأبها ... من عهد نوح تربة ورجالا

عهدٌ على اللّه القدير وذمة ... ألا تضيم لها الكوارث آلا

فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا ... قسط البنين معارفًا وخصالا

إنا لنرجوها ونوقن أنه ... ما كان يومًا لا يكون محالا

وستستقل فلا تقولوا إنها ... صمد الهوان بها فلا استقلالا

* * *

تمثال رمسيس(*)(1)

رمسيسُ أين جنودك البُسَلاء ... ومواكبٌ لك فى البلاد وُضاء

وبشائر بك كلما طال المدى ... وتقدمتْ بإيابك الأنباء

والجيش حولك كالغمائم فوقهم ... للمُلْك والفتح المبين لواء

متهللين غداةَ أطفأ شوقهم ... نيلٌ أتوه وهم إليك ظماء

فنِىَ الجنود فهمْ عِثيرٌ(2) ... سافٍ وأنت جلامدٌ صماء

مُتخيّرَ الصحراء دار إقامة ... إن الليوث ديارُها الصحراء

وتكنّفتك(3) من الخلود مسافةٌ ... لا يستبيح ذمارها الأحياء

. . . .

رمسيس أيةُ صخرةٍ بين الصفا(4) ... قد شرَّفتها هذه السيماء

رجحتْ بها التبر السبيك نفاسة ... ما التبر والذكر المقيم سواء

حفظت سماتك بيننا وتطلعت ... تبغى علاك فعازها الأجواء

وشكت مواقفة الزمان ولم يكن ... يعروك أنت بموقفٍ إعياء

(*) تمثال رمسيس : جزء ثانى .

(1) لرمسيس الثانى : أكبر فراعنة مصر تمثال ضخم على مقربة من البدرشين وهو التمثال الذى كانت الحكومة قد عزمت على نقله إلى القاهرة ونصبه فى ميدان باب الحديد .

(2) العثير : التراب الثائر . (3) وتكنفتك : أحاطت بك . (4) الصفا : الحجارة .

إلى متطوعى مشروع القرش (*)

. . . .

يا فتية القرش وروّاده ... على سواء المنهج الواضح

خذوا هبات الجود حتى إذا ... فرغتم من فيضها النافح

طوفوا على الدور ولا تتركوا ... بابا قد استعصى على فاتح

وحاصروا الراكب فى ركبه ... واسطوا على السانح والبارح

وراقبوا الجو ولا تتقوا ... غوصًا وراء الغائص السابح

وعلّموا من ضن بالقرش أن ... يخجل من عدوانه الفاضح

فمن أبى قرشًا على أمة ... فذاك كالجانى وكالجارح

* * *

عيد الاستقلال السورى (*)

(ألقيت هذه القصيدة فى احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال فى سنة ١٩٣٠) .

ربعَ الشآم أعامرٌ أم خال ... اليوم عيدك عيد الاستقلال

إنى لأرجع بالسؤال أطيله ... لو يملك الشهداءُ رجع سؤالى

سكتوا وأقفرت المنازل منهمُ ... إلا منازل من صُوى[1] ورمال

بوركت من وطنٍ يُجلُّ شهيده ... فى حيثما ألقى عصا الترحالٍ

وطنٍ تضيقُ الأرض عن أبنائه ... وإليه مَوْئلهم مع الآمال

يستبدلون الخافقين ببضعة ... منه ، وما قنعوا بالاستبدال

ذهبوا بأفئدة تفرّق شملُها ... شيعًا ، وما فيهم فؤادٌ سال

* * *

(*) إلى متطوعى مشروع القرش : عابر سبيل .

(*) عيد الاستقلال السورى : وحى الأربعين .

(١) الصوى : القبور والحجارة التى تتخذ دليلا على الطريق .

يرتاد راحلُهم وخلف ركابه ... حُلُمٌ يبيت به مع الحُلاّل
يصحوا على «الشاغور» من لبنانه ... وينام من «بَرَدَى» على السلسال
وتهزه من «عشتروت»[1] خميلةٌ ... تلتفُّ بين جداول ودوال
وتليه من وادى العرائش نسمةٌ ... سكرى الضُّحى رفّافة الآصال
أنّى استقرّ وحيث سار هفا به ... همسٌ من الجبل الأشمّ العالى
أين السلوّ ؟ ولا سلو لعابرٍ ... فيه ، فكيف بمولد وفصال
هذى مواطنكم وتلك قلوبكم ... وشُجِتْ[2] على الأهواء والأهوال
ما فى المدامع من شعار كنيسةٍ ... يوم الحنين ، ولا شعار هلال
فيمَ اختلافُ مصفّدين تضمهم ... - قبل الوفاء - سلاسلُ الأغلال
أمنازعون على السماء وأرضُكم ... نهبٌ لكل منازع ومُوال ؟
كونوا - ولا نصحٌ لجيل نبوة - ... فى العالمين هدايةَ الأجيال
من بعلبكّ خذوا المثال لرأيكم ... يوم الخلاف ، وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمدٍ ... أثرٌ وللوثن القديم البالى

* * *

أنتم بنو ماض على أحزانه ... نعْمَ البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل ... ومن التجارب حكمة الأمثال

* * *

النشيد القومى(*)

قد رفعنا العلمْ ... للعلا والفدى

فى ضمان السماء

* * *

حىّ أرض الهرم ... حىّ مهد الهدى

حىّ أم البقاء

* * *

---

(١) عشتروت : هى قرية شتورة الحديثة فما يقال .

(٢) وشجت : اشتبكت .

(*) النشيد القومى : عابر سبيل .

كـم بـنـت لـلـبـنـين مـصـر أم الـبـنـاة

من عـريق الجـدود

* * *

أمـة الخـالـدين من يهـبـهـا الحـيـاة

وهبـتـه الخلود

* * *

تحت أصـفى سـمـاء فـوق أغنى صـعـيـد

شـعب مـصر مـقـيم

* * *

قـد حـوى مـا يشـاء من زمـان مـجـيـد

ومـكـان كـريم

* * *

نيلنا خـيـر مـاء كـوثرٌ مـن نـعـيـم

فـاض بالسلسـبـيل

* * *

فى الـعـروق الـدمـاء شـعلة من حـمـيـم

للعـدو الدخـيل

* * *

إن يـكـن أمـسـنـا فـى حـمـى الأولـين

فلـنعـش لـلـغـد

* * *

لا ترى شـمـسـنا غـيـر فـتح مـبين

مـا يـدمْ يـزدد

* * *

فـارخـصى يا نفـوس كـل غـال يـهـون

كـل شـىء حـسن

* * *

إن رفـعـنا الـرؤس فـلـيكـن مـا يـكـون

ولـتـعش يـا وطـن

* * *

يوم الجهاد(*)

أجل هو يوم الفدى والذممْ ... ويوم الجهاد ، ويوم القسَمْ

ويوم الذين دعَوا أمةً ... ونادوا بدعوتها فى الأمم

ويومٌ له غده المرتجى ... ويومٌ له سرّه فى القدم

هنا حرمٌ فى جوار الزمان ... فحيوا الزمان وحيوا الحرم

هنا فليقم عهده من أقام ... ، ويعزمْ على أمره من عزم

ويستقبل الهول من راضه ... ويرتد من خافه فانهزم

تعز الصفوف بنبذ الجبان ... كعزتها بشجاع هجم

وتُحمى الحقوق بدفع الضعيف ... كدفعك عن حوضها من ظلم

فليست تصان الحقوق التى ... حمى جانبيها ضعاف الهمم

وهيهات تعلو لنا شوكة ... بشكوى الذليل ، ونجوى السأم

إذا كرمتْ أمة لم تكن ... كرامتها من هبات الكرم

إذا استرحمت أمة خصمها ... فلا رحمتها عوادى النقم

* * *

. . . .

كفى لعبا أيها الهازلون ... ، فقد ملأ الخطب مصرًا وطمْ

لئن أسأمتكم كبار الأمور ... لقد أسأتنا صغار اللمم

وقد أسأمتنا رعاة تساق ... ، فأين الرعاة وأين الغنم ؟

أأصنام باغين تبغونها ... وأنتم تذلون ذل الخدم ؟

* * *

أأطلب حرية للعبيد ... وألقى بحريتى عن رغم ؟!

فماذا أقول لهذا الجبين ... وما عابه عائب أو وصم

وماذا أقول لهذى اليمين ... . وإنى بها قد صنعت الصنم

معاذ الفتوة . أنى لكم ... على رصد ساهر لم ينم

هو الحق ما دام قلبى معى ... وما دام فى اليد هذا القلم

(*) يوم الجهاد : عابر سبيل .

عيد بنك مصر (*)

ألقيت فى الاحتفال بمضى خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر

بلغتَ الشباب ، فعش وازدد — وأوح التهانىءَ للمنشد
نما بك جَدُّك فى المعجزا — ت ، فيالك من معجز مفرد
أفى السن كاليافع المرتجى — وفى المجد كالهرم المخلَّد ؟
وما هرم الصخر فى مجده — نظيرك يا هرم العسجد
وما بنيةٌ حرةٌ فى الرضى — تقام ، كبنية مستعبد
بنو مصر فى كل عهد لهم — بناء على سُنَّة الموعد
فحينًا معابدُ فوق الذرى — وحينًا مصارف كالمعبد
بهذا وهذا نجارى الزما — ن ، ونسبق فى شوطه الأبعد
وندرك فى يومنا أمسنا — ونرفع شأويهما فى الغد

* * *

. . . .

فيا قائمين على (حصن مـ — ـصر) سعدتم برضوانها الأسعد
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصـ — ـن ، نجا بالعتاد والمُعتد
ومَن قال يا أمتى وفرى — فقد قال يا أمتى جنِّدى
هنيئًا لكم قادة ذادةً — يصولون صولة مستشهد
هنيئًا لكم (حربكم) أنه — من الحرب فى وصفها الأحمد
لكم راية النصر مرفوعة — على ساحة الزمن السرمد
تعود لكم كل أعيادكم — بأجمل مما به تبتدى

* * *

دار العمال (*)

ألقيت فى دار العمال عند افتتاحها فى صيف سنة ١٩٣٥ .

حيٍّ «دار العمال» بالإقبال — وترقَّبْ لها بلوغ الكمال
وانتظر رافعى الدعائم حتى — يرفعوا بينهم عزيز المثال

(*) عيد بنك مصر : عابر سبيل .

(*) دار العمال : عابر سبيل .

رفعوا أمس ما علا من صروحٍ … ولهم فى غد صروحٌ عوالى
ولهم فى غد من الأمر قسطٌ … من يكن مؤمنا به لا يغالى
أيها العاملّون لبيكم اليو … م ، ولبيكُم غدا فى المجال
نعم جيش السلام أنتم إذا ما … جرّد البغى جيشه لاغتيال
لَكُم العدة التى ما استطاعت … أمةٌ قط تركها فى نزال
ولكم أذرع شداد ، وأيد … من حديد ، وأظهر من جبال
ولكم فى اتحادكم رأس مال … إن فقدتم ذخائر الأموال
ولكم صيحة يهاب صداها … سادة فى نفوسهم كالموالى
فابلغوا بالوئام والصبر مالا … يبلغ المرجفون بالأهوال
لا يسخّركم المسخر جهلا … وانبذوا كل عاطلٍ مكسال

* * *

. . . .

أيها المنقذون بنية مصر … من فتور ومن ضنى أو كلال
أنتم الكف والذراع وأنتم … قوة فى يمينها والشمال
حظكم حظها من العلم والصـ … ـحة والبأس والحجى والخصال
كلما نالها نصيب من الخيـ … ـر فأنتم لكم نصيب تالى
أعجب الناس عامل فى بلاد … صاح فيها : ما للبلاد ومالى ؟
لا تقولوا العمال حسْبُ ، وأنتم … فى بلاد تموج بالعمال
إن مصرا تنال من غاصبيها … أجر بخس وخدعة ومطال
وهى أرض للواغلين عليها … سطوة أشعبية الإيعال
كل من فى جوانب النيل عانٍ … مستغل الجهود والآمال
كلهم غارس لآخر يجنى … ثمر الماء ، والثرى ، والرجال
وإذا ما تفرقوا طبقات … جمعتهم جوامع الأغلال
وإذا قيل موسر وفقير … فقصاراهما إلى استغلال
حققوا الأمر ما قضية مصر … بعدُ إلا قضية العمال

عيد الجهاد(*)

«١٣ نوفمبر»[1] بعد ربع قرن

جـددوا آل مـصـر عـيـد الجـهـاد ... بجـهـاد على المدى فى ازدياد

إنما قُـدّر الجـهـاد عليكم ... يوم كـان «اسـتـقـلال» هذى البـلاد

والـذى أوجـب الحـراك عـلـى الأ ... يدى انطلاق الأيدى من الأصـفـاد

ليس كل الأعـيـاد ندحـة لهـو ... قـد تكون الأعـيـاد لاسـتـعـداد

وقـضـايا الـسـلام أطول عـهـدًا ... من قـضـايا الخـصـام بين الأعـادى

قـادنا مـعـشـر فلمـا تولوا ... أسلمـونا أمـانةَ القـوّاد

مـا إخـال الروّاد قـد سـرّحـونا ... بعـدهم نحن مـعـشـر الأجناد

سـبـقـونا ممهـدين وقـالوا ... دونكم فـانهـضـوا بغـيـر رقـاد

قـد حـملنا وديعـةَ الأجـداد ... فـاحـملوها أنتم إلى الأحـفـاد

* * *

. . . .

صـدقـونى فـرب صـدقٍ نذيرٍ ... حـاط قـومًـا من صـادق الإيعـاد

لغـدٌ - فـارقـبـوه - أحـوجُ منّا ... لاجـتـهـاد فى أمـرنا واتحـاد

قـد بدا حـولنا مـدى الحـرب فـينا ... ومـدى السلم حـولنا غـيـر باد

إنما الهـول فى غـدٍ فـاتقـوه ... واسـتـعـدوا له بأطيب زاد

مـا الوغى والسـيـوف مشـتـجـرات ... كـالوغى والسـيـوف فى الأغـمـاد

من حـروب على اللسـان صـراح ... وحـروب مكنونة فى الفـؤاد

* * *

(*) عيد الجهاد : بعد الأعاصير .

(١) يتشاءم الناس من رقم ١٣ ولكن ذكرى الجهاد قد أسقط أن تجعل من هذا الرقم يوم عيد .

وأباطيل فتنة وضلال ... وعقابيل محنة وفساد
كم تلاقون في غدٍ من دعاوى ... صبغوا لونها بكل حداد
ووباء الأخلاق من كل فج ... وبلاء الأرزاق في كل واد
قسم للحطام في غير عدل ... وادّخار له بغير سداد
بين كظّانَ أثقلت جانبيه ... تُخمٌ جمة ، وجوعان صاد
إن وقيتم بلادكم من أذاها ... فانعموا بعدها بعبقى الجهاد

* * *

عيد النيروز(*)

أهلا بنيروز وليد ... أهلا بميلاد سعيد
يومٌ جديدٌ . قلت بل ... عهدٌ على مصر جديد
عهدٌ تصان كرامةٌ ... فيه ، وتتبعها جهود
لا تستذل ولا تسا ... م على الهوى سوم العبيد
وغداً ستنقشع الغيو ... م فلا بروق ولا رعود
ما كان غير الصالحـ ... ـين لهم قرار في الوجود

* * *

مصر الكنانة كعبة ... قرت على حصن وطيد
لا تلبث الأصنام فيـ ... ـها أن تنكّس أو تميد
كم ذا أراد بها الأذى ... باغٍ ، وكاد لها حسود
يمضى بعدد ما يريدْ ... والله يفعل ما يريد
حوض له من قومه ... ورد ، وما أحلى الورود
إن لم يذد أبناؤه ... عنه ، فمن عنه يذود ؟
سمرٌ وسودٌ أين من ... صبغيهما حمر الجلود
شتان ما هم في الأصو ... ل ، وفي المهود وفي اللحود

* * *

(*) عيد النيروز : الاحتفال بعيد النيروز نشرت بالعدد ٧٣ من الأخبار الجديدة بتاريخ ١١ من سبتمبر ١٩٥٢ .

يا صحبة التوفيق وُفـ ... ـقتم إلى النهج السديد
حييتم النيل المبا ... رك واحتفيتم بالصعيد
عيد الوفاء إذا استعيـ ... ـد فمن وفاء المستعيد
عيدٌ له فى ذمة التا ... ريخ توفيقٌ حميد
عيد الأوائل والأوا ... خر ، والخمائل والورود
العالَمِيةُ وصفه المعـ ... ـهود فى كل المعهود
من فارس عنوانه ... وصداه فى الدنيا بعيد
كم صان مصريون ذكر ... اه وحياه هنود
وترنَّمت فيه العرو ... بة بالقصيد وبالنشيد
ما بين شعر البحتر ... ى وبين نثر ابن العميد
أم يؤلف بينها ... من حيث فرقها الجدود
ما أحوج الدنيا إذا ... اختلفت إلى عيد وحيد

* * *

فى كل عام تحتفو ... ن بمولد اليوم الجديد
بالنيل غير مقسم ... فرد له ملك فريد
ملك على دين الإخا ... ء ونعمة العيش الرغيد
لا راغم فيه يسا ... د وكل من فيه يسود
وتراه ضاع وظنُّه ... ألا يضيع ، ولا يبيد

* * *

يا مصر يا بنت الخلود ... يا معقل المجد التليد
أين الذين جزوك جا ... زية الخيانة والكنود
من كل مسخ هازل ... فى زىٍّ جبار عنيد
يحكى الأسود تجبُّرا ... وكذاك عربدة القرود
طاغ عليك ، ومنك لا ... منه الصوالج والبنود
وكأنما فى جوفه ... نار تلظَّى بالوقود

أبـداً تنـادى كـلمـــــــــا أطعـمـتـهـا هل من مـزيد
لا نصح يجـــدى فى هـذا يتـــه ولا عـــتبٌ يفـــيـــد
أيـن القــــــرار بـه ، وأيـن الـيـوم مـوكـبـه الجـيـد ؟!
ولّى وولىّ صــحــبـــه لا غـــائبين ولا شـــهـــود
من كـل مــــغلوب على كـــمـــد ومنبــوذ شــريد
اللّه أقـــوى قـــوةً من كـل شـــيطان مــريد
كم ذا اســتـعـز ببـأسـه فـــأذله البـــأس الشـــديد
بأس الجنـود العـــاملـــ ـــين يقـــودهم رب الجنود

* * *

النيل أقـــبل من بعـــيـد وكـــأنه حـــبل الـوريد
مـــتــدفقٌ بين الســـدو د ، ولا حـــدود ولا قـــيـــود
فـــيض من الســـودان مــو رده وقـــبلتـــه رشــيـــد
مـــتـــجـــدد فى كل عــا م عند مـــوعـــده يعـــود

* * *

الفالوجة(*)(1)

. . . .

أجل هى مصـر التى نعـهـد إذا نفـــد الدهر لا تنفـــد
لهـا مـورد من حـمـاة الذّمـا ر . يسـعـفـه أبداً مــورد
فللّه مــصـــر ومـــا جـــددتْ وأبناء مـــصـــر ومـــا جـــددوا
إذا مـا ارتضى الموت أبطالهـا فـــرضـــوانهم أنهـــا تخلد

(*) الفالوجة : بعد الأعاصير .

(1) تحية لأبطال «فالوجة» الذين قاوموا الحصار فى معركة فلسطين على قلة الموارد والذخائر والأسلحة والحصون .

أعـــادوا لهـــا ســـيـــرة الأوّلـ ـــين ، والعود من مثلهم أحمد
تحن الرمـال التى خـضّبـوها وينبض فى جـوفـهـا الجلمـد
فكم لعلىّ ، وكـم لصـــــلا ح جنودٌ بساحتها استشهدوا
وكم قـبل ذاك لرمـسـيـسـهـا كُـمـاةٌ على صـخـرها وُسّـدوا
مـــعـــودةٌ أن تجـيـب الدعـــا ء إذا مـا دعـا المجـد والسـؤدد

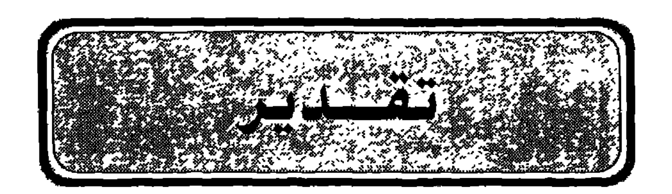
. . . .

بيوم مجيد ، لأمس مجيد وإن غـــداً بعـــده أمـــجـــد

* * *

بنو مـصـر للّه مـا جـاهدوا وفى الحق والخير ما أعـتـدوا
أولوا البـأس لكنهم عـصـبـة إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا
ومنهم لكل ضـعـيف حـمى وفـــيـــهم لكل أخ مُنجـــد
أغـاثوا العـروبة فى محـنة رمـــاها بهـــا الزمن الأنكد

* * *


تقدير

شكسبير (*)

بين الطبيعة والناس

أبا القــــوافى ورب الطرس والقلم ... مـاذا أفـادك صـدق العلم فى الأمم ؟
لـم يعــرفـوك ولم تجـهل لهم خلقـا ... هذا نصـيـبك من دنيـاك فـاغـتنم !
قـضّيـت دهرك تلهـيـهم وتضـحكهم ... يا للعـجـائب من أضـحوكـة القـسم
لا يوثق الهــر رئبـالا ليــضــحكه ... فاعجب من الناس ، لا تعجب من البُهم
هـلا رأوك عـلـى قـــــربٍ بـنظـارة ... ترى الحـجى رؤية الأسـوار والأطُم ؟
ولـو رأوك بـتـلـك العـين لانـخلعـت ... رقـــابهم دون أدنى تلكم القـــمم

* * *

شـــرعـتَ للناس وِردًا لا انقطاع له ... يوم انقطعت عـن الآفـــات والنعم
والميت قـد ينفع الأحـيـاءَ ما عَـمروا ... وليس ينفـعـه الأحـيـاء فى الرَّجم[1]
إنْ يذكـروك فـمـا جـاءتك ذكـرتهم ... فى الغـابرين ، ولا سـرتك فى الرمم
أو يكبـروك فـمـاذا قـول مـسـرجـة ... للشـمس : هذا ضيـاء الكوكب العلم
أو يشـكروك فــمـــا بروا ولا نـدمــوا ... أين الجـــهـــالة من بر ومـن ندم ؟
ارجعْ إليـهم ، وقل فـيـهم ، وغنّ لهم ... أيـنظـرونـك إلا نظـرة القــــــدم ؟
مـــا أكــثــر البـــر باسم لا غناء به ... وأنـدر البــــــر بـالأرواح والـنسـم
لا يقـدر الناس يومًـا أجـر سـادتهم ... وإنما يقـــدرون الأجـــر للخــــدم
أجـر العظيم زَمـاع[2] فى جـوانحـه ... يجـــزيه بالأمن أحـيـــانًا وبالألم

* * *

وصـاحب لك أرخـصتَ الفـؤاد له ... والحبُّ أقــــرب مـن إلّ ومـن رحـم
فـــرد من النّاس لو شـد الوفـاء به ... أهونتَ غـدر جـمـيع الناس بالذمم
فـقـدته وهو مـوجـود على كـثَب ... يا مـوجـد الحـسن أسـرابًا من العـدم
لـم يُغن قلبك عنه مـا يزخــرفـه ... عن صورة الحسن فى الأوصاف والشيم

(*) شكسبير بين الطبيعة والناس : جزء ثالث . ٣٣ (٤٢ فقرة ١٥٥) .
(١) الرجم : القبر . (٢) زماع : عزم وبأس .

بل زاد شجوك أن تلقى لها مثلاً ... حيًا ، على أنه فى البعد كالحلم
أعناه باللهو عما أنت ضامنه ... من ليس يغنيك عنه بالنهى العمم
هلا سلكتَ إلى قلب الحبيب وقد ... عرفتَ سر قلوب الناس كلهم ؟
هيهاتَ لا تملك الألباب ما عرفت ... أين المنجم من شهب ومن رُجُم
أرضٌ تراها ولم تملك مقالدها ... لتلك أقصى لعمرى من ذرى إرم

***

أبا القريض وحسبُ القول معجزة ... بشكسبير وحسب العرب والعجم
لو فاخر الكون أكوانًا تناظره ... كنت الفخار فأبدت ذلك العقم
ما الفخر للكون إلا بالحيلة وما ... من بضعة هى أحيا منك فى الأدَم[1]
لما رأت بك عمياءُ الحياة جلت ... ما ليس يجلوه نور الصبح من ظلم
(حتى الخرافات تزجيها فنحسبها ... من خلقة اللّه لا من خلقة الوهم)[2]
نكاد إن لم يجدها الطرف ماثلة ... فى الأرض نقدح فيه قدح متهِم
تقاربت عندك الأقدار والتهمت ... حياتُك الخلق طرًا كل ملتهم
فما احتفلت بأمر هائلى جلل ... صعب المرام ولا أزريت باللمم[3]
(مثل الطبيعة تذكى الشمس ساطعةً ... فى عُلُو ، إذكاءها للنار فى السلم)[4]
كم ترجم الناس عن فحوى حقائقها ... أنت تنقلها نصًا إلى الفهم

***

أبا القريض ألا بوركت من رجل ... إن الرجولة فى الأقوال والهمم
لقد خدعت خداعًا لن يضل به ... إلا الذكى الفؤاد الصادق الحكم
وقد خلدتَ ولكن مثلما خلدت ... تلك الشخوص التى أنشأتَ بالقلم
هذا قصاراك فى الدنيا وأحسبها ... تلهو بنا ، بيد هوجاء ، لا بفم
مالت على القوس ترمينًا على غرر ... من الظلام ، بلا وَرى ولا نغم
يا ليتها كلمتنا وّهى رامية ... أو غلّها شلل أحرى بذا البكم

---

(١) الأدم : جمع أديم وهو الجلد .

(٢) الوهم : هذا المعنى لها زليت الناقد الإنجليزى .

(٣) اللمم : الصغائر .

(٤) هذا المعنى مقتبس من أمر سون .

مجاورَ الموت هل ألقيت فى يده ... بقية منك لم تُقرأ ولم تُشم ؟(١)

ألقيت فى الأرض جمرًا لا ذكاء له ... فأين أفلت ذاكى ذلك الضرم ؟

أمنت قرب ثراها واتقيت يدًا ... تمس منك بقايا الأين والسقم

والأرض أمك والإنسان بعدُ أخ ... وقد يمد شقيق كف منتقم

لقد لحقت وكم فى ذاك من عجب ... بزمرة الصخر ، فانزلْ ثم فى حرم

ما أبلغ الموت فى صمت رماك به ... يا أبلغ الناس فى صمت وفى كلم

* * *

ذكرى سيد درويش(*)

فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكروا اليوم سيّدا ... واحفظوا الذكر سرمدا

وتغنوا بحمد من ... قد تغنى فأسعدا

من يكن ذاك أمسه ... يبتدئ مجده غدا

* * *

كان للصوت مالكا ... كيف لا يملك الصدى ؟

قد حوى السمع شاديًا ... وسيحويه مُخْلَدا

أخلد الناس من إذا ... قيل تاريخُه شدا

عاش للفن ، والفنو ... ن مصابيح للهدى

مطلع النور ، نبعها ، ... جاوز الشمس مصعدا

من يعش فى السماء هيـ ... ـات لا يعرف الردى

* * *

جددوا اليوم ذكر من ... قد تغنّى فجددا

الذى صوّر الحيا ... ة هتافًا مرددا

علّم الناس كيف يعنو ... ن باللحن مَقصِدا

ما ابتغوا قبله المعا ... نىَ فى القول مسندا

وانثنوا يَعجبون للطـ ... ـير لما تغردا

---

(١) تشم : شام البرق نظر إليه أين يذهب وأين يمطر .

(*) ذكرى سيد درويش : عابر سبيل .

ولهمس النسيم فى الـ ... ـغصن لما تأوّدا
والدراريّ والسنا ... والأزاهير والندى
سمعوا كل ما انطوى ... من سرار وما بدا
سمعوا الكون بيّنا ... والمقادير شهّدا
فُتح الباب كله ... بعد أن كان موصدا
ربما جاز فاتح ... فى المدى ما تعمدا

* * *

إنما الفن فى الشعـ ... ـب شبابٌ له الفدى
فيض ما زاد من شعو ... ر وما هام مبعدا
سورة فى عروقها ... يتقى بأسها العدّى
لا أنينٌ ولا طنينٌ ... ولا ضجة سدى
أو نديم لشارب ... بالطلا قد تزودا
أو بكاء كما بكى ... سائل يطلب الجدى
رحم اللّه سيدا ... كان للفن سؤددا
ليت أحياءنا الأولى ... سبقوا الموت موعدا
لحقوا - وهو فى الثرى ... منه روحا تمردا
وارتأوا مثل رأيه ... واقتدوا مثلما اقتدى
أكبر الظن أنه ... جاور البحر فاهتدى(١)
مفلحٌ من يكون أستا ... ذه البحر مزبدا
إنما اللحن ترجما ... ن عن النفس ما عدا
مبدع وهو ناقل ... كلما قال أوجدا
واصف لن ترى له ... عاذلا أو مفندا
هكذا كان سيد ... صادق الوصف مرشدا
ما سمعنا لشعب مصـ ... ـر على ما تعددا
واصفًا كان مثله ... مستجابا مؤكدا
كل رهط أعاره ... لحنه أسلم اليدا

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير فى ثغر الإسكندرية .

وحـــبـــاه بســـره ... نـاطق الـوسـم مـنشـــدا
لـيـس مـن عـــامـل ولا ... عـــاطـل راح أو غـــدا
أو ســـــريٍّ مـــجـلـل ... أو فــقــيــر تجـــردا
أو قـــوى مـــزمــجـــر ... أو ضــعــيـف تـنـهـــدا
أو دعـــاء دعـــاه إلا ... عـــرفـنـاه جـــيـــدا
هـكـذا يـســمـع الخـلـيـقـــ ... ـــة من يـســمـع الـصـــدى

* * *

إنمـا الـلـحـن مـنـطـق ... وحـــدّ الـكـون إذ حـــدا
فـيــه ، لا فى الـلـغـان ، يبـ ... ـدو نـظـيـمــا منضَّـــدا
اسـمـعـوا منه فى الضـمـا ... ئـر وحـيًّــا مـــؤيـدا
حـيـثـمـا يقـصـر الكلا ... م ويمـشى مـقـيـدا
وارفـعـوا الـفـن واحـذروا ... مـهـبـطـا مـنـه أو هـدا
واجـعـلـوا مـن تـراث درو ... يش لـلـفـن مـعـبـدا
إنـه مـهـد الخـطـى ... فـابـلـغـوا أنـتـم المـدى
رحـم الـلّـه سـيـدا ... كـان فـى الـفـن سـيـدا

* * *

تكريم عامرٍ (*)

بـلـدة الـشـمـس والجـبـال ... كـيـف لا تـنـجـب الـرجـال ؟
أنجـبـت مـثـل عـامـر ... وهـو فـى الـهـمـة المـثـال
الـذى فـى جـهـاده ... سـبـق الـقـولَ بـالـفـعـال
والـذى كـان أول الـصـ ... ـف فـى حـومـة الـنـضـال
عـنـد مـا نـودى «الـدفـا ... ع» بـدا فـارسَ المجـال
وتـلا مـن تـلا وصـا ... ل بـنـو الـنـيـل حـيـث صـال
أشـجـع الـنـاس بـاذل ... هـزم الـشـح والمـطـال
كـرم الـنـفـس كـالـشـجـا ... عـة مـن أنـدر الخـصـال

(*) تكريم عامر : عابر سبيل – أنشدت فى احتفال أقيم لتكريم السرى الأسوانى الكبير إبراهيم عامر «باشا» .

كرموا الذروة التي / رفعت هامة الهلال

رفعت أرؤسًا وطا / لت مع المجد حيث طال

واحمدوا في احتفالكم / أجدر الناس باحتفال

العصامي في الغنى / والعظامي في الخلال

والذي جدّ وحده / فشأى عصبة الرجال

والذي كل درهم / في تجاراته حلال

زانه اللّه بالأما / نة والصدق في المقال

والمضاء الذي يجدّ / ولا يعرف الكلال

والنظام السويّ في / غير ضيق ولا اختلال

يتبع المال صاغرًا / من له العزم رأسُ مال

* * *

لقب حازه وكم / حاز من قبله ونال

لم يزد فضله به / فهو ذو الفضل لا جدال

* * *

كرّموه تكرّموا / خير دار، وخير آل

إن أسوان ما خلت / قط من معدن الكمال

صخرها جوهر الخلو / د وأنموذج الجمال

وبنوها، وأنتُم / من بنيها - بخير حال

لكم المجد لا يزا / ل من الأعصر الخوال

إنما المجد بالعلا / لا جنوب ولا شمال

* * *

يا صديقي ويا ابن قو / مي، وجاري على اتصال

أقرب القرب بيننا / شيمة فيك لا تنال

شيمة النبل في استقا / مة طبع وفي اعتدال

شيمة العزة التي / لا يغالي بها اختيال

إنها جيرة لها / أبعد الناس مستمال

لا تزال غانما بها / هانئًا في هدوء بال

وحواليك دولة / من محبيك لا تدال

تتلقاك نعمة / أبد الدهر في اقتبال

ثناء على ماهر(*)

ثناء الكرام على ماهر[1] ... ثناءٌ على الرجل القادر
على رجلٍ زاهد فى الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله ... فيقبل فى جحفل زاخر
ومن كلِّ أيامه صالحا ... تٌ لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفى ... ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائحه الصادقا ... ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر
وآراؤه فى ثنايا غد ... كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه فى مواعيدهٌ ... كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق فى بأسه ... تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمن للعدى ... وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء الفرو ... ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب ... فليس بوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكى يومكم ... وطوبى لكم ذكرة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا ... بها نهج مبتكرٍ باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا ... مدى الحمد من وطنٍ قادر

* * *

(*) ثناء على ماهر : أعاصير مغرب .

(1) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر (يوليو ١٩٣٩) .

الغزالى والخيام(*)(1)

نكرّمه ، نكرّمه ... وما نرويه نعلمه
ولم ننشئْ له فضلا ... ولكنّا نترجمه
ومن ذا مثل إبرا ... هيم ذو فضل نعظّمه
وذو سمت نوقّره ... وذو رأيٍ نقوّمه
فتى ترضى سجاياه ... ويصدق قلبَه فمه
تساوت عند مطريه ... مزاياه وأنعمه
وحب الخير فى دمه ... فكيف يخونه دمه ؟
له مجدٌ يؤثّله ... بمسعاه ويدعمه
فقد يغنيه أحدثه ... وقد يغنيه أقدمه
ولكن ، ليس يستغنى ... بحظٍ لا يتممه
تكنى بالغزالى(2) ... فلم يتّعب منجمه
ولو مال إلى الخيّا ... م لاقاه مخيّمه
أديبٌ ينشر التبيا ... ن آيات وينظمه
عماد الجمع منبره ... وزين الطّرس مرقمه(3)
وللفنان فى ناد ... يه مغناه ومغنمه
علت فى السعد أنجمه ... وفى العلياء أسهمه

* * *

تعالى اللّه هاديه ... إلى النعمى وملهمه
ونعم الفضل فضل اللـ ... ـه بالقسطاس يقسمه

* * *

(*) الغزالى والخيام : بعد الأعاصير .

(1) ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بتكريم الأديب السياسى الأستاذ إبراهيم الدسوقى أباظة .

(2) نسبة إلى غزالة اسم بلدته .

(3) المرقم : القلم .

في محراب المطران(*)(١)

يومٌ تألّق واستضاء يوم تعطّر بالثناء
يوم أطلّ على الحمى والفضل مرفوع اللواء
هذا وفاء العارفين لشاعر عرف الوفاء

* * *

«مطران» محراب القريض ، خليلٌ ناديه الحميم
قدسٌ يزين وقاره أنس يهش له النديم
خلقان لم يتجمعا إلا لذى فضل عميم

* * *

ماذا أعدّد من سجايا ك الحسان ، وهنّ شتى
أدبا وعرفانا وآلاءً محبّبة وسمتا
وإذا أطلتُ فغاية الإطراء أنك أنت أنتا

* * *

ناداك أبناء العروبة باسم شاعرها المجيد
فألٌ تُجدّده الطوالع كل يوم فى سعود
الآن فاهنأ بالعروبة وهى «جامعة» تسود

* * *

أنطقت بالعربية الفصحى أعاجم شكسبير
ونقلتهم نقل الأمانة فى الكبير وفى الصغير
بدّلت فى لغة اللسان ولم تبدّل فى الضمير

* * *

ودعمت للتمثيل كعبته فعاودها المزار
صفرت فحين حللتَها حفلت بحج واعتمار
لقنتهم فتلقنوا منك التلاوة والحوار

(*) فى محراب المطران : بعد الأعاصير .

(٢) فى تكريم الشاعر الكبير خليل مطران .

وجمعت فحوى «الاقتصا ... د كما تنزّل فى كتاب
قلمٌ يعلّم علمه ... ويدٌ تجود بلا حساب
فى العُرف والعرفان سا ... ثلك المؤمّل مستجاب

* * *

ذم اليراع قضيتها ... فى كل ميدان دعاك
ليس النظيم أو النثير ... فصار ما استرعى هواك
إن «الجوائب» و«الجـ ... ـلة» فى الصحافة شاهداك

* * *

لما سبقت إلى الجد ... يد سبقت منه إلى كمال
أتعبتَ خلفك من عدا ... فى العدوتين على ضلال
لم يدركوك وإن جروا ... من بعد شوطك فى المجال

* * *

حررتَ أوازن القصيـ ... ـد فزاد فى الميزان وزنا
وتوسّعتْ فيه البحو ... ر فأرسلت دُررًا ومُزنا[1]
هذى الثلاثيات حـقـ ... ـك من لدنك ومن لدنا

* * *

وأقمتَ فى ديوانك العا ... لى أميرًا لا تُجارى
أولى الربوع بشاعر ... آفاق أنجمه العذارى
لا يبتغى سكنًا سوا ... ها حيث حلّ ولا مدارا

* * *

واللّه لو وفّوك بالتـ ... ـجديد حقك من ثواب
لم تُوف عهد كهولة ... إلا رددت إلى الشباب
متجدد الريعان فى ... ظل الخلود المستطاب

* * *

لكنّ حقك فى الشبيـ ... ـبة شائعٌ بين القلوب
يدعو بشعرك من شدا ... أو عنك فى النجوى ينوب
هبةٌ قضوك ديونها ... والحر سدّاد وهوب

---

(١) المزن السحب . وهذه القصيدة المنظومة «ثلاث ثلاث» حق للشاعر الذى سبق إلى هذا النوع من التجديد فى القوافى وتقسيم المقطوعات .

أنعم بمحفلك الذي وسع العروبة في مكان
كرمتْ بإكرام النُّهى وعلت بإعلاء البيان
هي ترجمت بك عن فضائلها ، فنعم الترجمان

* * *

عيشا معًا متعاهدين وأبلغا العهد التمام
منها لك الآذانُ صاغية ، ومنك لها الكلام
متقابلين على الرضى متلازمين على الدوام

* * *

كوكب الشرق(*)(1)

هلّل الشرق بالدعاء كوكب الشرق في السماء!
عاد في حلة الضياء ، وفي هالة البهاء
لم يَغب هاجرًا ولكنْ كما غرّبت ذُكاء
لا تخافوا على مطالعه سطوة المساء
واهبُ النور لا يداريه عن نوره عشاء
كوكب الشرق في أمان من الليل لا مراء

* * *

يا عروس السماع لبيك من يسمع الدعاء
وشفى أنفسًا لعينيك تسترخص الفداء
انظري في وجوههم تعرفي نضرة الوفاء
كلهم ود لو يُغني من البشر والصفاء
لو بقدر السرور نشدو غلبناك بالغناء !

(*) كوكب الشرق : بعد الأعاصير .

(1) تحية لمطربة الشرق الآنسة «أم كلثوم» لمناسبة شفائها وعودتها من الأقطار الأوروبية .

أم كلثوم يا بشيـ ... ـرًا من اللّه بالرجاء
أنت من وحيه ، وللـ ... ـه فى الفن أنبياء
ذلك الصوت - صوتك الـ ... ـعذب - من عرشه نداء
فيه سرٌّ من جنة الـ ... ـخلد لكنه ضياء
فيه ما يرفع الحجا ... ب وما يكشف الغطاء
فيه أنس لمن يشا ... ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجى سلا ... م وللمشتكى عزاء
فيه حرز من الهمو ... م وعونٌ على القضاء
أى نفس إذا تر ... نمت لا نهزم الشقاء ؟
إنه قوةٌ إذا ... عز من قوة نجاء
إنه من غنى إذا ... حُسب الصوت من غناء
إنه ثروة لمصـ ... ـر وما أجزل الثراء
مهرجان لعيدها ... حيثما رفرف اللواء
وعلى الجرح إن شكت ... بلسم ناجع الشفاء

***

أيها الكوكب الذى ... أسعد الأرض باللقاء
ر دّدى الطرف فى الفضا ... ء ، وما أرحب الفضاء
واسأليه سؤال من ... يلحن الطير فى الهواء
هلى سرى فيه مثل صو ... تك فى الحسن والنّقاء
فى قديم من الزمان أعـ ... ـنى وفى حاضر سواء
لا أحاشى من الرجا ... ل قبيلا ولا النساء
لا تجيبى . أنا المجيـ ... ـب ، ولم أغلُ فى الثناء
أنت كالشمس لا تُعدّ ... د فى هذه السماء

موسيقى خالد(*)(١)

أبناء مصر تذكروا ، وتذكروا . . ما مصر خالدةٌ لمن لا يذكر
وإذا جرى ذكر الفنون فميزوا بالحمد فنا بالجمال يُبشّر
ذهب الزمانُ زمانُ من لم ينعتوا بالمجد إلا من يصول ويقهر
إن الذى يُعطى النفوس عزاءها لأحقُّ بالذكر الجميل وأجدر
ليس الغناء صدًى ، ولا أنغامه خفقات أصوات ، تمر وتعبر
إن المغنّى – إن علا استقلالكم – بين البناة مؤسسٌ ومعمّر

* * *

للّه «سيد» الذى غنّى لكُم زمنًا ، فقال العارفون «مصوّر»
وصف ابن مصرَ فليس يدرى سامعٌ أصغى إليه : أسامعٌ أم مبصر
إن تسمع الحوذىَّ منه رأيته عجلا ، فتُيْمن فى الطريق وتيسر
أو تسمع النوتى منه حسبته فى النِّيل يُقبل بالشراع ويُدبر
أو تسمع الريفىّ منه لمحته فى الحقل يحصد فى الأوان ويبذر
أو تسمع الجندىّ منه نظرته وعلى أسرّته الشعار الأخضر
وإذا «المسارح» راجعت أيامها لاذت بفرد منه لا يتكرر

* * *

قالوا تفرنج بالغناء وإنما هو مؤثر فى الفن لا متأثر
عرف الأغانى واللحون كما جرت فى عُرف من نطقوا بهنّ فعبروا
أم إذا غنَّت فليس غناؤها لغو المجانة ، بل معان تؤثر

* * *

قل «سيدًا» فإذا ذهبْت مترجمًا علموا هنالك أنه «المايسترو(٢)»
هى من مصادفه الحروف وربما سبقَ الحروفَ بها دليلٌ مضمر
سمةٌ على كل اللغات سميُّها للسبق فى الفن الجميل ميسّر

* * *

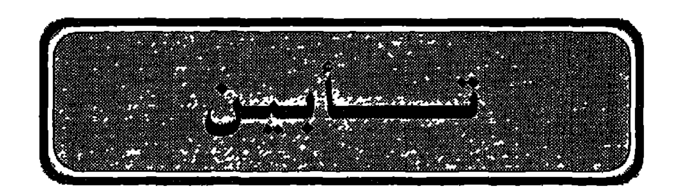
يا نخبةً قدروا الجميل لأهله دوموا على عهد الوفاء وقدّروا

. . . .

(*) موسيقى خالد : بعد الأعاصير .

(١) نظمت هذه القصيدة لمناسبة الذكرى الثانية عشرة لوفاة الموسيقى المجدد الشيخ سيد درويش .

(٢) المايسترو : الإيطالية «ترجمة سيد أو أستاذ» .


تأبين

ذكرى الشهيد(*)

(رثاء محمد فريد)

. . . .

دنيا نزاولها ونحن كأننا ... من غير طينتها نصاغ ونخلق

محجوبة المرمى ، فما لشرورها ... تعتاد حاسره الوجوه وتبثق

تمشى على الأبدىّ من أشواكها ... ونتاجها الأبدى عنا مغلق

وكأنما الدنيا سرابٌ سرمد ... لا يُرتوى منه ، ولكن يُغرق

سلواك فيها حين يخفق عامل ... ترجوه ، أن صداه قد لا يخفق

* * *

أفريدُ لا يلمم بسيرتك الردى ... أبدًا ولا يبرح سلاحك يُمشق

ما كان ذاك العمر إلاّ وقعة ... الدهرُ حومة حربها لا الخندق

والناصرون الحقّ جيش واحد ... متجمعٌ فى مدّه متفرق

الأنبياء الصالحون جنوده ... والحق بيرقه ونعم البيرق

لا ييئسنك أن قضيت فإنه ... جيش بموت غزاته لا يُمحق

ما زال مطّردا فقِبلك فيلق ... شراعوا لهاذمه[1] وبعدك فيلق

خير الجوانب أن تكون بجانب ... أضداده أسرى وإن لم يوثقوا

. . . .

* * *

(*) ذكرى الشهيد «رثاء محمد فريد» الجزء الثالث . ٢٢٨ (٣٤ فقرة ١٥٣) .

(١) اللهاذم : السيوف القاطعة .

ذكرى الأربعين (*)(١)

الأربعـــون

أمـضـيـت بعـد الرئيس الأربعـون؟ عـجـبًـا كـيف إذن تمضى السنون
فـتـرة «التـيـه» تغـشّت أمـة غـاب مـوسـاها على «طور سـينين»
كل يوم ينقـضى نفـقـده وهو ملء الصـدر من كل حـزين
تكبـر البلوى به حين مـضت والبـلايا حـينمـا تمضى تهـون
كـيف ينسى الناس من لم ينسـهم يوم تُنسى النفس والذخـر الثـمين
لم يزالوا كلمـا قـيل لهم ذهب الموت به ، يلتـفـتـون

. . . .

خـرج المدفع يطوى مـدفـعًـا الأسـاطيل اتّقـتـه والحـصـون
سـاكنًا بين يديهم بعـد مـا زلزل الشـرق على المغـتـصـبين
حـوله من عـسكر أو عـزّل جـيش أجناد له مـتـبـعـون

. . . .

ليس يبكى خطب سـعـد يائسٌ أين من سـعـد ضـعـافٌ يائسـون ؟
إنما يـخـلـق أن يـبـكـيـه من أصـابوا منه عـزمًـا لا يلين
لم يصب منه نصـيـبًـا من هوى خـائنَ العـزم ، فـمـا كـان يخـون
أيْ نـذيـرَ الحـق مـن وادى الـردى قم فـأنذرهم عـسـاهم يعلمـون

. . . .

ألق للتـاريخ مـا يكتـبـه أنت لا يلقى عليك الكاتبـون
صـفـحـة سطرتهـا أنت فـمـا فـى ثـنـايـاهـا سـطـور يمّـحـين

(*) ذكرى الأربعين : الجزء الرابع .

(١) نظمت هذه القصيدة للاحتفال بتأبين الزعيم العظيم سعد زغلول .

قل لـه ، والـدهـر يحنـى رأســـه   والطوايا شــاهدات والعـيــون
أنا مـصــر ، وهـى فـى سـؤددها   أنا مـصـر ، وهى فى الأسـر سـجين
أنا نجّــيت لمصــر نفـســهـا   ضـيّـعـتـهـا بين كـفـران ودين
أنا ألقــيت على عـاتقـهـا   حـملهـا المطروح بين الآخـرين
فـاسـألوا عن صـيـدها أو غـيـدها   وعن القــبط بـهـا والمسلمين
وعن الموســر والعــافى بهـا   وعن الآباء فـيـهـا والبنين
واســألوا عن عـالم أو جـاهل   وأصـيل من بنيـهـا أو هجين
تجـدوا مـصـرًا ولا تسـتـمـعـوا   غـيـر مـصـر فى دعـاء وحنين
جُـمّـعت فىّ نفــوس فـوقت   فى النبـيين الهـداة المصلحين

. . . .

يوم منفـاك وهل كـان سـوى   يوم بعث لبنيـهـا أجـمـعين
ضُـربت مـصـر فكانت ضـربة   ذادت النوم وطاحت بـالسـكون
أيهـا الغـادرون بالقـيـد لهـا   قـيـدوا الآن ! ألسـتم قـادرين ؟
الرحى دارت على أقطابهـا .   واسـتوى الطاحن فـيـهـا والطحين
بأسكم مـا عـهـدت أحـرارها   من قـديم ، وهى مـا لا تعـهـدون

. . . .

إن بكت مـصـر عليـه شـجـوها   إننى بالشـجـو وحـدى لقـمين
رزئتـه النـفس واللب ومـا   يشـتـهى الراوى ويبـغى الدارسـون
لـم يـكـن بـالأب إلا أنـه   كـان نـعم الأب فى رفق ولـين
كم سـعى سـاع إلـيـه ووشى   ومـقـامى عنده العـالى المصـون
يا هدى الأمـة يا نعم الهـدى   يا خـدين الصـحب يا نعم الخـدين
أنا جـبـارك[1] لا تعـهـدنى   ذلك الجـبـار فى الدمع السـخين
لست أنسى فى «وصـيف» سـامرًا   لك كـالطيـر أظلتـهـا الوكـون
إذا تُلاقـينا على مـهـد الرضى   والأحـاديث مع الليل شـجـون
نحـقـر الداء وترعى أمـرنا   إن غـفـونا أو غـدونا مـصـبحين

. . . .

(١) كان رحمه الله يلقب صاحب الديوان بالجبار .

يوم ودعـــــتك ودعـت أمــــرأ يملؤ الـدنيـــا ويقـــضى ويدين
وأحـــيـــيك لألقـــاك غــدًا حـــجـــرًا يعلوه نوار الغـــصـــون !
عـــجـبًـا لا ينقـضى من عـجب وفـــتـــونا ليس يبلى من فـــتـــون
أهو ســـعـــد ذلك الشـــاوى هنا أهو سـعـد ذلك القـبـر الـسـدين ؟
عـــجـــبت بادرتى ثم وعت فـــيـــه رمـــز الموت أعلى الرامـــزين
هو صـــخـــر ورياحين مـــعـــا بين عـــزم وخـــلال يســـتـــبين
فـــاعـــرفـــوا فى قـــبـــره تمثـــاله وأخفضوا الصوت ، وحيوا خاشعين

* * *

فـاز سـعـد(*)

عـــرف الـنفى حـــيـــاة ومماتا وأصـــاب النصـــر روحـــا ورفـــاتا
كـلمـــا أقـــصـــوه عن دار لـه رده الشـعـب إليـهـا واسـتـمـاتا
كـــيف يجـــزيه افـــتـــيـاتا وهو من كـان لا يرضى على الشعب افـتـياتا
أصـــبـــحت دارك مـــثـــواك فـــلا تخش بعـد اليـوم يا سـعـد شـتـاتا
حـــبـــذا الخلد ثمـــارًا للذى غـــرس المجـــد ونماه نبـــاتا
. . . .

* * *

جـــيـــرة الأحـــيـــاء أولى بالذى بعث الدنيـا حـــيـاة أن تبـيـد
مـــعـــشـــر الأحـــيـــاء أنتم لكم مـــدد من ذلك الميت مـــديد
مـــســـتـــعـــيـدين رجـــاءً كلمـــا جـزتموه ، وهو منكم مـسـتـعـيد
إنـه فى كـل جـــيـــل ذاكـــر من بنيـــه ، أبد الدهر وليـــد
تلك يا ســـعـــد مـــغـــانيك فـــمـــا فى ســواها يسكن اللحـد شـهـيد

* * *

(*) فاز سعد : عابر سبيل . نشرت يوم نقل رفاته من ضريحه بالإمام إلى ضريحه المقام بجواره داره .

اعبر القاهرة اليوم كما — كنت تلقاها جموعًا ونظامًا

ساعة فى أرضها عابرة — بين آباد طوال تترامى

ساعة من عالم الفردوس لا — تشبه الساعات بدءًا وختاما

كل من شاهدها زيد بها — من معانيك جلالا ودواما

قل لهم أبلغ ما قلت لهم — أيها الواعظ صمتا وكلاما

* * *

جردوا الأسياف من أغمادها — ذاك يوم النصر لا يوم الحداد

ارفعوا الرايات فى آفاقها — أين يوم الموت من يوم المعاد ؟

لا يُلاَقى الخلد بالحزن ولا — يكتسى الفتح بجلباب السواد

ذاك يوم ما تمناه العدى — بل تمناه ولاء ووداد

فانفضوا الحزن بعيدًا واهتفوا : — فاز سعد وهو فى القبر رماد

تمثال سعد (*)

الروح فى وادى الكنانة حائم — وجلال شخصك فى النواظر قائم

ما غاب منك مثال عارض — يمضى ، ويخلفه المثال الدائم

. . . .

تمثال سعد فى الجزيرة ساهرًا — هيهات يغلف منك لحظ صارم

النيل حولك لا يغيب هنيهةً — عن ناظريك ، وأنت عنه صائم

شأنٌ لربك فى الحياة حكيته — فالظل للغصن الوريف موائم

كم صام سعد عن مناهل حوضه — ويعبُّ مغتصب وينهل غاشم

كم بات يرعاه ، وليس بمرتع — من خيره ما يرتعيه الحاكم

كم غاب عنه ولم يغب عن همه — والبحر دون طريقه متلاطم

* * *

(*) تمثال سعد : أعاصير مغرب .

بك زادت الأهرام ركنا والتقت ... منها على بعد الزمان دعائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها ... فى الجيزة الفيحاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا ... يعيى بنقض بنائهم الهادم

. . . .

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولة ... يروى بها هذا الزحام الهائم ؟
يمناك تومئ فأين من ... إيمائها الصوت القوى الناغم ؟
عجبى لشيء فيه منك ملامح ... أن ليس يُسمع منه قولٌ حاسم !
عجبى لشيء فيه منك ملامح ... أن ليس يخفق فيه قلب عالم !
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة ... والصخر بأسا يتقيه الصادم
وتشابهت ثم الأسارير التى ... قد شابهتك بمثلهن ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التى ... ضاق الصنّاع بها وعىّ الراسم
أن لم تصورها اليدان فربما ... خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدّثنا فكلّ محدّث ... من فيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظٌ فدون الوحى من ... معناك - كلّ اللافظين أعاجم

تحية زعيم راحل(*)(1)

أكبرت فى غيب الزعيم محمد ... من كان يكبر حاضرًا فى المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم ... يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص مجادة ... للسيد بن السيد بن السيد

. . . .

* * *

عزّ الكنانة فيه فهى فجيعة ... تبلو الكنانة فى الضمير وفى اليد
ما فى مروءات الشعوب مروءة ... إلا رعته بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه ... بين المحافل دون ما لم يشهد

(*) تحية زعيم راحل : أعاصير مغرب .

(1) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

ومعاهد التعليم بين مشجع ... للعاملين بها ، وبين مزوّد
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ ... سردًا ، فعدد مابدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية ... للمهتدين ، وقدوة للمقتدى
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على ... مستغلق فيها ، ولا متأوّد
والعزة الشماء إلا أنها ... كالشاهق المخضر لا كالجلمد
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحا ... منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لا تكره الشورى وإن ... كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت ... كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عزّ الكنانة والعزاء ليعرب ... ما بين مُتْهم قومه والمنجد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصد ... والشمل بين مشرّد ومبدد

. . . .

* * *

سمحٌ على ما فيه من عصبية ... سهل ، وإن أعيى قومى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده ... وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكسفورد ، ولو نماه معشر ... للأزهر المعمور لم تستعبد
فيه محافظة ، وفيه طرافة ... وأراه فى الحالين غير مقلد
ورث الحمية كابرًا عن كابر ... والأريحية منجدًا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما ... سقياه من أصليه أعذب مورد
فإذا بكت مصر فغير ملومة ... وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *

آه من التراب (*)(١)

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب ؟ عوّدتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشُها المنبر مرفوعُ الجناب مستجيبٌ حين يدعى مستجاب

أين فى المحفل «ميّ» يا صحاب ؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط الندىّ أين مى ؟ هل علمتم أين مى؟
الحديث الحلو واللحن الشجى والجبين الحرّ والوجه السنى

أين ولى كوكبا؟ أين غاب ؟

* * *

أسف الفن على تلك الفنون حصدتها ، وهى خضراءُ ، السنون
كلّ ما ضمته منهن المنون غصصٌ ما هان منها لا يهون

وجراحات ، وبأس ، وعذاب

* * *

شيمٌ غرّ رضيّات عذاب وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاءٌ ألمعىّ كالشهاب وجمال قدسىٌّ لا يعاب

كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

* * *

(*) آه من التراب : أعاصير مغرب .
(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

كل هذا خــالدٌ فى صــفــحــات عطرات فى رباها مــشــمــرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبــات رفــرفت أوراقــهــا مــزدهرات

وقطفنا من جناها المستطاب

* * *

من جناها كلّ حــسن تشتــهــيــه مــتــعــة الألبــاب والأرواح فــيــه
ســائغ مُــيّــز من كل شــبــيــه لم يزل يحــســبــه من يجــتنيــه

مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقــاليم التى تنمــيــه شــتــى كل نبت يانع ينجب نبــتــا
من لغــات طوّفت فى الأرض حــتى لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا

وحواها كلها اللب العجاب

* * *

يا لذاك اللب من ثروة خــصــب نيّــر يقــبــس من حس وقلب
بين مــرعى من ذوى الألبــاب رحب وغنى فــيــه وجــود مــســتــحَب

كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

* * *

طلعــه الناضــر من شــعــر ونثــر كــرحــيق النحل فى مطلع فــجــر
قــابل النورَ على شــاطئ نهــر فله فى العين ســحــر أى ســحــر

وصدى فى كل نفس وجواب

* * *

حيّ «ميّا» إن من شيع ميا   منصفًا حيّا اللسان العربيا
وجزى حواء حقا سرمديا   وجزى ميّا جزاء أريحيا

للذى أسدت إلى أم الكتاب

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابًا   والذى صاغته طبعاً واكتسابا
والذى خالته فى الدنيا سرابا   والذى لاقت مصابا فمصابا

من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

أتراها بعد فقد الأبوين   سلمت فى الدهر من شجو وبين
وأسى يظلمها ظلم الحسين   ينطوى فى الصمت عن سمع وعين

ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراها بعد صمت وإباء   سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كلٌّ ما فيه رياء   وعداء كل ما فيه افتراء

وسكون كل ما فيه اضطراب

* * *

رحمة الله على «ميّ» خصالا   رحمة الله على «ميّ» فعالا
رحمة الله على «ميّ» جمالا   رحمة الله على «ميّ» سجالا

كلما سُجل فى الطرس كتاب

* * *

تلكمُ الطلعــــة مـــا زلت أراها   غــضـــةً تنشــر ألوان حـــلاها
بـين آراء أضـــــاءت فـى سـنـاهـا   وفـــروع تتـــهـــادى فى دجـــاها

ثم شـاب الفرع والأصـل ، وغاب

* * *

غـــاب والزهرة تؤتى الثـــمـــرات   ثمـــرات من تجـــاريب الحــيـــاة
خـيـــر مـــا يؤتى حـصـــاد السنوات   بعـــثـــرتهن الرياح العـــاصـــفـــات

ورمـــتهـن تـــرابًا فى خـــراب

* * *

ردّ مـــــا عنـدك يا هـذا التـــراب   كل لب عــبــقــرى أو شـــبـــاب
فى طواياك اغــتــصــاب وانتــهــاب   خُلَقــا للشـــمس أو شم القـــبـــاب

خـــلقـا لا لانـــزواء واحـــتجاب

* * *

ويك ! مـــــا أنت براد مـــــا لديك   أضــيــع الآمـــال مـــا ضـــاع عليك
مــجــد «مىّ» غـيــر مــوكـول إليك   مـجـد «مىّ» خـالص من قـبـضـتـيك

ولـــها مـن فـضلها ألـــف ثـواب

عبد القادر(*)

جلّ المصـاب بفـقـد عبـد القـادر[1]   ويح البــيـــان على المبين الســـاحـــر
البـــاحث المنطيق فى تاريخـــه ،   الملبس الماضى لبـــاس الحـــاضـــر
الناقـــد الأنبـــاء نقـــد صـيـــارف ،   الـوازن الآراء وزن جـــــــــواهـر

(*) عبد القادر : أعاصير مغرب .

(١) هو فقيد الكتابة والصحافة عبد القادر حمزه صاحب «البلاغ» .

المستعين على السياسة بالحجى ... والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت ... يوما لمنتقم ولا لمناظر

. . . .

عرف الحقائق فاستراح جنانه ... من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره ... بغضًا لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده ... علمٌ على بعد ، وعلم معاشر
كم مرّ من يوم ضحوك بيننا ... أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها ... متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معًا فى حلبة ... عزت على غير الطمرّ الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا ... نعم العتاد لذاكر ولعابر

شهيد الوطن (*)
أحمد ماهر (1)

لم أصدق وقد رأيت بعينى ... وسمعت الطّق المريب بأذنى
«ماهرٌ» فى الندىّ يُجنى عليه ... ويدٌ - قيل من بنى مصر- تجنى؟
أشبه الصدق بالأباطيل هذا ... ويك أمسك ! جاوزت غاية ظنى

* * *

لم أصدّق ، وما لحى دوامٌ ... والمنايا تطوف فى كل ركن
غير أنّ الكيد الذى كاده الجا ... نى - له الويل - لا يُطيف بذهن

(*) شهيد الوطن أحمد ماهر : بعد الأعاصير .

(1) قيلت هذه القصيدة فى رثاء . الزعيم الوطنى الشهيد الدكتور أحمد ماهر وقد اعتدى على حياته شاب مفتون بدار النيابة سنة (١٩٤٥) وكان الناظم فى تلك اللحظة بمجلس الشيوخ فى انتظار بيان من الزعيم الفقيد .

أى رأس رمــى ؟ وأى فـــــــــــؤاد نال منه ؟ وأى صـــدر وحـــضن ؟
أفـــيُـــرمَى بالموت أوسع صـــدر لبنى قـــومـــه ، وأمنع حـــصن ؟
أفــيُـــرمَى بالموت قلبٌ يحــوط النا س حـــبًّـــا ولا يحـــيط بضـــغن ؟
أفيُـرمى بالـمـــوت رأسٌ تـــولّـى مـــجـــد مـــصـــر برأيه المطمـــئن
يُعـــــمل الرأى للبــــلاد ويَلقى مـــعـــول الموت هادمًـــا ، وهو يبنى ؟
يا ضـــلال الجـــدود فى هذه الد نيـــا ، ويا ســـوأةً لذاك التـــجنى
أمـنـتْ تـلـكـمُ المقـــــاتـل لـو يأ من فى الناس كلُّ صـــاحب أمن
لو تـردّ النيـــاتُ غـــرب ســـلاح ردّ عـنـه الســـلاح ألفُ مـــجَنّ

* * *

لو أصـــدّق ، وقـــد رأيت بعـــينى أمَّـــةَ النيل فى حـــداد وحـــزن
حـــزنت غـــيـــر أنهـــا ليس تَدرى ألـلقـــيـــا تجـــمَّـــعت أم لـدفن
أعـمقُ الصـمت صمـتها وهى حيرى بين صـــدق الأسى ووهم التـــمنى
ترقـب النعش قـــادمًـــا يتـــأنى وتمنّـت لـو طـال ذاك التـــــــأنى
أوجعُ الشـك شـك ســـاعـــةِ هول فى يقين يُدمى العـــيـــون ويُضنى
المســـجّى يأيهـــا الجـــمعُ هذا أفـتـــدرى من ذا يكون ؟ أجـــبنى !
إنه «أحـــمـــدُ» الذى كـــان فـــينا منـذ يوم رضـــوانَ كلٌّ مـــهـنى
من يصـــدّق هذا يصـــدقْ عظيـــمـــا من بلاء الدنيـــا يشـــيب ويفنى

* * *

لم أصـــدق والأربعـــون أمـــامى كلُّ ســـاعـــاتهن ســـاعـــة بين
كـم تمثلتـــــه وأحـــــسب أنى إنْ أحـــقق رأيتــه نصـــيب عـــينى
مـقـبـلاً ضـاحك الأسارير سـمـحًا ثـابـت الجــــــأش لا يُـلـم بـوهـن
فُـجـعتْ مـصـر فـيـه بالقـائد الأسـ ـق ، والأوحـــــد الذى لا يثنّى
بـالـزعـــــيم الأمـين فى كـل رأى والـوزيـر الـقـــــدير فى كـل فـن
والحـــسيب المُوفى لكل حـــســـاب والخطيب الذى يقـــــول ويَعـنـى
الذى فـــارق المناصب جـــهـــرًا بـصـــــــريح من رأيه لا يـكـنّـى
والذى أنفق الشـــبـــاب جـــهـــادًا فى خطار على الحـــيـــاة وســـجن

والذى أجـــزل العطاء لمصــــر ... هبـــةً منه لا تشـــاب بضن
والذى لا يسىءيومًـــا ، ويعـــفـــو ... عن مـــسىءإليـــه فى غــيـــر منّ
والذى كـــان فى «النديّ» إمـــامـــا ... وسط العـــدل حين يُقــضى ويُدنى
عـــز فـــينا دســـتـــور مـــصـــر بشـــرح ... من هداه لا يســـتـــعـــاض بمتن
لـن يقـول الصـديق فـيـه مـقـالا ... يتـــأباه خـــصـــمـــه حين يثنى

الأستاذ الأكبر(*)(١)

من مـــثل نابغـــة النوابع مـــصطفى ... فى ســـابق من مـــجـــده أو لاحق
رجّـــــاه والده الكريم لغــــايةٍ ... حـــسنى ، فـــوفّـــاها وفـــاء الواثق
ربّاه حـــبـــرا للديانة فـــاســـتـــوى ... فى نخـــبـــة الأحـــبـــار أسـبق ســابق
ونماه فى حـــجـــر العـــبـــادة مـــسلمـــا ... فـهـدى الحـجـيج ، وحجّ كلَّ منافق
وأعـــده للعلم فـــاســـتـــوفى به ... حظ العليم الفـــيلســـوف الحـــاذق
وغـــذاه بالتـــبـــيـــان فـــانقـــادت له ... غـــرر اليـــراع بكل مـــعنى شـــائق
وهداه للإحـــســـان فـــهـــو وليّـــه ، ... لعـــاهد الإحـــســـان غـــيـــر مـفـــارق(٢)
ورجـــاه للعليـــاء فـــاســـتـــبق الخطى ... ســبقَ الكرام إلى المقـــام الســـامق
لا وانيًـــا عنهـــا ، ولا مـــتـــعـــجـــلا ... فـــيـــهـــا تعـــجّل مـــشـــفق من عـــائق
وكــــأنهُ وعـــــد الأمين وفى به ... فطوى صـــحـــيـــفـــتـــه كلمح البـــارق
لو لم يكن قـــدرًا قـــضـــاه لما قـــضى ... كـــالنجم يرجع غـــاديا من شـــارق
إن المطالع لا يقــــر قــــرارها ... بعـــد التـــمـــام ، ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخـــذًا من كل شىء صـــفـــوه ... بوركتَ من ذى مـــعـــجـــزات خـــارق
حـــتى الخـــمـــول بلغت غـــاية حظه ... عـــجـــبًـــا ، وأنت من العـــلا فى حـــالق
لم ألق قـــبلك من نبـــيـــه آمن ... من شــرِّه البـــاغى وغـــيظ الحـــانق

(*) الأستاذ الأكبر : بعد الأعاصير .

(١) رثاء العلامة الأستاذ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٤٧ .

(٢) كان رحمه الله وزيرًا للأوقاف ورئيسا لبعض جماعات الإحسان .

تلك المدامع ما امتزجن بدمعة | من كاذب فى حزنه أو ماذق
ولتلك من رضوان ربك آيةٌ | تخذت من الإجماع أصدقَ ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق | مرضيَّة منه ، وخير علائق
ما الموت ياكشاف كل حقيقة | إلا حقائق حُجِّبت بحقائق

السيدة هدى(*)(١)

ربةُ البر والندى | لم يَضِع سعيها سدى
لغد كان سعيها | وسيبقى لها غدا
كلُّ ما قدمت من الخيـ | ـر باق على المدى
ينطوى الدهر ما انطوى | منه صوتٌ ولا صدى
هى ملءُ الضمير منـ | ـكم مغيبًا ومشهدا

* * *

كنت فى الشرق يا هدى | مثلا كان أوحدا
أين فى المجد والعلا؟ | أين فى الجد والجدى؟
غايةٌ طاولت سما | ءك مرقىً ومصعدا
إن علا محتد علو | ت إلى الأوج محتدا
أو علا سؤدد العوا | رف بوركتِ سؤددا
أو حدا الركب بالعزا | ئم جاوزتِ من حدا
شرفٌ كلُّ عنصر | يه على المجد أسعدا
تم موروثه العر | يق بما قد تجددا
ذاك أو ذا كلاهما | حسبُ من شاء مفردا

* * *

إن من تذكرونها | ذكرها غالبُ الردى
قدوة الفضل للعقا | ئل فى كل منتدى
ولها السبق كلما | حسُن السبقُ موردا
سفرت والحجاب كالليـ | ـلِ غيْمانَ أسودا

(*) السيدة هدى : بعد الأعاصير .
(١) رثاء السيدة الجليلة صاحبة العصمة هدى شعراوى ، وكانت قدوة لسيدات الأسر فى النهضة النسوية والمآثر الاجتماعية سنة (١٩٤٨) .

والتـقت باسم مـصـر والنـ ـيل جـيـشًـا مـجنّدا(١)
وأعـــانت على الزمـــا ن مـريضًــا ومُـجـهَـدا
وضـعـيـفًـا من اليـتـا مى وطفـــلاً مـشـــرّدا
وحـمى عطفُـهـا فـرا ئسَ من ضل واعـتـــدى
ورعت ناشـــئـــا عن الـ ـعلم والأهل مُـبـعـدا
وأجـــازتْ على البـيـا ن فــأسـدت له يدا
إن بـكـوا كـلـهـم لـنـعـ ـيك لا غــرو يا هدى
كلـهـم يفـتـديك لو يُدفـع الموت بالفـدى
لا صـديقٌ ولا عــدا ليس فى الحق مـا عـدا
أم الشـرق كلُّهـا حـمـدت منك مـحـمـدا
توج التـاجُ ذكـريا تك والشـعب ردّدا
آيـة الله يـا هـدى ولك الخلد سـرمـدا

محب السلام(*)(٢)

. . . .

عـــزاء الزمـــالة فى رزئـه لقـد كـان نعم الزميـل الهـمـام
حـفىّ اللقـاء ، وفىّ الإخـا ء ، عـفيف اليراع عـفيف الكلام
صـبـورًا على هفـوات الطبـا ع ، يغضى عن السيِّئات الجسام
حليـمـا إذا طاش لب الحلـ ـيم ، رضيـا إذا لجَّ داعى الخصام
ترى حـوله الناس شتى العـقـو ل ، شـتى المذاهب ، شـتى المرام
فـتـحـسـبـه عـامـلا وحـده وتحـسـبـه قـائلا فى الزحـام
كـأنّ له خـاطِرىْ مـهـجـة لهـذا مـقـام وهذا مـقـام
طرائفـه فى ثنايا الحـديـ ـث ، تنسى النديم كـؤوس المدام

(١) كانت السيدة الجليلة تقود أول مظاهرة نسوية خرجت فى مواجهة الجند المسلحين تحتج على الحماية البريطانية .

(*) محب السلام : بعد الأعاصير .

(٢) رثاء الكاتب الكبير أنطون الجميل عضو المجمع اللغوى ورئيس تحرير الأهرام ، وكان قد سهر على عادته فى مكتبه بالصحيفة ، ثم شعر بضيق مفاجئ توفى على أثره فى الهزيع الأخير من الليل .

وأمــــثـــاله من عــــيــــون البــــيـــا ن ، جـــــواهر منثـــــورة فى نظام

وآراؤه حـــنن تـــطـــغـــى الخـــطـــو ب مـــــعـــــالمُ هاديةً فى الظلام

وأقـــــــــــــدر خلق على أن يُـذ يعَ قـد كـان أقـدرهم فى اكـتـتـام

فـــمـــا صين ســـرٌّ كـــمـــا صـــانه وإن عـــزَّ فى الســـر راعى الذّمـــام

وأكـــثـــر مـــا اســـتـودعـتـــه النفـــو سُ أودعـــه اليـــوم جـــوف الرّغـــام

***

مـنـاقـب أنـطـون لا تـنـقــــــضـى ولا يخـتـم القـول فـيـهـا خـتـام

أحـبُّ الســــــــــلامَ ونـادى بـه عليـــه مـــدى الدهر أزكى ســـلام

***

الشهيد الأمين (*)(١)

محمود فهمى النقراشى

أســـفى أن يكون جـــهـــدَ رثائى كـلـم عـــــــابـر ، ورجـع بـكـاء

مـــارثاء الحـــزين غـــيــــر تعـــلاّ ت ، ومـــا النوح غـــيـــر نفث هواء

ليـــتنى أخـــرس الفناءُ لســـانى قـــبل يوم أشـــقى له من فنائى

مـــا وفـــاءٌ بذل الدمـــوع من الحـــز ن ، على مَنْ وفى ببـــذل الدمـــاء

***

إن حـــــــزنى على هذه الأنـفـــ ـــس ، ضلّت فـينا سـبـيل الســواء

نُكست بينهـــا الموازين نُكسًـــا واســتــحــالت مــعــالم الأشـــيـــاء

كـم رأينا غـــــدرًا ولا من عـــــداة وشـــهـــدنا حـــربا ولا من عـــداء

ظلمـــاتٌ تقـــودها خـــبط عـــشـــواً ء ، وويلٌ لخـــابط العـــشـــواء

***

(*) الشهيد الأمين محمود فهمى النقراشى : بعد الأعاصير .

(١) قتل شهيد الوطنية والرأى والخلق الأمين - محمود فهمى النقراشى - بديوان وزارة الداخلية فى اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

أتصم الآذان عن صادق النصـ ـح ، وتصغى طوعا لكل افتراء ؟
أمةٌ فى الشقاء من معتد فيـ ـها عليها ، ومن صويع اعتداء
أعجزُ العاجزين يقوى علىً إيذ ائها غايةً من الإيذاء
والقديرون يشتكون من العجـ ـز ، إذا مهَّدوا لها بالدواء
كيف كيف النجاءُ من هذه المحنـ ـة ، بل أين أين حق النجاء

* * *

إن حزنى حزن على هذه الأمـ ـة : رفقًا بها إله السماء
قُلبت آيةُ الحقائق فيها وقضى سفلُها على العظماء
غيلة الموت للغيور عليها ، وقضاء الحياة للجهلاء
وقضاء الجهول أوخم عقبى من قضاء البهيمة العجماء
فتنة تعمه البصائر فيها وتضل العقول فى تيهاء
إن أبينا البقاء حقا لمحمو د ، فمن ذا يُرجى لطول البقاءِ

* * *

نبئونى . فإننى أنا واللـ ـه ، عرانى عىٌّ عن الإنباء
أى سهم ترمى به يدُ مصر ى يرى فيه موقعًا لرماء
أى تلك الخصال مرمى اغتيال لبنى مصر ، بل بنى حواء
أيُغال الحنان فيه ، حنانًا كاد يُحصى به مع الضعفاء ؟
أم يُغال الحفاظ فيه ، حفاظا يتحدى جحافل الأقوياء ؟
أم يُغال العفاف أصدقُ ما كا ن عفافا فى مستسرِّ الخفاء
أم يُغال الإنصاف يحمى عُداه - حين يقضى - من صفوة الأصفياء
أم يُغال الذكاء يخترق الحجـ ـب ، بنور يهدى كنوز ذُكاء
أم يُغال الزهد الذى حار فيه كل مغترٍ من سطوة وثراء
أم تُغال الخلائق الزُّهر كادت تترقى إلى ذُرىً الأنبياء
أم يُغال الصبر الطويل على الجهـ ـد ، بلا منَّةٍ ولا إعياء
أم يُغال الجهاد فى حب مصر . . . ويح مصر من تلكم النكراء
إن محمودًا الذى فقدته واحدٌ لا يقاس بالنظراء

* * *

يـا أبـا هـانـئ ! وأعـــــــزز بـأنـى لا أرى هـانـئــــــــاً ربـيـب هـنـاء
أنعـــزيه فى مـــصـــابك لهـــفـــا ن ، ونحن الأحــرى بطول العــزاء
ومـصـابُ الـشـعـوب فى الحق أقـسى مـن مـــصـــاب الأبـنـاء فى الآباء
خطب مـصـر . يسـامح الله مـصـرًا عـقّـهـا فى جـدودها القـدمـاء
عقّها فى اسمها ، وما تعرف الأقوا مُ دخـــرًا أغلى من الأســـمـــاء
يرحم الله مـــصـــر من فـــتنة تطـ ـغى يجـــهّـــالهـا على الحكمـاء
يرحم الله مـصـر . إنك يا مـحـمـو د فى رحـــمـــةٍ مع الشـــهـــداء
لا يضيم الإلـه قـــومـــا بذنب أنت فـيـه لهم من الشـفـعـاء

فقيد اللغة والأدب (*)

على الجارم (١)

. . . .

لست أو فـيـه وصـفـه : إن وصـفًـا لـعـلىّ يُـغـنـى غـنـاء الـســـــمـىّ
علم فى الديار ، صنّاجـة فى الحفـ ـل ، ركن فى المجـــمـع اللغـــوىّ
وســـراجٌ فى مـــفـــرق الرأى هاد وجـــمـــال وبهـــجـــةٌ فى النـدىّ
وزمـــيـل ســـمـح الزمـــالة برٌّ وأخ بالإخـــاء جـــدّ حـــفـىّ
ذلك الشـــاعـــر الذى ثكلتــه مـــصـــر ، فى يوم مـــأتم وطنى
لم تزل تســـمع المراثى حـــتى ســمــعتْ فى الرثاء صـوت نعىّ
تـتـنـزى عـلـى زعـــيـم أمـين وأديب جـــزل البـــيـــان ســرىّ

* * *

لست أو فـــيـــه حـــقـــه . إنه حـ ـق بيـــانٍ عن البـــيـــان غنى
وارث الأصـــمـعى فى لغـــة «الضـا د» وفى الشّـعـر وارث البـحـتـرى
والأديب الـذى لـه فطنة المصـــر ى زانت سليـــقـــةَ البـــدوى
والمربّى الـذى تعـــهّـــد جـيـــلا عـــهـــدَ علم منه وعـــهـــد رقىّ
وأخــو النشـــأتين شــرقـا وغــربا من قـــديم باقٍ ، ومن عـــصـــرى

(*) فقيد اللغة والأدب على الجارم : بعد الأعاصير .

(١) كان فقيد اللغة والأدب – على الجارم – عضو المجمع اللغوى يستمع إلى قصيدته فى رثاء الشهيد النقراشى ، يلقيها نجلة النجيب فى الجمعية الجغرافية ، فأصابته نوبة توفى على أثرها بدار الجمعية سنة ١٩٤٨ .

كم شـــهــدناه فى شـــواهد نص ورأينـاه فى مـــعـــارض رأى
وسطًا غــيــر ممعن فى وقـــوف عند مـــاض ، أو ممعن فى مـــضىٍّ
قـائلا ناقـلا ، سـمـيعًـا مـجـيـبًا حـسنُ تبـيـانه كـحـسن الصـغىّ

ذكرى إبراهيم (*)

أَقِـــيْـــمُـــوا الوزْن أوْ مِـــيلوا فــمـــا (آبراهيمُ) مَـــجْـــهُـــولُ
فـــتىً مــيـــزَانُه بالْقِـــسْـــطِ عـنْـدَ الله مَـكْـفـــولُ
لـــهُ فـــى كـــلِّ تَـــاريـــخٍ مِـنَ المجْـــد أَكـــالِـيلُ

* * *

سَـلُوا الأوْطـانَ يـنْـبـــئكـمْ بمـا يـعْـلـمُـــه الـنِّـيـلُ
يَـحـــيِّـى ناصِـــرَ الْمـصـــرِىّ ، والمِصْـــرىُّ مَـــخْـــذُولُ
وَأَوَّلُ رَافِـع صَـــوْتًـا وسـيـفُ الحـــرْبِ مـسْلولُ
وَلِلمـــحْـــتلِّ فى مِـــصْـــر عـلـى كـلٍّ فَـم غُـــولُ
لـه فـى بـرِّهَـا جَـــيْشٌ كـجـيـش النَّملِ مـوْصـولُ
وَفِـى الـبَـــحـــر أَسَـــاطيلُ وفـى الجـــوِّ أَبَـابـيـلُ
إذَا لـمْ يَـنْعَـــهُ الأحـــيـــاءُ ، والـدُّنـيـــا أَبَـاطيـلُ
نَـعَـــاه فـى (الـعَـــزيـز يَّـة) مَـــدْفـونٌ ومَـــجـدوُل
وجـــيـلٌ فـى حِـمَـى الـتَّـاريخ ، لا يُشْـــبِـهـــهُ جـيـلُ

* * *

سَـلُوا الآدابَ يـنْـبـــئكـم بـه الـصـــدّاحَـــةُ القـــولُ
يُـرَدِّدُ ذِكـــرَهُ فـى الـشِّـعْـرِ تـســبـيـحٌ وتـرْتـيـلُ

(*) ذكرى إبراهيم دسوقى أباظة .

ويهْتفُ باسْمِه فى القوْ ... لِ مطبُوعٌ ومنْقولُ
وَيَحْمَدُ فَضْلَهُ فى العُرْ ... بِ مَنْسُوبٌ ومَدْخُول
فَلا الماضى بمنسِىّ ... ولا الحاضِرُ مَعْزولُ
وراعِى الشِّعْرِ لا يَنْسَا ... هُ مرعِيًّا مِنْهُ مطْولُ

* * *

سَلُوا الإحْسَانَ والإحْسَا ... نُ طبْع فيه مَجبُولُ
وأقربُ شأوه فى الجُو ... دِ مشروبٌ ومأكولُ
وأيسَرُ جُودِه بَاد ... لمرْأى العَين مَسْئولُ
وكم أعْطى ولم يُسْألْ ... وبعض السُّؤْلِ مَمْطُولُ
وبعْض النَّاس قد يَمْحُو ... نَدَاهُ القالُ والقِيلُ

* * *

سَلُوا الأحْسَابَ لا عِزٌّ ... يُدانيها ولا طول
وللآسَادِ والأشْبَا ... لِ منْ أعلامِها غِيلُ
ذَوُوهُ منْ بنى مِضْر ... هم الغُرُّ البَهاليلُ
ومنْ أحسابه كسْبٌ ... بمسْعَاهُ وتحصِيلُ
بِرأْى زانَهُ فى القصْد ... إجْمَالٌ وتفصِيل
وصَبْر راضَ دنْياهُ ... وراضَتْهُ العَرَاقيلُ
سَلُوا سيرتَه الحفلى ... وللسِّيرَة تسْجيلُ
سَلُوا (الشَّلالَ) والمجْرَى ... من القُطْرَيْنِ مَفْصُولُ
لَتَمَّ القربُ لوْلا قا ... عِدٌ بالشَّرقِ مَشْلولُ

* * *

خصال كُلُّها نُبْلٌ ... وأفضَالٌ وتَفضِيلُ

وذِكْــرى كُلُّهــا حَــمْــدٌ ... وتشْــريفٌ وتبْــجِــيلٌ
فــقــدْناهُ ونَادِى الرَّأْ ... ى فــى الـقـطْرَيْـن مَــأهُولُ
فــلا يَبْــعُــدْ المثــوَى ... ومَــثْــوَى الخَــيــرْ مَــأهولُ
لــهُ مِــنْ بِــرِّه أنْــسٌ ... وشَــمْلٌ ثَمَّ مَــشْــمُــولُ
ومِنْ سِــيــرته الفــيْــحَــا ... ءِ ، تَــرْويــحٌ وتــظْــلــيلُ
لــهُ فــى منــزِلِ الرِّضْــوَا ... نِ تــسْــلــيمٌ وتــنــزِيلُ
وأَجْــــرٌ مِــنْ ثَــوابِ الله ... عِــنْــدَ الله مــقْــبُــولُ

شيوخ الشيوخ(*)

لا أحسب العام فى أسوان يسعدنى ... يومًا بلقياه ، فى قومى ، وفى سكنى
هناك فى الركن من مشتاه معتصما ... على سجيته من غمرة المحن
تباعدتْ شقة الدارين وامتنعت ... على المطايا وأعيت حيلة السفن
«حسب الصديقين بُعد الأرض بينهما» ... على مدى راحة من ظهرها الخشن
واطول شوقى إلى يوم يقربنى ... من راحة البال أو من راحة البدن

* * *

تلك المعاهد لا تنسى معمّرَها ... قربًا من العهد ، أو قربًا من الدِّمَن
يحج سعيًا إليها فى أماكنها ... أو ساعيًا ممعنًا فى ساحة الزمن
منازلُ الوحى ما زالت مَثابتَه ... فى الطيبتين ، وفيما طاب من ظعَن
لم ينقطع قط ماضيه وحاضره ... ولا ونى عن فراغٍ بالنفوس ينى

* * *

(*) شيخ الشيوخ : رثاء الدكتور محمد حسين هيكل .

يا هيكَل الحق كم أحـيـيت من أثر ... وكم نشـرت ، وكم أبقـيت من سنن
ذكـراك يا باعث الذكـرى مـخلَّدة ... تبـقى مع الذكـريات الغـرّ فى قـرن
حقٌ على ذمم التـاريخ تحـفظه ... لحـافظ ذممَ التـاريخ مـؤتمن
أحييت سيـرة من يُحيون منصفهم ... من كل عالٍ بتشـيـيـد العـلا قـمن
هم الكرام وقـد أحسنت مـدحـتـهم ... مكرّمـوك بحـمـد منهم حـسـن
عش فى صحابتهم من معشرٍ شرعوا ... للناس شـرع وفـاء السـر والعلن

* * *

يا هيكل الفن كم أبدعت من صـور ... وكم رفـعت ، وكم نكّست من وثن
وكم لمصـر بما أرسلتـهـا قـصـصـا ... من مـتـحف عـامـر بالآهلين غنى
من القُـرى فـيـه ألوان مـشـخـصـة ... كـمـا عـهـدنا ، وألوان من المدن
من يلقـهـا يلق تاريخًـا لحـاضـرنا ... وحـبـذا حـاضـر التـاريخ للوطن
يكاد يعـجب رائيـهـا على كـثب : ... إنى أراها ، فـسلها كـيف لم ترنى
تلك التمـاثيل من خلق الحياة كما ... يوحى بهـا وحىٌ باريهـا إلى الفطن

* * *

يا هيكل البـيـعـة العليا بعـقـوتها ... ويالهـا بيـعـةً مـهـضـومـة الثـمـن
قـامت على بحـرها اللجىّ تحـسـبـهـا ... جـسـرًا على شـاطئـيـه غـيـر مـتـزن
تهب من فـوقـهـا هوج الرياح ولا ... تقـر فى جـوفـهـا الأمـواج كـالقُنن
وأنت والسـادنوها الصـيـد فى نفـر ... حـاروا بهـا بين مـغلوب ومـضـطغن
تهـز كـرسِىّ فـاروق وأنت ترى ... كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن
تركـتـمـوه مـعـرى فى مـبـاذله ... كـأنه جـيـفـة فى قـبـرها العـفـن
يختـال فى طيلسـان الظلم مـزدهيـا ... وإنما اخـتـال قـبل الموت فى كـفـن
ومـا تعـثـر فى عـقـبى مـسـاوئه ... إلا ليـومٍ له فى الغـيـب مـرتهـن

* * *

ياهيكل الصحب كم ضمت شمائله شـمل الأقـارب فى الآراء والمهن
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم غداةَ فارقتهم فى لوعة الحزن
حاربت فى الرأى أقواماً على ثقة وحاربوك ، وما بتم على دخن
ما كنت مختبرًا للسخط تضمره إلا كخبرة فنان به طبن
وإنما الود طبع فيك ليس به سمت من الفن ، أو كبت على وهن
لك المآثر يبكيها ويحمدها من يحمد الفضل موفورًا بلا غبن
قوم بما ضيهمُ فى الشرق قد حفلوا والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
عش فى صحابتهم من معشر ورثوا عرفًا لهم ، من رعاه قط لم يخن
من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمرًا كأنه فى حساب القوم لم يكن
أنت الغنى عن الذكرى وما غنيت جامعةٌ قط عن ذكرى ذوى المنن
لأنت من جنة العرفان فى سعة وأنت من جنة الرضوان فى عدن

ذكرى حافظ(*)

ارفعوا ذكره عليا مبينًا إنما الذكر رفعة الذاكرينا
حافظٌ فى ثراه لم يفتقدنا وافتقدناه نحن حينا فحينا
من مضى فى غنى عن الحى والحـ ـى الذاهبين لا يغنينا
وإذا الحمد فات نابغ قومٍ فهو موت الباقين لا الذاهبينا

* * *

يا حميد المقال مدحا وقدحا ونقّى الصحاف بيضا وجونا
خذ من الحمد بعض حقك منا لم تكن قط بالحقوق ضنينا
طالما رددت جوانب مصر صيحةً منك تملأ العالمينا
هاتفًا بالرجاء يوما ، ويوما هاتفًا بالعزاء تأسو العيونا
تعجب القوم أريحيا طروبا وتواسيهمو شجيا حزينا
ما توانيت عن مقام وفاء أو تواريت بالوفاء خؤونا
وإذا ما اعتراك بالوهن خطب لم تكن فيه خانعًا أو مهينا

(*) ذكرى حافظ : فى الاحتفال بذكرى حافظ إبراهيم سنة ١٩٥٧ .

وإذا قام للضمائر سوق ... لم تكن من تِجَارها النافقينا

ربّ قوم تنقّصوك مراءً ... ربحوا وانثنيت أنت غبينا

خير أبطالنا الذين تخيّر ... ت من الأولين والتابعينا

الإمام «ابن عبده» من بنى جيـ ... ـلك وابن الخطاب فى الأقدمينا

لا تدانيهما بدعواك لكن ... باعتراف القصور دنيا ودينا

أنت أتقى ممن يجاهر بالتقو ... ى ويأبى فى السر إلا مجونا

رب جمع تفيهق الغِر فيه ... وتحدى بالظن منك اليقينا

كلما قال قولةً فى رسول ... صحت : يارب اخز هذا اللعينا

«احسبونى مع العجائز دينا ... ليس هذا الجدال إلا فتونا»

رحم الله منك قلبا سليما ... وضميرًا بَرًّا وروحا أمينا

* * *

ثم قريرًا صنّاجة العرب الصيـ ... ـد وعُد فيهمو لسانا مبينا

كلما جددوا لذكراك عهدا ... عاد عهد الفصحى جديدًا مصونا

حافظًا أنت كنت للضاد لما ... عقّها أهلها وظنوا الظنونا

أين فى المنكرين من ليس يروى ... لك قولا جزلا ونسجا متينا

ودليلا على غناها إذا ما ... سامها الفقر معشر مفلسونا

بين شعر له رنين ونثر ... يشبه الشعر فى السماع رنينا

لم تكن حصتى من الحفل نظما ... لا ولا قلته بوعد مدينا

غير أن المزار شط بحاد ... ود لو كان حاضرَ الصوت فينا[1]

وعجيب إذ يشهد الفن ذكـ ... ـراكَ من الشعر وحده أن يبينا

وجميل إن صح عذر لدينا ... أن ترانا لديك معتذرينا

فخذ اليوم حقك حمدًا ... أنت بالحمد ما برحت قمينا

وقليل وفاءُ قومك يوما ... لامرئ دان بالوفاء سنينا

* * *

(١) إشارة إلى غياب الشاعر الذى ندب لإلقاء تحية الشعر فى الحفل ثم برح القطر قبل موعده فناب عنه صاحب الديوان على غير موعد .

أهرام الورق، وأهرام الحجر (*)(١)

خـبـر السّبـاق للخـيـر … عضٌ من أخبـارنا الأخَـر
شَـغَلَ السـمّار عن سـمـر … وطوى الآفـاق فى البُكر
فـاجعٌ كـالعـهـد وا أسـفـا … لم يكن يومًـا بمنتظر
صادقٌ كـالعهـد وا أسـفـا .. … ليتـه من كـاذب السـيـر
قـيل فى الأهرام مـرثيـة … قلت : حقٌّ من فم القـدر
قـيل «جـبـرائيل» طاف به … يومـه فى ضحـوة العـمـر
صـفـحـة بيـضـاء تعلنهـا … صـفـحـة سـوداء للنظر
مـا على الأهرام لو نسـيت … عـبـرةً من صـادق العـبـر

* * *

إن بكاه الشـرق لا عـجبٌ … بعض مـا أولاه من غُـرر
سـار بالشـرق الوئيـد على … خطو «أوربا» ولم يَجُـر
نحن ، إلا فى صحـافـتنا … دونهم فى الخُـبـر والخَـبـر
فـإذا عُـدّتْ صـحـافـتنا … لم نكس رأس مـعـتـذر

* * *

زفع الأهرام فـارتفـعـت … فى مـدار الأنجم الزُّهُر
لـو غـلـبـنـا غـلـبـوا … نازعـتـهم كلُّ منتَـشـر
ولـسـارت فى مـغـاربهم … كـمـسـير الشـمـس والقـمـر

* * *

رافـعُ الأهـرام مـن ورق … نافسَ الأهرام من حـجـر
وحكاها فى الثـبـات وإن … سـار بين البـدو والحـضـر
كل يوم فى الصـبـاح له … ظَفـر ناهيك من ظفـر
فى ركـاب الشـمـس يشبـهـا … فى جـلاء الشك والحـيَـر

(*) أهرام الورق ، وأهرام الحجر : بعد الأعاصير .

(١) قيلت فى رثاء المغفور له صاحب الأهرام جبرائيل تقلا «نوفمبر سنة ١٩٤٣» وكان قد توفى على أثر عارض سريع لم يمهله غير لحظات .

يجمع الدنيا ويبسطها بين مدّ السمع والبصر
أم شتى تحدثنا بلسان العرب من مُضر
كل قطر فهو نائبه زائرًا أم حيث لم يزر
هو داعيه وكاتبه وملبّيه على الأثر
سابق تلقاه منطلقًا في عنان الطول والقصر[1]
تحسب القرطاس مختصرًا في يديه غير مختصر
فإذا امتدت صحائفه لم تدع شيئا ولم تذر

* * *

يا شريك العالمين له غير مبخوسين من صغر
قُسَماء الرأى ، ما اقتسموا -باختيار منك - فى ضرر[2]
أنت فى الأعباء أكبرهم ولهم ما شئت من كبر
من رآكم راح يسأل عن آمرٍ منكم ومؤتمِر
تُجزل الحسنى لحسنهم وتسجّى طرف مغتفر
حزنُهم ، والخطب يغلبهم بين مرتاع ومصطبر
حجةٌ بيضاء أبلغ من مُبلغٍ فى القول مقتدر

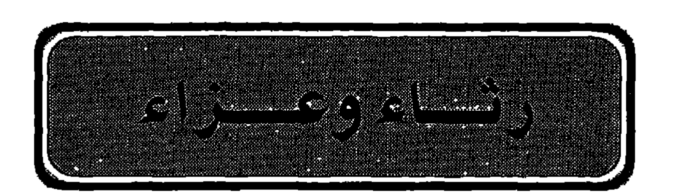
* * *

وحى جبرائيل متصلٌ بين حلٍ منه أو سفر
ليس ينأى فى السماء ولا فى مدّى الأحلام والفكر
خلفاءٌ منك مَن حملوا عنك عبء السعى والسهر
خلفاءٌ منك كل فتى قارئٍ من هذه الزُّمر
وتَوسّم فى «بشارة» ما شئت من دخر لمدّخر
إن هذى الغاب منجبةٌ غَنيت بالأسْد والشجر
سوف تحيا باقى الأثر خالد الأعقاب والذّكَر

* * *

(١) إشارة إلى ضيق نطاق الصفحات فى أيام الحرب العالمية .

(٢) كان الفقيد يشرك أعوانه الصحفيين فى الرأى والخطة ويستمع منهم النصيحة ولا يعود عليهم بتبعة .


رثاء وعزاء

رثــاء طـفــلة (*)

زهرةٌ كـــان وجـــهـــهـــا ... نـــور قـــلـــبـــى ونـــاظـــرى
حـــملتـــهـــا يـد الردى ... حـــملَ من لـم يحـــاذر
فـــتـــــوارت ولـم يزل ... عَـــرفـــهـــا(1) ملء خـــاطرى

* * *

ياضـــيـــاءً تضـــمـــنـتـ ... ـه بـطـون الـديـاجـــــر
قـــد أَجنُّوك فـى الثـــرى ... يا جنين الضــمـــائر
فـــالزمى الرمس حين لا ... حلْمَ فـى عين باصـــر
فـــإذا أقـــبـل الـدجى ... وغــفـــا كـل ســـاهر
فـــاطرقـــينا مع الكرى ... حلمًـــا غــيـــر نافـــر
وصلى عـــيـــشك الذى ... كـــان أحـــلام ســـادر(2)
وامـــرحى فى صـــدورنا ... واضـــحكى فى الســـرائر
ثم عـــودى إذا الصـــبـــا ... ح تجلى فـــبـــاكـــرى
إنّ صـــعـــبًـــا على الصـــغـــاً ... ر احـــتـــبـــاس المقـــابر

عزاء الأستاذ وجدى فى والده (*)

أمـــــولاى رزؤك لا يجـــــهـــل ... وصـــبـــرك فى الرزء لا يخـــذل
ومن كـــان يعلم كنه الحـــيـــا ... ة فـــالصـــبـــر من مـــثله أجـــمل
إذا كـــان كل امـــرئ راحـــلاً ... فـــأفـــضـلنا الراحـل الأول
وأدنى مـــصـــاب الفـــتى للعـــزا ... ء مـــصـــابٌ بكل امـــرئ ينزل

(*) رثاء طفلة : الجزء الأول .

(1) رائحتها .

(2) غافل .

(*) عزاء الأستاذ وجدى فى والده : الجزء الأول .

عـــزاء المازنى (*)

يا صـــديقى ، ومـــا علمـــتك إلا | راضـــيًـــا بالأسى رضـــاء الجليـــد
إن تكنْ قـــد رزئت بنتـــا فـــمـــا | قـــد تعـــوَّضت من بنات الخلود
لا تبت آســـفًـــا عليـــهـــا وهبـــهـــا | وردة والربـيع عـــمـــر الورود
ربما عـــوفـــيـت وأنت عليم | من حـــيـــاة تودى بكل وليـــد

رثـــاء أخ (*)

. . . .

يا راحـلاً صـدع الحـمـام شـبـابه | فـعلمت كـيف تصـدُّع الأكـبـاد
إنى لأحـســبنى أراك مـجـاهدًا | والـنـيـل حـــولـك دائم الإزباد
وأراك ترمـــقنى وقـــد غلب الردى | وأقـــام جند الموت بالمرصـــاد
فى ساعـةٍ ما كـان أغـفل خـاطرى | عـمـا عـراك وفتّ فى الأعـضـاد
أمـسيت رسـمًا فى التـراب مـعطلا | وغـــدوت نصب روائح وغـــواد
ويحى ! أترقـد تحت أطبـاق الثـرى | وأقـــيم بعـــدك هانئًـــا برقـــاد
أتبـــيت رهن صـــفـــائح وجنادل | وأبِيتُ بين وســـائد ومـــهـــاد
لـو أنصـــفـت أيامنا لبكيـــتنى | لكنهـــا تجـرى بغـــيـــر مـــرادى

. . . .

يا زهرة شـــرقت بما تحـــيـــا به | فـــذوت وأورق شـوكـــهـــا بفـــؤادى
إن الحـيـاة - ومـا حـييتَ لكى ترى | سـر الحـيـاة - كـثـيـرة الأضـداد
فلئن عـدوت من الحـيـاة نعـيـمـهـا | فلقـــد عـــداك شـــقـــاؤها المتمـــادى

(*) عزاء المازنى : الجزء الأول .

(*) رثاء أخ «توفى غريقا» : الجزء الأول .

على قبر أخ (*)

أيهـا القـبـر فـيك غـصن رطيب ... قـصـفـتـه المنون قـبـل أوانه

مـثل مـا تعـبث السـمـوم بزهر ... عـاطر ناضـر على أغـصـانه

بنت يا مـصطفى ومـا بنت على قلـ ... ـب كـسـيـر يذوب فى أشـجـانه

كـان أحـرى بك الديار من القـبـ ... ـر وثوب العـروس من أكـفـانه

سـوف ألقـاك فى الثـرى عن قـريب ... كلُّ حيٍ مـوكل بزمـانه

إلى الصديق الراحل (*)

نظمت فى رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعى» يوم وفاته

غـاية الحى سـاعـة من زمـانه ... ينتـهى عندها مـدى جـثـمـانه

طُويت صـفـحـة السـبـاعىّ فـينا ... وهو طاوى الطروس فى تبـيـانه

مُـسـمِح النفس فى الحـيـاة تولَّى ... مُـسـمحَ النفس فى الردى قـبل آنه

لم يطامنْ لصـرعـة الموت رأسـا ... مَنْ صـراع الحـيـاة لهـو رهانه(1)

ذاقـهـا صـابرًا وسـاغ مُـريرا ... من جَنـى دهره ومن إنسـانه

وتأسَّى ، ومـثـلـه من تـأسـى ، ... ضـاحكا من كـرامـه وهجـانه

فـتـنتـه غـواية الأب الحـ ... ـر فـأودى بقلبـه فى افـتـتـانه

وثنى راحـتـيـه عن خـفض عـيش ... كـان حـينًا أقـصى مُنى أقـرانه(2)

مـا أراه على الحـيـاة حـزينًا ... بعض حزن الصحاب يوم احتجانه(3)

يا سـليم الفـؤاد فـى باطن الرأ ... ى سـليم الفـؤاد فى إعـلانه

(*) رثاء أخ مات غريقا وقد ضاعت أكثر أبيات القصيدة .

(*) إلى الصديق الراحل : وحى الأربعين .

(1) كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيرا وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد فى سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه .

(2) كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما فى الماضى ولكن السباعى رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب .

(3) احتجن : جذبه بالمحجن أو ضمه واحتواه .

مـرض الدهر فـامض عنه مـعـافىً　　من أكـــــاذيبـــــه ر ن أدرانـه
أنت خـدن الكتـاب ، والموت سـفـرٌ　　صـــــدقُـــه ظاهرٌ علـى عنوانـه

* * *

على قبر حافظ يوم وفاته (*)

أبـكـاءٌ وحــــــافـظٌ فـى مـكـان ؟　　تلـك إحــــدى طوارق الحــــدثان
كنتَ أنسًا ، فكيف أمسيت يا حا　　فظ تَدمى لذكــــرك العــــينان
كنت تتلو الرثاء ، مـعنى فـمـعنى　　كـيف أمسيتَ بعض تلك المعـانى !
كنت أعلى الجـمـوع صـوتًا فـهـلاّ　　نطق الآن صـــوتُ ذاك البـــيــان
وعـــــــزيـزٌ عـلـى بـلادك أن تـذ　　هب يـوم انبـــريـتَ للمــيــــدان
يوم اطلقتْ من أســـارك حــــرًّا　　وأبـيـتَ الإســــــــار لـلأوطـان
يوم أرسلتــــهــــا على ظالمى الأو　　طان طعــــانةً كــــحـــد السنان
ألهـم الله مـــصــــر فـــيك عـــزاءً　　لا بل العُـرْبَ فى شـفـيع «اللسـان»
كلمـا صــائر كـمــا صـرت يومـا　　والذى قـــد صنعت لـيس بفـــان

نصيب الحى والميت (*)

يا صـــــديقى لنـا البـكـاءْ　　ولـك الموت والســــــلامْ
عـنـدنـا الـنـور والـعـنـاء !　　عــنــدك الــنـوم والـظـلام!
لـيس يـأسى أخـــــو فنـاءْ　　بـل أخٌ بـعــــــده أقـــــام

* * *

أتبعُ الصـحب فى القـبـور　　ببـكـائى ومــــا اهتـــديتْ
أنا لو دام لـى الشــــعـــورْ　　بعــــد مــــوتى لما بكيتْ
عـــــالمٌ كـلـه غــــرور　　عشتُ ما عـشتُ أو قضـيتْ

(*) على قبر حافظ يوم وفاته : وحى الأربعين .
(*) نصيب الحى والميت : هدية الكروان .

هالــكُ كلُّ مـــــا يـكـون تســتــوى النفـس والصــفــاة
فـلـمـن تحـــصـــد المنون ولمـن تـزرع الحـــيـــاة ؟
بـدأت حـكـمــــة الجـنـون وانتــهـت حـكـمــة الـهـــداة

* * *

الأستاذ غانم (*)

(كـان الأسـتـاذ غـانم محـمـد صـديق صـاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضيت عليه رحـمه الله وهو فى عنفوان أيامـه ، فلم تمض بين تهنئـتـه ونعيـه غـير ساعات .)

أكـــان وداعــا يوم صــافــحت غــانما وهنأتـه بالعـيـد ، والعـيـد يسـخـر !
فـــيــاويح للداعين فى غـــفلة المنى يرجّـون طول العـمـر ، والعـمـر مـدبر
ويـاويح للأبـنـاء يا خـــيــــر والـد وقـد رُوّعـوا فى ومكرهم حين بُشّـروا
أذاك صــبــاح العــيــد أم أنا ســامع صـيـاح يتـامى فى الحـمى تتـفطر ؟
تلاحق فى تلك الثـغـور كــلاهمـــا فـــيــاهول مــا نصــغى إليــه وننظر
وددت وقـد ضـن البـشـيـر بصـدقـه لو آن نذيرًا بالمســـاكين يعــبــر
أغـــانم إنـى فى مـــصـــابك ذاهل قليل التـعـزى سـافـر الحزن مـضـمـر
بذلت دمـوعى فى بكاك رخـيـصـة ومـثـلك من يبـكـى ويرثى ويذكــر
أفى كل يوم تبــصــر العين غـــانما ومن أين ؟ والأخـلاق فى الناس تندر
عــــرفت «أبا فـــتـح» تولاه ربه أخًـا فى وغى الأيام لا يتــقــهــقـر
وفـــيّـــا إذا شـــاع الـوفــاء وإنه عليــه ، إذا عــز الوفــاء ، لأقـدر
كــريما إذا صــال الـعـداة وزمـجـروا كـريما إذا خـان الصـحـاب وقـصّـروا
صـــبــورا على ضـــر الغـــريم وإنه على الضـر من ظلم الصـديق لأصـبـر

(*) رثاء الأستاذ غانم محمد : عابر سبيل .

ضليعا بأعباء الأمور إذا ونى مدبر أمر أو أساء مقدر
أخوك «أمين»[1] فرّق العام منكما صفيين لم يفرقهما ما يكدر
على موعد العام القصير التقيتما فليتك من يسهو ومن يتأخر
سلام الخصال الصالحات عليكما وحمد المعالى والثناء المعطر
ولا زال فى دار المعارف منكما صنيع على الأيام يروى ويشكر

رفيق الصبا(*)(٢)

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وآذن فيك الصبر أن لا يعينني وآذن فيك الحزن أن يتغلبا
أألقاك عند النيل إن عدت فى قنا وارعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟
ونشتنشد الأشعار فى كل ليلة ونطلب فى كل الأحاديث مطلبا
ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً على الأرض إلا كى يقولَ ويخطبا
ونحصى على الدهر البرىءِ ذنوبه وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
أألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى فأقربُ منها أن أصافحَ كوكبا
إذا عدت استحيى الشبابين فى قنا وجدتك رسمًا فى التراب مغيّبا
وساءلت عنك الصحبَ أين مزارُه وأذريت دمعًا عن قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمرى موتُ كل محبّب إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا
حسين ! عرفت الموت فيك غريبة وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
أمَنْ هو فى ذِكرى فتى العمرينطوى كما طوت الأسقام شيخًا معذّبًا ؟
نعم ينطوى الشبان والشيب فى الردى ورب فتى فى الردى فات أشيبا
وسيان فى عقبى الطريقين من مشى على عصويه من عياءٍ ، ومَن حبا

(١) الأستاذ أمين لطفى وقد توفى أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد .

(*) رفيق الصبا : هدية الكروان .

(٢) رثاء الصديق حسين الحكيم من أدباء قنا المعروفين بالورع .

عهدتك فى شرخ الشبا ناضر الصبا وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

* * *

رفاقَ حسين أبّنوه وأطنبوا فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا
لقد كان ميمون النقيبة صالحًا وكان أمين السر والجهر طيّبا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى ولا يذكُر الإخوان إلا تحبُّبا
وكان على كنز القناعة آمنًا وإن قصّر المسعى بدنياه . أونبا
إذا استمرأتْ مرعى الخيانة أنفسٌ تحرَّج منها مُعرضًا وتحوّبا
وكان عزيز النفس فى غير جفوة ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا
وكان سميرًا يملك السمع كلما تبسّط فى أسماره وتشعَّبا
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرة ويؤثر فى الآداب من كان معربا
أليفا وفيا لا يفارق صاحبًا ولا منزلا إلا انثنى فتقرّبا
أحبَّ قنا واستعذب العيش فى قنا فلم يُغره عيش ، وإن كان أعذبا
لئن ذكر الوافون عهد ولائه لما ذكروا إلا الوفىَّ المهذّبا

* * *

رفاق حسين أسهبوا فيه واذكروا رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبا
على كثب منه اجتمعتم فليت لى مكانًا من الجمع القنائىّ مكثبا
كأنى وقد فارقته قبل يومه سمعت له نعيين يوم تغيبا

* * *

إذا مارثى المحزون إلف شبابه رثى قلبهُ شطرًا من القلب مخصبا
وودع من عهديه فى العمر قِبلةً أخفُّ على الروّاد زادًا وأرحبا
إذا جازها أودى بمختار عيشه ولم يبق إلا ما اتقى وتهيبا

أليف الصبا لا تشك فى الموت وحشة ... فما زال ركب الموت أحفل موكبا
تعاقبت الأجيال تحت لوائه ... وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا
وما الزمن المحضور إلا بقيةٌ ... من الزمن الماضى تلاقت لتذهبا
عليك سلام الله حتى يظلنا ... سلامٌ أظل الناس شرقًا ومغربا

نعى حافظ

كلُّ خطب دار فى خلدى ... غير خطب فتّ فى عضدى
نعيُ من قد كنت أحسبه ... بعد يومى ، باقيا لغد
حافظٌ يُنعى إلى ؟ لقد ... غلطت دنياى فى العدد
ساء ذاك النعى من بدَل ... كان من لقياه فى بلدى(١)

* * *

الشهيد معاوية(*)

(... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل رحمه الله فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوض الله الأدب فيه خير العوض وعزى الأدباء أحسن العزاء :)

أجل هذه ذكرى الشهيد معاويةْ ... فيالك من ذكرى على النفس قاسية
أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه ... ولا يوم تكريم ، ودنياه باقية
فما أقصر الدنيا التى طوّل الضنى ... أصائله فيها ، وأشقى لياليه
وما أضيع الآمال آمال من رأوا ... مطالعه فى مشرق النور عاليه
ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا ... على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه

(١) وصل نعى الأستاذ حافظ جلال إلى صاحب الديوان وهو فى بلدته أسوان منتظرا قدومه إليها للاستشفاء .

بكائى عليــه من فــؤاد مــفــجّع ... ومن مـقلة مـا شـوهدت قط باكـيـة
بكائى على ذاك الشـبـاب الذى ذوى ... وأغـصـانه تخـتـال فى الروض نامـيـة
بكائى على مـا أثمـرت وهى غـضـة ... وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
فـضـائل منهـا نخـبـة أزهرت لنا ... لمامًا ، وأخرى لم تزل فيـه خافـيـة

* * *

تبـــينت فــيـــه الخلد يوم رأيتـــه ... ومـــا بان لى أن المنيـــة آتيـــة
ومـــا بان لى أن أطالع ســـيـــرة ... خـواتيـمـهـا من بدئها جـدّ دانيـة
وأن اسـمــه الموعـود فى كل مـقـول ... سـيـسـمـعـه الناعـون من فم ناعـيـة
أجل هذه ذكــراه يا نفس فـاذكــرى ... فـجـيـعـتنا فـيـه ، ومـا أنت ناسـيـة
أجل هذه ذكـــراه يا عين فـــاذرفى ... عليــه شـآبيب[1] المدامع دامـيــة
إذا قـــصـــرت أيام من نرتجـــيـــهمُ ... فـيـاطول حزن النفس والنفس راجـيـة
ويا طول حـزن النفس وهى منيـبـة ... إلى اليـأس من عجـزٍ بهـا ، وهى آبية
فـــيـــايوم ذكـــراه سنلقـــاك كلمـــا ... رجـعـت إلينا والضـمـائر صـاغـيـة
ويا عـــارفـــيـــه لا تضنوا بذكــــره ... ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعــيـــروه بالتـــذكـــار مـــاضنّ دهره ... به عـيـشـةً فى مـقـبل العـمـر راضيـة
وزيدوا النفـــيس النزر من ثمـــراته ... بتكرارها فى القلب أولى وثانيـــة
فـإن لم تكن فى العـد كـثـرًا فـباركـوا ... مـعـانيـهـا حـبًـا ، ووفّـوا مـعـانيـه
عليـــه ســـلامٌ لا يـزال يعـــيـــده ... ويبـــديه شـــاد فى الديار وشـــادية

يوم إبراهيم(*)(٢)

عـــجـــبى لأحـــداث الزمـــا ... ن ، وكـم رأيـت وكـم رويتْ !
أولى الـفــــجـــائع باتقـــا ... ئى ، لـم يكـن مما اتقـــيتْ
مـــــــا دار فـى خـلـدى ولا ... فكـرت فيـه ، ولا احـتـمـيتْ
لما نعـــوه حـــســبـــتـــه ... فى الأرض لم يسبـقـه ميتْ

(١) جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر .

(*) يوم إبراهيم : بعد الأعاصير .

(٢) الشاعر الناثر ، الأديب الناقد ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحمه الله ، وقد تلقى صاحب الديوان نعيه وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة (١٩٤٩) .

يـا يوم إبـراهيـم حــــــــ ـبى من لقـائك مـا التـقـيت
لـم أنــتــظـرك ولــســت أذ كـر فى غـد كـيف انتـهـيتْ
لــوددت أنــك يـــا أخـــى فى النـاس آخــــر من رأيتْ
هل فى البــريّة صـــاحب أُبقى عليـه ، وقـد مـضـيت
مـــا بعـــد نعى النفس من حـزن يطاق ، وقـد نعـيتْ

أخـى إبراهيـم(*)

أمـــيـــر بلاغـــة وأمين نقـــد ورب رسـالة ، وبشـيـر عـهـد
وذو قلم كـغـصن الروض يُهـدى جناه أو كـحـد السـهم يُردى
أديب راض أفـذاذ المعـانى على ألفـاظهـا نـدا لنـدّ
لـه لـبٌ يتـرجم كلَّ لـب وينقل عنه مـا يخـفى ويبـدى
ملـىء القلب من ثقـة وحب برىء الصدر من حسـد وحقـد
أراح الحـاسـدين ، فـإن تحـدّوا له فـضـلا ، أعـان على التحـدى
إذا اقـتـتلوا على الجـدوى رمـاهم بقـول أبى عـلاء «غـيـر مُـجـد»
وتحـسـبـه اسـتـراح إلى سـبـات ويسـبق غـايةً اليـقظ المُجـدّ
فـسل عنه شـعـاب «الضـاد» تعلم مناهل فـيـضـه فى كل ورد
إذا عنّ المـصـاب بـه فـويلٌ لفـرد خـصّـه بمصـاب عِـدّ(١)

* * *

وقـالوا «المازنى قـضى» فـضلّت مـقـاصـد قـولهم ، أو ضل رشـدى
كـأنّ حـديث مـازعـمـوا خـيـالٌ بعـيـدٌ فى الحـقـيـقـة أىّ بعـد
إذا عينٌ غـفت فـاعـجب لأخـرى من العـينين عـالقـةٍ بسـهـد

* * *

صـحـبنا العـمـر عـامًـا بعـد عـام على الحـالين من ضنك ورغـد
وبـين تعـهّـد منـه ومنـى وبـين تبـسّط منـا وجـد
وغـيّـرت الحـوادثُ كلَّ عـهـد سـوى مـا بيننا من عـهـد ود

(*) أخى إبراهيم : بعد الأعاصير .
(١) أى مصاب كثيرين .

إذا أخـــذت مـــذاهـبنا وردّتْ أمـنّـا نـحـن مـن أخـــذ وردّ
ولجـمـد فى العـشـيـة ملتـقـانا إذا ذهب النهـار بكل حـمـد
وأرحب مـا تلقّـانا اجـتـمـاعٌ على شـمـلين من أدب ونقـد
هى الآفـاق عـاليـةٌ ذراها على مـا ضـاق من غـور ونجـد
رأينا كلّ صـادعـة فـزالت .. أيصـدع مـا رأبنا شقّ لحـد !

* * *

. . . .

نمينا شـعـرنا صنوين حـينا فكيف رثاؤه بالشـعـر وحـدى
وجـاوزنا السـهـول مـعًـا فـمـاذا سـتـجـدى فى الوعـود جـهـودُ فـرد
إذا ثقل الشـبـاب ، ولى زمـيلٌ فـيـابؤس المشـيب المسـتـبـد[1]
حـيـاةً إن تطلْ فـالويل ويلى وإن تقـصـر فـقـد أُبلغتُ قـصـدى
سـلامًـا أيهـا الدنيـا سـلامًـا لأنت أحبُّ لى لو عـاش بعـدى

عـــزاء(*)

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقى ،
فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات :)

أخى ، منذ أعـوام تلألأ مـسكنى وشـاع به ضـحك الرضـا والتّـيـمّن
لقـد كـان عـرسى يومـذاك ، ومـولدى بـكـون جـديـد مـن هوىً وتحـنن
أخى ، تلك أعيادى وأعياد زوجتى ومـا حلّ منهـا العـيـد إلا ذكـرتنى
وأرسلت لى فى كل عـيـد مـهنئـا وباركتَ لى فى جنتى وغـبطتنى
مضت هذه الأعيـاد من غير وجـعة وهذى مـرائى زوجـتى اليـوم فـارثنى

فأرسل إليه صاحب الديوان هذه الأبيات معزياً :

أخى ! مـا عـزائى أن أهوّن فـاجـعًـاً أراه - وإن لم أبْلهُ - غـيـرَ هيّن
ولكن عـزائى هذه الحـرب زلزلت قلوب بنى حـواءَ فى كـل مـأمن

(١) استبد بالسير : انفرد به .
(*) عزاء : بعد الأعاصير .

ولكن عـــزائى هذه الفـــتنة التى أطاشت رؤوس الخلق من عـاش أوفنى
ولكـن عـــزائى هذه الأرض علّمت بنيـهـا هوان العـيش علمَ التّـيـقّن
قـضـاءٌ علينا فى الحـيـاة فـراقنا لأحـبـابنا حـيث التـقـينا بموطن
فـجـيـعـتنا فـيـمن نحب بديلهـا فجـيـعـتـهم فينا ، ومن يبق يُغبَن
فـلاترضَ للأحـبـاب غـبنًا يؤدهم وليس الرضـا فى الحـالتين بممكن
ألا هان عـيشٌ لا يزال خـيـاره لن يرتجـيـه شـاكـيًا : مُتْ أو احـزن

* * *

أخى ! هذه الدنيـا وهذا عـزاؤها قصاراه - بعد الجهد - تسليم مُذعن
ومـا أحـسـب الإيمان إلا حـقـيـقـة فـلا صـبـر فيـهـا لامرئٍ غـيـر مؤمن

نعى كاذب(*)

لقـد كـذب الناعى وأنعمْ بكذبه فـلا صـدق الناعـون يومًا ، ولا همـوا
فـزعتُ لخطب الموت والموت واحـد فكيف احـتـمـالى فـيك مـوتين يا أمُّ

صادق بعد حين

سـرى نبـأ لا يهـاب الظلامـا ولا يتـقـى يقظة أو منـامـا
يقينٌ ومـا خلتـهُ باليـقـ ـين ، ولا اعتصم القلبُ منه اعتصاما
فـراقك يا أمّ لم أحـتـسـب لـه بـغـتـةً أو نـذيرًا تـرامى
ومـا روّضـتنى له الحـادثا ت ، وإن رضتُ منها الخطوب الجساما
كـأنى ادّكـرتك لى مـولدا فلم ادّكـر لك يومًـا حـمـامـا
حـسـبت الأمـومـة أخت الدوا م ، وخـادعتُ ظنى عليـهـا دوامـا
وأفـحـمنى فـيك خطب النّعـ ـىّ ، وفى غيره ما شكوت الفُحاما

* * *

تعـجّب قـوم لشـيخ بكى ... أكـان المشـيب لدمـعى فطامـا ؟
وأم لما دون عـشـرٍ تعـ ـزّ فـراقـا فكيف لسـبـعين عـامـا

(*) نعى كاذب : وحى الأربعين .

لئن عظم الموت يا أمّــــتــــا لقـــد هان يوم سكنت الرغـــامـــا
ومـــــا أرخص النور لما غــــلا على مـــقلة لا تطيق السّـــوامـــا
خــــلا الكون منك فــــمــــاذا أرى من الكون بعــــدك إلا ظلامـــا
فـــيـــا هولهـــا من قـــفـــار تركـ ـت ، ويا شد ما قد عرتِ الرّجاما
تلاقـى ذَوىّ ببطن الثـــــرى فـأنعم بحيث أقامـوا مـقـامـا
لأجلك كنت أخـــــاف الخطو ب ، فما الخوف بعدك إلا سلاما

آخر الخطباء

أسـمـعت جـهـدك يا نعيٌّ وهيب[1] إن السـمـيع اليـوم غـيـر مـجـيب
اليـوم يصـمـت من كـرام لداته في مـصـر ، آخـرُ قـاتلٍ مـوهوب
اليـوم غـاب بقـيـةٌ من مـعـشـر أذنت منابرهم بطول مـغـيب
تلك المنابر ودّعت فـرسـانهـا من كـلّ ذي لسَـن وذي أسـلـوب
لا نسـمع الفـصـحى على أعـوادها سـحـرًا لأسـمـاع لنا وقلوب
كـلا ولا يهـتـز مـوقع شـدوها إلا لصـوتٍ طارق بنعـيـب
خطبٌ ولكنْ مـا له من خطبـة «قطعت جـهـيزةٌ قـول كل خطيب»

داء بغير طبيب

جلّ في العـارفين خطب «حسين» رجل الفـضل والنهى والسـداد
الطبيب اللبيب ، يرحـمـه اللـ ـه . لقـد كـان رحـمـةً للعـبـاد
مـا استبـد السـقـام إلا شـفـاه باجـتـهـاد من طبـه واقـتـصـاد
كـيف يعـدو عليـه عـادي المنايا وهو يثني من غـربهـا كل عـاد
لو يُفـدّى من المنيـة حيٌّ حق فـيـه الفـدى على ألف فـاد
«كيف أصبحتَ في محلك بعدي يا جـديرا مني بحسن افتـقـاد»[2]
يا وفـيـا ، ولا وفـاء بعـهـد في اقـتـراب من أهله وابتـعـاد
مـحـييَ الود للمـغـيَّب في الدهـ ـر وقـد مـات فـيـه حي الوداد
عـاليَ الرأس لا تصيخ لغـاو راح يكسـو غـيـا بثـوب رشـاد

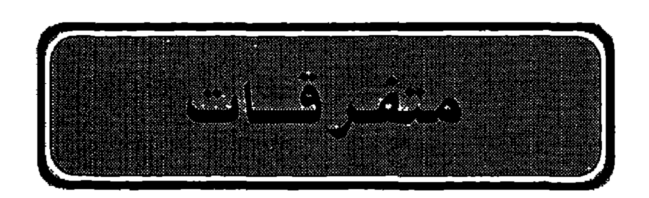
(١) رثاء الخطيب المغفور له الأستاذ وهيب دوس .
(٢) هذا البيت مقتبس من المعري .

عـازفـا عن مطامع العـيش كـبـرا ... عن صـغـار الآمـال والأحـقـاد
«همـة» مـثلمـا تسـمـيت تعلو ... عن منـال الأنداد والحـسـاد
كم رجـاء زهدت فـيـه ومـا كـا ... ن زهيـدا فى شـرعـة الزهاد
مـؤمنـا بـالإله تـعـلـم أن الـطـ ... ـيب علـم ينـهى عن الإلحـاد
ليت شعـرى : من كنت تحنو عليـهم ... فى الثـرى ، هل حللت منهم بواد ؟
هـل تـلاقـى روح بـروح ووافـى ... آخـر العـمـر أول الميـلاد :
تلك رؤياك كنت تنعم فـيـهـا ... كنعـيم العـيـان للشـهـاد[1]
كم صـحـبنا الزمـان حلوا ومـرا ... وخطوب الـزمـان بالمرصـاد
والتـقـينا على الجـوار كـأنى ... آمن عـنـد حـصـنك المرتـاد
تسـبق النخـبـة الأجـلاء طبـا ... وأرى منـك أسـبـق العـواد
وافـتـرقنا يوم افـتـرقنا على مـو ... عـد لقـيـا ، فكان يوم المعـاد[2]
تسـتـعـيـد السـؤال عنى ولا تسـ ... ـأم نصـحى يومًـا ولا إرشـادى
وأناديك سـائـلا بعـد نأى ... فـيـجـيب النعـاة رجع المنادى
يا طبـيـبى مما يكابد جـسـمى ... وطبـيـبى مما يعـانى فـؤادى[3]
إن حـزنى داء بغـيـر طبـيب ... ونوى طوحت على غـيـر زاد
أحـسـن الله يا حـسين اصطبـارا ... فـيك لو يهـتـدى إلى الصـبـر هاد
هل يقـر العـيـون طول سـهـاد ... إن أقـر العـيـون طول رقـاد ؟

(١) كان الدكتور حسين همت طبيبا للشاعر وكان بينهما تجاور وتزاور . وكثيرا ما تحدث الطبيب إلى الشاعر فى موضوع الأرواح والحياة بعد الموت على أثر مصابه بفقد بعض أهله وأعزائه . وإلى ذلك يشير الشاعر فى بعض أبيات القصيدة .

(٢) علم صاحب الديوان بوفاة صديقه من رسالة بعض الإخوان أثناء رحلته الشتوية إلى أسوان ولم يطلع على نعيه فى الصحف .

(٣) كان الطبيب أول من يعود الشاعر وإن تولى علاجه طبيب غيره من الجراحين أو أطباء العيون ، وهذا معنى البيت : «تسبق النخبة الأجلاء ...» .


متفرقات

الشاعر الأعمى(*)

شكا الشاعر الباكى عمىً قد أصابه ... وأظلم ما نال العمى جفن شاعر
ينوح بعين لم يدع عندها البلى ... سوى نبع حزن ناضب الماء غائر
وتلحظ عين الشمس شزرًا جبينه ... فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر
ويسألهم : هل أومض البرق فى الدجى ... وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟
وهل يلمع الدرُّ المنضد والحلى ... على الغيد أم بات الحصى كالجواهر
تكاد تشق الأفقَ زفرة صدره ... إذا راح يلحاه بصيحة حائر :
«تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى ... ليهديَه فى فتكة بالجآزر
وترميه فى بئر عميقٍ قرارها ... وتسفكه فوق البطاح الغوامر
وتسلبنى نورًا أراك بوحيه ... فأظهر ما أخفى سواد الدياجر
وأرجعه معنى على الطرس مشرقًا ... يضىء سناه مظلمات السرائر ؟
لمنْ تجمل الأكوان إن كان لا يرى ... بدائعَها عين ترى كلَّ باهر
فما كانت الدنيا سوى حسن منظر ... وما جاد فيها الحظ إلا لناظرى
وهل كنت أخشى الموت إلا لأنهُ ... سيحجب عنى حسن تلك المناظر ؟
فها أنا لا جهد الحياة بهاجرى ... أمينًا ولا ريب المنون بزائرى
جمعتُ شقاء العيش فى ظلمة الردى ... فيالىَ من ميت شقى الخواطر
أرى الصبح وهاجًا بمقلة نائم ... ويلحظه قلبى بحسرة ساهر
ومن لى إلى هذا الوجود بلمحة ... أراه ولم يعم التراب بصائرى
فيا قلب انفق من ضيائك واحتسب ... لدى الشمس لألاءَ الوجوه النواضر

(*) الشاعر الأعمى : جزء أول .

تنازع الفردوس(*)

يتحاسدون على الهباء فما لهم لا يحسدون البَرَّ فيما يؤجر
نقموا على الكفار أن تركوا لهم أجر السماء وأنكروا ما أنكروا
لو كان ما وُعدوا من الجنات فى هذى الحياة لسرَّهم من يكفر(1)

المصور(*)

. . . .

فى طى ريشته وضمن بنانه روح بها يحيا الجماد فيخلد
بينا يداس على الثرى حتى يُرى ربّا تخر له الجباه وتسجد
أولى القرائح بالدوام قريحة تجرى على الصخر الأزل فتجمد(2)
معبودةٌ فيما تحل كأنها ظل الإله على الخلائق يُعبد

إيه يا دهر(*)

إيه يا دهر هات ما شئتَ وانظر عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك إلا هان بالصبر منه ما لا يهون

(*) تنازع الفردوس : جزء أول .

(1) يود الناس أن يكثر المؤمنون منهم ليشاركوهم فى نعيم الفردوس الموعود ولكن ترى لو كان الفردوس دارًا فى هذه الدنيا أكانوا يودون أن يكثر شركاؤهم فيها ؟؟ .

(*) المصور : جزء أول .

(2) إذا ثبتت القريحة على الصخر الأزل الذى لا يثبت عليه شىء فهى إذن أولى بالثبات والدوام .

(*) إيه يا دهر : جزء ثان .

رحلة إلى الخزان (*)

. . . .

قلت وهل يفهم عن لسانى   «ما بيننا يا ذئب من أضغان

فاذهب إلى وردك فى أمان   لا يحرم الماء على عطشان»

فمرّ يعدو كاشر الأسنان   وهو ينادينا ولا يدانى

حتى وردنا أول البنيان   على دوىّ هائل مرنان

موّار ماء ثائر الدخان   كالنقع قد ثار على الفرسان

مصطفقةً فى حلبة الدهان   قد غلب الصوتُ على الآذان

فبات أدنى الهمس كالأذان   مستويين ليس يُسمعان

وشرّد النوم[1] عن الجنّان   فردّدت صداه فى الرعان[2]

وتحسب الماء من النيران   مندلعًا يقذف بالصّوان

طرائقا فى الأرض ذا ألوان   كالليث أحيانًا وكالثعبان

مندفقًا منحسرًا فى آن   مرتفعًا منحدرًا سيان

ملتئما منشعب الشغبان   يبيّض كالمحض من الألبان

مجذذ[3] الرغو على الصّمان   قد شنها فى تكلم القيعان

شعواء تغرى القوم بالطعان   وتحفز الخيل إلى الميدان

وتجعل الراضى كالغضبان   وتبعث النخوة فى الجبان

قامت عليها أعين الشهبان   وارؤس الجبال تشهدان

وكم لهذا الماء من معان   فى قوة البطش وفى الليان

وفى اختلاف الشكل والجثمان   كأنه يلبس ثوب الجان

فصاعدٌ فى الجو كالعقبان   وسارب فى مزحف الديدان

وغائصٌ فى الأرض كالشيطان   ولاعبُ الأمواج كالحملان

(*) رحلة إلى الخزان : جزء أول .

(١) كأن دوى الماء أقلق الجن فقامت تردد صداه .

(٢) أنوف الجبال .

(٣) مقطع أو مفتت .

وطائر البـــخـــار فى الأغنان كـــالنفس الخـــافى عن العـــيـــان
وفـــيـــه من أمن ومن عـــدوان فـــهـــو قـــوام الزرع والأبـدان
وهو الوباء الجـــارف الطوفـــان وهو هو الدنيـــا لدى الظمـــآن
وهو هو الموت لدى الغـــرقـــان شـــارفـــتـــه والليل شطرتان
فـــمـــا صـــغـــا الليل لصـــوت ثان ولا أمـــال مـــســـمع الأمـــان
ألا إلـى هـاتـيـكـم الألحـــــان كـــأنهـــا تجـــاوب الغـــيـــلان
ثُـمـت أدلجـنـا إلـى أســـــوان وفـى طريق الصـــــبح غلوتان
فـــيـــالهـــا ، ومـــا عـــدوت شـــانى، من رحلة طيـــفـــيـــة الأوان[1]

أتـمـنـى (*)

أتمنى يومًـــا لو أن حـــيـــاتى تنقـــضى كلهـــا ولا أتمنى
أتمنى وقـــد أطلت التـــمـــنى لو تعلمت كـــيـــف أن أتمنى
أتمنى لو علمـــتـــنى الليـــالى باطل الأمـــر قـــبل أن أتمنى
منيـــة لو تحـــقـــقت لتـــســـاوى مـــا تملكتـــه ومـــا أتمنى

* * *

(١) نسبة إلى الطيف والطيف يسرى ليلا والإدلاج هو مشى الليل .

(*) أتمنى : أعاصير مغرب .

القمة الباردة(*)

(للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئًا ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلى كل حركة متشابهة فى كل ذرة . فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التى لا يشعر فيها بحياة .)

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى — فإياك والقمة الباردة
هنالك لا الشمس دوّارة — ولا الأرض ناقصةٌ زائدة
ولا الحادثات وأطوارها — مجددة بالخلق أو بائدة
قوالب يلتذ تقليبها — أناس وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها — وألوانها أبدًا واحدة
وتعلو وتهبط جدرانها — وأساس جدرانها قاعدة
ويابؤس فان يرى ما بدا — من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة — وحى له جثة هامدة
إلى الغور !! أما ثلوج الذرى — فلا خير فيها ولا فائدة

على أطلال بعلبك(*)(١)

أيا «بعل» هذا قادم لك مقدم — وفىّ لمن يزرى به الدهر مكرم
دعوتَ وحوليك الاسنة شرّع — فلبّاك لا تثنيه نارٌ ولا دم
أتاك من الوادى الذى فى ضفافه — تسامى «لآمونَ» البناء المدعّم
وأقوى كما أقوت ذراك على المدى — وأقصر عنه العابدون وأحجموا

(*) القمة الباردة : جزء ثالث . (*) على أطلال بعلبك : جزء رابع .

(١) «بعل بكى» معناها سيد الوادى كما يرجح بعض المؤرخين .

يحـيـيك عن «آمـون» فى مـسـتـقـره | وأنت المحـيـىّ باسـمـه والمسلم
فـمـا بعل إلا اسم لآمـون تلتـقى | له صـور شـتى ولفظ مـقـسَّم

* * *

ويـا دار بـعـل وهـى لا بـعـل عـنـدها | وياحـصن بعل وهى لا شىء تعـصم
ويا جـارة الماضين والدهر جـائر | ويا مـشـرق الآمـال والليل مظلم
عـزاءً إذا أدبرت والعـيش مـقـبل | وروضك مطلول[1] الأزاهيـر يبـسم
ولـم يدفع الأربابُ عنـك ولا الألى | أنابوا إليـهم بالـدعـاء ويمـموا
ومـا حـيلة الأرباب فـيك وإنهـا | لتُبنى كـمـا تبنى الصـروح وتهـدم؟!

* * *

«جبيتير»[2] جبـار الصواعق ساهر | عليك وسلطان العُـقـار مـخـيِّم
ولـلزهـرة الغـراء عندك قـبلة | يطل عليـهـا مـسـجـد متـجـهم
وفـيك مُـصلّى للمـسيح ومطهـر | وفـيـك منـار للنبى ومـعـلم
شـفـاعـات أرباب لديك كـثـيـرة | وركنك مـصـدوع العـمـاد محطم!
فـمن ذا يرجى العـفو أو يأمن الحمى | إذا مـا طغى صـرف من الدهر مبـرم ؟

* * *

عـزاء إلى اليـوم الذى فـيـه يسـتـوى | أخـيـرٌ على حكم الردى ومـقـدَّم
وصبرًا إذا مـا شئت صبرًا على البلى | وإن لا تشـائى فـالقـضـاء محـتم
سـتـحـفظك الذكـرى مليًّـا وتنطوى | فـلا ذاكـرٌ يومًـا ولا مُـتـرسم

(١) حول الهيكل المتهدم روض يتجدد كل عام بأعذب الفاكهة هناك وأنضر الأزهار .
(٢) أو «زوس» إله الآلهة ورب الصواعق وباكوس رب الخمر ولكل منها معبد فى الهيكل .

إلى غندى يوم إفطاره (*)

غندى لك النصر المبين على المدى ... ولشانئيك الخسر والخذلان
لم ألق قبلك من يحرر قومه ... وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان تصلح أمة ... أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم ... بعض السقام من السقام ضمان
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم ... بقر السَّوام ويُلعنَ الإنسان
عكسوا الأمور فكان عكسُ أمورهم ... بعضَ الجزاء ، ومن أهان يهان
فاشع لنقص القوم عند كما لهم ... فكذاك تغفر ذنبها الأوطان[1]

الظـن (*)

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا ... وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ ... فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

القلم المسروق (*)

زاملنى فى السجن ذاك القلم[2] ... وناله ما نالنى من قسَم
ومس من فكرى وأسراره ... ما رامه الناس وما لم يُرَم
فربّ معنىً ما وعاه سوى ... ريشته ، ثم انطوى فانحسم
وكم له من حصة تُرتَضى ... فيما جرى من أدب أو حكم
وكم له من نفخة كالصَّبا ، ... وكم له من لفحة كالضّرم

(*) إلى غندى يوم إفطاره : وحى الأربعين .

(١) الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع فى غفران سيئة .
أما الوطن الذى لا غفران له فهو الوطن الذى لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربى عليها .

(*) الظن : أعاصير مغرب .

(*) القلم المسروق : عابر سبيل .

(٢) كان هذا القلم من الودائع التى بقيت فى السجن تسعة أشهر ملفوفة محبوسة كذلك .

وكم له من زهر مُجتنى ... وكم له من ثمر مُلتهم
سجّل ما سجّل من رحمة ... أو نقمة مرت بأرض الهرم

* * *

ورب مسكين قضى حقه ... وغاشم أحصى عليه اللّمم
أعززته عن حلية تُقتنى ... وصنته عن غاليات القيَمْ
ولى أخٌ يذكرنى بالنعمْ ... فقلت أجزى بعض تلك النعم
فلم أجد أنفس منه لمن ... محّضنى قلبًا نفيس الشّيمْ
قد صان ما أكتب فى صدره ... فغير بدع أن يصون القلم
يظل يستوحيه فى كل ما ... أوحى ، ويرعاه كرعى الذمم

* * *

رعاه فى أمن إلى أن قضى ... عليه بالفقد قضاء حتَم
فغاله منه لصوص لهم ... من كل عين فرصة تُغتنم
فى يوم حشر حافل المزدحمْ ... ضلت به العين مكان القدم
قد نام عنه لمحة فى الضحى ... فبات فى ليلته لم ينم

* * *

أما وقد فارقتنا يا قلم ... وصالح اليأسُ عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى ... فى كف خوان ولا مُتّهم
ولا تخط الجهل فى صفحة ... «أبيضُ» ما فيها سواد الحمم
ولاتكن يا قلمى آلة ... تشتمنى باللغو فيمن شتم
فتنظم الحكمة لى من هنا ، ... ومن هنا تنحى على من نظم
بدأت فى الأوج فلا تنحدر ... إلى حضيض الذل فى المختتم

* * *

بين التعب والراحة (*)

قال المعرى :

تعب كلهـا الحـيـاة فـمـا أعـ ـجب إلا مـن راغـب فـى ازديـاد

ويقول صاحب الديوان :

راحـة كلهـا الحـيـاة فـمـا أعـ ـجب إلا مـن راغـب فـى ازديـاد
مـا ابتـغـاء المزيد من يوم أمن عـاطل لا يزاد بالتـعـداد
فـالزمـان المريح تكرار شىءٍ واحـدٍ واطّراد حـال مـعـاد

* * *

هذا هو التاريخ (*)

من جـانب القـبـر لسـان بدا يكذب مـا شـاء ولا يستـحى
هـذا هو التـاريخ لـو أننـى صـورته يومًـا على المسـرح

* * *

رأى الناس (*)

من عـوّد الناس خـيـرًا طالبـوه به كـأنه الدَّين يُلوى بالمعـاذير
ومن تعـقّبـهم شـرًا فـأمـهلهم يومـا تقـبّل منهم أجـر مـشكور
لا أرى للنـاس فى نفع ولا ضـرر ومـا لهم قط من حكم وتقـدير

(*) بين التعب والراحة : أعاصير مغرب .
(*) هذا هو التاريخ : أعاصير مغرب .
(*) رأى الناس : أعاصير مغرب .

سيان (*)

إن قبل بالحق أو البهتان
دعهم يقولون ، وقل سيان ،
سيان مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخصمان
سيان ألفٌ هى أو ألفان
سيان بيدٌ هى أو مغان
سيان نور أو ظلام فان
سيان من يلهو ومن يعانى
قلها ببرهان ولا برهان
وأنت أنت أحكم الزمان
وإن تصدوا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان !

خداع النفس(*)

يقول وما قضى عجبًا — فتى يخبط فى حدسه
أيخدع نفسه رجل — له عينان فى رأسه؟
أجل يا صاح : عينان! — وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع للإنسا — ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود — وقاك الله من دسه

(*) سيان : أعاصير مغرب .
(*) خداع النفس : أعاصير مغرب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأستاذ طاهر (*)

أخى السيد طاهر :

قل لى بحـــقك كم بلغت سنينا ... خـمـسين ؟ أو ستين ؟ أو سـبـعـينا

إنى أراك كـــمـــا عـــهـــدتك بادئًا ... شـــوط الشـبـــاب تناهز العـــشـــرينا

قـــد كنت بين الناشـــئين مـــحنَّكا ... حـسن الأناة ، مع الخطوب ، رصـينا

واليـــوم تقـــتـحم الكهـــولة ســابقـاً ... خطو الشـــبـــيـــبــة لا تطيق سكونا

آناً فـــتـىً بين الشـــيـــــوخ وآنةً ... شـــيـخـاً مع الفـتـيـان مـــســتـبـقـينا

خـــذ هذه أرقـــامنا من واحـــد : ... ضعْ بعـــدها الشـــفـــر العـــزيز يمينا

عـــشـــرًا إلى عـــشـــرين أو خـــمـــســ ... ين أو ستين صاعـدةً إلى التـسـعـينا

إن قلت عـــشـــرا صـدقـوك وإن تقل ... تسعين قلنا عـــشـــتـــهـــا عـــربونا

* * *

أفـــتـى طناح لا برحت مـــهـنئًـــا ... ومـــهنَّأ بالصـــالحـــات قـــمـــينا

إن السنين - وقـد صـدقتَ - لعلهـا ... مـــرت بمدرجـــة الزمـــان قـــرونا

وإذا حـــســـبت صـــفـــاءها فلعلهـــا ... ساعـات حلم مـا اغـتـمـضن جـفونا

حـسبى وقـد فـرغت يدى من زادها ... أنِّى أبَيتُ لهـــا الفـــراغَ قـــرينا

ورضـــاى عنهـــا أنهـــا لم تُرض فى ... عـــهـــد ظلومًـــا أو تســـر خـــؤونا

ومناى منهـــا أن أعـــيش ولا أرى ... أبدًا بأوهام المُنى مـــفـــتـــونا

ومـداى فـيـهـا أن أودِّعـهـا ومـا ... ودعـتـهـا أسـفـا ولا مـحـزونا

مـــا دام فـيـهـا حـامـدون كطاهر ... فـالله أحـمـدُ . لست بعـدُ غـبـينا

(*) إلى الأستاذ طاهر الطنَاحى جوابا لقصيدة كتبها إلى صاحب الديوان لمناسبة بلوغه السبعين .

الفن الحى (*)

أو الحياة الفنية

خذ من الجسم كلَّ معنى ، وجسِّم من معانى النفوس ما كان بكرا
حبذا العيش يبدع الفكر جسما تجتليه ، ويبدع الجسم فكرا
ويرى الفن كالحياة حياةً ويرى للحياة فنا وشعرا
ضلَّ من يفضل الحياتين جهلا واهتدى من حوى الحياتين طرا

الحان والمسجد (*)

ترتدين أن أرضى بك اليوم للهوى وأرتاد فيك اللهو عبد التعبد
وألقاك جسما مستباحًا وطالما لقيتك جمٌّ الخوف جمٌّ التردد
رويدك إنى لا أراك مليئة بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلى ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

أحلاهما مر (*)

لم أسغ أشهى مذاقيك فما مزجك الكأس بطعم العلقم؟
خلّ يا دهر لغيرى مزجها إن أحلاك لمرٌّ فى فمى

(*) الفن الحى أو الحياة الفنية : هدية الكروان .
(*) الحان والمسجد : الجزء الرابع .
(*) أحلاهما مر : الجزء الرابع .

فوق الحب(*)

صاحبى مَن سروره وسرورى ... فى صفاء الزمان يلتقيان
وصديقى من استجد سرورا ... من سرورى ، وإن تناءى مكانى
وحبيبى من قلبه كيفما كا ... ن ، وقلبى فى الشجو يستويان
فالذى يرتضى العذابَ لأرضَى ... كيف أدعوه ؟ وما اسمه فى البيان؟
ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الحـ ... ـب شئٌ يُرجى من الإنسان
ذاك فيه من صبغة الله سرٌّ ... جلَّ عن صبغة الوجود الفانى

النور(*)

طهرت بماء سمائها أمم ... وبه تطهّر روحها الهند
والروح أولى بالطهور لها ... نور يخف بها ويمتد
فيض يشف فما به كدر ... ومدى يفيض فما له حد

بكاء السليب(*)

وقالوا خؤون قلت مهلاً فإنما ... بكائى عليه وافيا لعجيب
لقد سلبتنيه الخيانة راغمًا ... وإن جديرًا أن ينوح سليب
وإنى لأبكى مَن كان قبلها ... يفى لى على زعم الهوى ويطيب

(*) فوق الحب : هدية الكروان .

(*) النور : الجزء الرابع .

(*) بكاء السليب : الجزء الرابع .

حب الدنيا(*)

معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية التى تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لحبتها ؟ أو هى دميمة والقدرة الإلهية هى التى تحببها إليها وترغبنا فيها ؟
الجواب فى القصيدة التالية أنه لا قدرة - دون قدرة المعجزات والخوارق - تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس ، على ما بها من الآفات والأرجاس !)

قالوا الدنيا الحسناء سهـا ... عنهـا ربٌّ لا يقبلهـا
بل قالوا : يحجبهـا عنا ، ... أو ينهاها ، أو يعقلهـا
ونرى الشيطان يزيّنهـا ... ونرى الشيطان يدلّلهـا
يا قومُ ألا عينٌ نظرت ... هذى الشوهاء تُمثلهـا ؟
ما يقدر إلا ربٌّ الكو ... ون يحبّبها ويجمّلها
لولاه قتلنا أنفسنا ... أولم نعذل من يقتلها
أفهذى دنيا نعشقها ... لولا رضوانٌ يكفلها ؟
من شك فهذى قدرته ... فليعرفها من يجهلها !

المذكّر المنسى(*)

لم يبق من دنياك يَعنينى ... إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجه - إذا ما مرّ - ينسينى ... لا بل يذكّرنى إلى حين

أنّى - كما قيل - ابن سبعين !

(*) حب الدنيا معجزة خارقة : وحى الأربعين .

خبر الربيع (*)

يأيهـا الورق الخـضـرُ فى شـجـر عـهـدى ومـا فـيـه من ذى خـضـرة أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى عـيـدانك العـوق ذاك العطر والزّهر
إنا سـألنا ، لو عـاد السـؤال إلى فـحوى الضـمـائر لـم نعرفـه يا شـجـر
سلنا بحـقـك من أين اسـتـجـدّ لنا هذا السـرور الذى فى القلب ينتـشـر
كـلاهمـا طارقٌ طاف الربيع به على بـراق مـن الأنـوار ينـحـدر
سلهُ فـإن لـم يُجب فـأنعم بمقـدمـه وافـرح بـه ، وانـتظره حين يُنـتظر
إذا أجـاب بأزهار مـفـتّـحـة وبالسـرور ، فـحـسـبى ذلك الخـبـر

الطريق فى الصباح (*)

بـدأت دولـة الـطـريـق وانتـهـت دولة الـبـيـوت
ضـاق بـالكوكـب المفـيقْ عـالـم الـلـيـل والسـكـوت

* * *

حـيـث يمـت مـسـرعُ يتـلقـاه مـسـروعـون
مـا لـهـم ؟ أين أزمـعـوا ؟ ويحـهـم ! م يـهـربون ؟

* * *

كلمـا غـاب مـجـفـل طـلـع اثـنـان فـى هـجـوم
ذاك ركـبٌ مـضـلـل حـائر حـيـث مـا يحـوم

* * *

حـائر حـيـرة الأولى سُـحـروا ثـم أطلـقـوا
وضـح الـصـبـح والجـلـى فـهـو بالسـحـر أخلق

* * *

(*) خبر الربيع : هدية الكروان .

(*) الطريق فى الصباح : عابر سبيل .

لا أرى فـــردَ ســـاحـــر فـــيك يا صـــبح بل ألـوف
كـم أســيـــر وآســـرٍ والــرّقــى بَـيـنـهـم صـنـوف[1]

* * *

ذلـك الـطـفـل مـــا عـنـاه ؟ جـــدول الضـرب فى كـتـاب
ذلـك الشـــيخ مـــا مناه ؟ لقـــمـــة كلهـــا عـــذاب

* * *

والـفـــتـى . أيـن قـــبلةٌ نـحـــوهـا يـرسـل الـعـنـان ؟
غـــايـة الأمـــر قُـــبلة بـعـــدهـا يَمسح الـدهـان !

* * *

خـــذهُـم أيـهـــا الـطريقْ فى غـــداة من الصـــبـــاح
لا تـضـلـنّ بـالـرفـــــيـق إِن دنـت ســـاعـــة الـرواح

* * *

إِن دنت ســـاعـــة الـســـبـات ويـك ! لا تـخـطـئ الـوكـــــور
كـم وكـــــور مـنـاظـرات للبـيـوت اسـمـهـا الـقـبـور !

* * *

ماذا استفدت ؟[*]

بـرئـت مـن غـش نـفـــسـى ولا أقـــول انتـــبـهـت
قـــد كـنـت ســـاهـرَ عـينٍ مـسـتـيـقظًا مـا غـفـوتُ

* * *

بـرئـت مـن غـش نـفـــسـى ولـيـــتـى مـــا بـرئـت
مـــا الـعـــمـــر مـــحض نهـــار ! فى العـــمـــر للغـــمض وقت

* * *

هـــا أنـــت يـــا عـــين يـقـظـى وهـــا أنـــا قـــد نـظـرت
مـــاذا اســتـفـــدت لعـــمـــرى ومـــا عـســـانى اســتـفـــدت ؟!

* * *

(١) جمع رقية وهى طلسم السحر وما يستعان به من القوى الخفية .

(*) ماذا استفدت : أعاصير مغرب .

قلت للمريخ(*)(١)

قلت للمريخ أعذله ... وهو يذكى جمرةَ الغضب
ويك ! ما هذا الخراب ؟ وما ... ذلك الإغراق فى العطب ؟
أمّ تسطو على أمم ... ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على ... عيلم[٢] للدمع منكسب
وقبور كظّها تخما ... جثث الهلكى من السَّغب[٣]

* * *

قال : مهْ يا صاح أين ترى ... كلّ ما استهولتَ واعجبى
أرضكم ما زلت أبصرها ... نائيا حينًا وعن كثب[٤]
هَيّنٌ ما قد تبدّل من ... سمتها فى هذه الحقب

* * *

لا ضيف فى الخان(*)

إيه يا دنيا ! لو اسطعت سماعى ... قد نزلنا منك فى غير اتساع
أكرمينا حيثما تدعيننا ! ... أودعينا من لقاء ووداع
قالت الدنيا : لمْ أكرمكم ؟ ... كلنا فى الحق مدعوٌّ وداع
حبذا الخان ! فلا ضيف هنا ... إنما يُجزى متاعا بمتاع

* * *

تكاليف العظمة(*)

كن عظيما ولا تلومنَّ إلا ... همةً كلفتك همًّا جسيما
كل راج يُلقى عليك مناه ، ... فإذا خاب كنتَ أنت الملوما
تنصف الأمة الضعيفَ ولا تنصـ ... ـف يوما عظيمها المظلوما

* * *

(*) قلت للمريخ : أعاصير مغرب . (١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب . (٢) بحر .
(٣) الجوع . (٤) عن قرب .
(*) لا ضيف فى الخان : وحى الأربعين .
(*) تكاليف العظمة : وحى الأربعين .

النعيم والشقاء (*)

ما العيش ؟ قل لى فأنت مختبرٌ   هموم هذى الدنيا ونعماها

* * *

العيش بأساءُ ليس يحملها   من ذاقها أو أصاب عدواها

ونعمةٌ لا يزال يُحرمَها   من نال منها أو من تعداها

نشتاقها إن نأت ، ونبخسها   إن أقبلت ، جاهلين معناها

كأنها درة مسوّمة   فى بعض سكر الحياة نُعطلها

يمنحها حاسدٌ لآخذها   آب عليه سرور لقياها

حتى إذا ردها وأحرزها   ادراه ما قدرها لينعاها

هذا سرور الدنيا ولذتها   دع عنك ما شرها وبلواها

فاحسبه من خيرها ونعمتها   إن شئت أو من صميم وبؤساها

* * *

الصنم الهاوى (*)

خبرونى عن الصنم   أين ألقت به الحطَم

خبرونى بمصرع   للهوى فيه والشيم

كيف باع العباد والخلـٌ   ـد والحب والعظَم

والسماوات كلها   بضئيل من القِسَم

* * *

خبرونى عن الصنم   ذلك الأروغ الأشم

ذلك الشاهق الذى   قصرت دونه الهمم

ذلك العابس الذى   فى حمى الصمت ما ابتسم

كيف قِيدت لرائم   عزةٌ منه لم تَرم

كيف زلت عروشه   من أعاليه فى القمم

كيف أمسى ورأسه   فى الثرى موضع القدم

(*) النعيم والشقاء : الجزء الرابع .

(*) الصنم الهاوى : الجزء الرابع .

ما دهاه فما اتقى ... من حذار ، ولا وجم
فتهاوى بلا ونىً ... وترامى بلا شمم
وتخطى عن الذرى ... علمٌا دونه علم
واستوى غير نادم ... فى حضيض من الرجم
خبرونى وأجملوا ... رب عذر لمتّهم
حكمة تلك فى الحكم ... أم قضاء من القدم ؟
أم إله أصابه ... حسدٌ منه فانتقم
نقمة تلك ما خلا ... مثلها قط فى الأمم
ضربة تلك من إلا ... ه فما عنه معتصَم
هى سوى حكمه يضـ ... ـل صوابًا إذا حكم

* * *

خبرونى واسمعوا ... أنا والله فى صمم
أنا فى غمرة الأسى ... ظلمة فوقها ظلم
حيرة تشده العقو ... ل بمسٌ من اللمم
إن ويلى بسرها ... فوق ويلى على الصنم

* * *

حدثونى عن الصنم ... بدأ الويل أم ختم[1] ؟
زعِم القلب أنها ... لوعة بعدها سأم
بلى القيد فانفضم ... وهوى ذلك الحرم
لا قرابين تُهتَدى ... فى المحاريب ، أو ذمم
لا صلاة ولا صيا ... م ولا فتنة عمم
فليجد منه راحة ... عابدٌ طالما التزم
وليُثبْ منه راضيًا ... خادم طالما خدم
جهل القلب نفسه ... كذب القلب ما زعم
ليته عاد فى القمم ... ظالمًا كيف ما ظلم
غانمًا كلٌ ما ارتضى ... من ضحايا ومن نعم

(١) أى هل تحطيم ذلك الصنم هو أول الشقاء أو آخره ؟ وهل يسعد عابد الصنم بانقضاء حبه وفرائضه وتقديم القرابين إليه والراحة من كل ذلك أو هو يأسف على ما فاته من الحب وتقديم القرابين ؟

آخذاً من دمائنا — ولنا بعدُ ما اغتنم
إنما الحب منعم — وهب الحب أو حرم
ليته لم يكن هوى — ليته عاد فى القمم
ليته فى الحضيض لم — يُشف من ذلك النهم[1]

* * *

ألمى ما ابتغيت من — ناصب النفس مصطلَم[2]
دائبٌ فى المزيد لم — تسهُ عنه ولم تنم
حسبك اليأس والضنى — وجوى الليل يا ألم
فرغ المأتم والذى — بتَّ تحيى له الضرم
فدع النار ينطفئ — من لظى النار ما احتدم
أيعود الإله ألـ — ـقى به الذلَّ فى العدم
ويك هيهات لا معا — د، فطوبى لمن وهم
بدأ الليل وانتهى — وصحا حالمٌ حلم

* * *

ولماذا القرد؟(*)

أرى السخف فى الإنسان طبعًا مؤصَّلا — شواهده فى كل بادرةٍ تبدو
ولو لم يكن فى طبعه ومزاجه — طويةُ سخف لا يلازمها حد
لما خص من كل الخلائق سخره — بأشبههم طرًّا به، وهو القرد!

* * *

(١) أى ليته بعد هبوطه إلى الحضيض بقيت له رغبة الأرباب فى العبادة .
(٢) اصطلمه : قطعه .
(*) ولماذا القرد : بعد الأعاصير .

نعمة من نقمة(*)

جــلا مــعــرضُ الحب أصنافــه ... نماذج من كل صنف عـــجـــاب
فـــحـبٌ يُلاصق هذا الثـــرى ... وحبٌ يحلّق فـــوق الســحـــاب
وحبٌ يعـــيش مـــدى ســاعـــة ... وحـب مـن الخـلـد رحـب الجـنـاب

* * *

وفـــوّضت أمـــرى على غـــرّة ... لكوبيـــد يختـــارلى مـــا يرى
فـــعلّقنى منه ذاك الخـــبـــيـ ... ـث بحب تعـــمّق تحت الثـــرى
وقـــال : إليك قـــرينَ الربيـ ... ـع فى القـــاع يُزهر مـــا أزهرا

* * *

عـــجـبتُ أنا الصـــاعـــد المرتقى ... وســـاءلت ربّىَ فى قـــســـمـــتى
فـــقـــال انتظر ريثـــمـــا ينقـضى ... هواك ، أنبـــئْك عن حكمـــتى
فلمـــا تقـــضّى وزال الخـــفـــاء ... ســـألت القـــضـــاء ، فلم يصـــمت

* * *

لقـــد كنتَ تجـــهل هذا الثـــرى ... وكنتَ تطيـــر ولا فـــضـل لك
فـــهـــا قـــد عـــرفت وها قـــد علو ... ت بوقـــر الرغـــام الذى أثقلك
أترضى ؟ فـــقلت نعم قـــد رضـــيـ ... ـت . لك الحـــمـــد ربّىَ مـــا أعــدلك

* * *

لك الحـــمـــد ربّى إنى افـــتـــتـحـ ... ـت ســمـــائى بالحب شبـرًا فـشـبـرا
وشـــتـــان فـــاتحـــهـــا مـــغـــمـــضًـــا ... وفـــاتحـــهـــا مـــبـــصـــر العين حـــرا
مـلـكـت الوهاد ، مـلـكـت النجـــا ... د ، كـمـا تُملكان . فـحـمـدًا وشكرا

* * *

(*) نعمة من نقمة : بعد الأعاصير .

مقدمات ماتقدم

«فيما يلى مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها :

. . . .

« . . . الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التى يعرض عنها سواك ، ممتزجةً طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما فى وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت! والوقت أيها القارئ ، أصناف : فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السماوات ومنه مايطرحه للأبقار والحشرات ! فإذا قلنا لك أحبب الشعر فكأننا نقول لك عش ، وإذا قلنا إن أمة أخذت تطرب للشعر فكأننا نقول إنها أخذت تطرب للحياة . .» .

الجزء الأول

. . . . *** . . . .

«أحسن فيكتور هوجو فى كتابه «وليام شكسبير» حيث قال : «ينادى كثير من الناس فى أيامنا هذه – لا سيما المضاربون وفقهاء القانون – بأن الشعر قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ؟! . . الشعر أدبر زمانه ! لكأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لن ينبت بعد ، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه . وأن الشمس كفّت عن الشروق . وأنك تجول فى مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة . وأن القمر لا ينظر له ضياء بعد اليو م ، والبلبل لا يغرد ، والأسد لم يزمجر والنسر لا يحوّم فى الفضاء . وأن قلال الألب والبرانيس قد اندكت ، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان . . .

لكأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكى على قبر ، ولا أم تحب وليدها وأن أنوار السماء قد خمدت وقلب الإنسان قد مات» .

والحقُّ أنه لا فرق بين القولين . إذ الشعر لا يفنى إلا إذا نفيت بواعثه . وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوالج النفس وأمانيها ، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان . وليس من العجب أن يولد فى الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهى مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها ، غاصة بمن يمرون بها غافلين عن محاسنها وآياتها ، كأنهم سيمرون بها ألف مرة ، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة . . .»

الجزء الثانى

* * *

« . . . وقرأ بعضهم قصيدة فى وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدها بابا من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون !

ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد فى إنكار التقليد ، لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليدًا لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجاراةً للأقدمين واقتباسًا على الدواوين . أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء أو على مقربة منها ، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . إذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل .

فهناك إذن «مقلدون» فى كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون ، وربما كان هؤلاء أضرُّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم .

إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريفٍ محدود ، فالشاعر لا ينبغى أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» . وكلب ما دخل فى هذا الباب - باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق - فهو شعرٌ وإن كان مديحًا أو هجاء أو وصفًا للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث . . .

وحى الأربعين

* * *

. . . .

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المُغنِّى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون . .

هدية الكروان

* * *

. . . .

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هى موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التى لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذى لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالمعدم الذى يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق !

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة .

وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور . فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضى عشرين سنة وهى تتصوره عريسًا سعيدًا لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء فى بقائه طوال تلك السنين ، فإنما من نسج التصور نخلق الحلل النفيسة التى نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان .

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق . ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة ، لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز ، وأن أجمل وجه ليمر بنا فى ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التى نراها صباح مساء .

عابر سبيل

* * *

. . . .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوربية ليو باردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«انظرْ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى اللّه مبتهلا إليه . أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول .

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وأننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

«غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

أعاصير مغرب

* * *

. . . .

نحن فى زمن المراجعة والتقويم .

نراجع كل شىء ، ونعيد تقويم كل شىء وننقد ونعيد النظر فى مقاييس النقد نفسه ، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذى تجرى به المعاملات بين الناس فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ، أو مقاييس النقد الذى يتواضع الناس عليه فى فهم المعانى والأفكار ، وتمحيص الأخلاق والأذواق .

روجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة .

وروجعت ، أو ينبغى أن تُراجع ، قيمة النقد الذى يتداوله الناس عند تقويم المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحفة الفنية ، فلا محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته فى عالم الأدب والفن ، وقبل الاعتماد عليه فى تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان .

وأول ما يُنقَد به النقد فى كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو لوجه الفن وحده ، فما من نقد قط يخلص من هوى فى نفس الناقد يهواه باختياره أو على غير اختياره ، ولا بدّ مع النقد من شائبة مزغولة نعزلها قبل أن تنفذ إلى قيمة المعدن فى صميمه . فالنقد الذى فى الصميم هو القيمة التى تدل على المنقود وتعطيه حقه فى الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزراية .

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هى البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التى يجهلها صاحبها فى كثير من الأحايين ، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها من وساوس النفوس .

وليس فيما نومئ إليه من شوائب النقد على هذا النحو شيء جديد . فقديما عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر لأنه من جنس المعجبين به أو من أبناء نحلتهم فى الدين أو شيعتهم فى السياسة .

ولكنّ الجديد فى هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررة فى دعوة مدبرة ، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل ، ويصدرون عنها فى تقريظهم ونقدهم ، وفى ثنائهم وتشهيرهم ، ويتخذونها سبيلا إلى ترويج دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية ، بمعزل عن الفن والأدب ، وعلى علم بالتلفيق والعوج فى القياس ، إذا لزم التلفيق أو العوج فى خدمة الغرض الأصيل . لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير ، والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير .

وفى عصرنا هذا ينبغى أن نلتفت إلى شوائب النقد التى عرفها الأقدمون ، وإلى الشوائب التى لم يعرفوها قط أو عرفوها فى حيز محصور لا يُلتفت إليه .

ولقد عرف الأقدمون فى الأدب العربى صنوفا من الإيثار والاستحسان لا علاقة لها بمزايا الفن والبلاغة ، وكان منهم من يؤثر الشاعر أو الأديب تارة لأنه على مذهبه فى التشيع وتارة لأنه على هواه فى مؤازرة الدولة القائمة من بنى أمية أو من بنى العباس ، ولوحظ - مثلا - إهمال كتاب الأغانى للشاعر «ابن الرومى» .

أما الجديد الذى لم يعهده الأقدمون كما عهدناه فى عصرنا هذا فهو - فيما نعتقد أمران :

أحدهما كما أسلفنا ظهور خطة مقررة يدعمها أصحابها برأى أساسى فى مذهبهم يقضى باستخدام «النقد الأدبى» لترويج المذهب ومحاربة خصومه .

والآخر ظهور المقلدين فى حركة التجديد ، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التى لا تميز بين حقائق الأسباب .

والذين يستخدمون «النقد الأدبى» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قومٌ لهم سيماهم التى لا يختلطون فيها بغيرهم . فهم جميعا من «غير الأدباء» . . . وهم جميعا لا ينتجون أدبًا ولا يقرأون أدبًا لأنه أدب ، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر لخدمة الأغراض التى تعنيهم باسم النقد الأدبى وما هو من النقد الأدبى فى شىء . إنْ هو إلا العداوة التى تصدر عن الكراهية والاتهام ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية .

ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين فى الدعوة إلى الجديد . فإنهم لا يصلحون لقديم ولا لجديد فى الأدب ، ولا يعرفون لماذا يقرظون ولماذا ينتقدون .

بعد الأعاصير

من مؤلفات عملاق الأدب العربى الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

١ ـ الله
٢ ـ إبراهيم أبو الأنبياء
٣ ـ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية
٤ ـ عبقرية محمد ﷺ
٥ ـ عبقرية عمر
٦ ـ عبقرية الإمام على بن أبى طالب
٧ ـ عبقرية خالد
٨ ـ حياة المسيح
٩ ـ ذو النورين عثمان بن عفان
١٠ ـ عمرو بن العاص
١١ ـ معاوية بن أبى سفيان
١٢ ـ داعى السماء بلال بن رباح
١٣ ـ أبو الشهداء الحسين بن على
١٤ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون
١٥ ـ هذه الشجرة
١٦ ـ إبليس
١٧ ـ جحا الضاحك المضحك
١٨ ـ أبو نواس
١٩ ـ الإنسان فى القرآن
٢٠ ـ المرأة فى القرآن
٢١ ـ عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمدعبده
٢٢ ـ سعد زغلول زعيم الثورة
٢٣ ـ روح عظيم المهاتما غاندى
٢٤ ـ عبدالرحمن الكواكبى
٢٥ ـ رجعة أبى العلاء
٢٦ ـ رجال عرفتهم
٢٧ ـ سارة
٢٨ ـ الإسلام دعوة عالمية
٢٩ ـ الإسلام فى القرن العشرين
٣٠ ـ مايقال عن الإسلام
٣١ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
٣٢ ـ التفكير فريضة إسلامية
٣٣ ـ الفلسفة القرآنية
٣٤ ـ الديمقراطية فى الإسلام
٣٥ ـ أثر العرب فى الحضارة الأوروبية
٣٦ ـ الثقافة العربية
٣٧ ـ اللغة الشاعرة
٣٨ ـ شعراء مصر وبيئاتهم
٣٩ ـ أشتات مجتمعات
٤٠ ـ حياة قلم
٤١ ـ خلاصة اليومية والشذور
٤٢ ـ مذهب ذوى العاهات
٤٣ ـ لا شيوعية ولا استعمار
٤٤ ـ الشيوعية والإنسانية
٤٥ ـ الصهيونية العالمية
٤٦ ـ أسوان
٤٧ – أنا
٤٨ – عبقرية الصديق
٤٩ – الصديقة بنت الصديق
٥٠ – الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ – مجمع الأحياء
٥٢ – الحكم المطلق
٥٣ – يوميات جزء أول
٥٤ يوميات جزء ثانى
٥٥ – عالم السدود والقيود
٥٦ – مع عاهل الجزيرة العربية
٥٧ – إهانات مجتمعات فى اللغة والأدب
٥٨ – مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٩ – دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٦٠ – أراء فى الأدب والفنون
٦١ – بحوث فى اللغة والأدب
٦٢ – خواطر فى الفن والقصة
٦٣ – دين وفن وفلسفة
٦٤ – فنون وشجون
٦٥ – قيم ومعايير
٦٦ – ديوان فى الأدب والناقد
٦٧ – عبد القلم
٦٨ – ردود وحدود


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فـــهرس



طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر





من شعر عملاق الأدب العربى
عباس محمود العقاد

١ - ديوان يقظة الصباح

٢ - ديوان وهج الظهيرة

٣ - ديوان أشباح الأصيل

٤ - ديوان وحى الأربعين

٥ - ديوان هدية الكروان

٦ - ديوان عابر سبيل

٧ - ديوان أعاصير مغرب

٨ - ديوان بعد الأعاصير

٩ - ديوان عرائس وشياطين

١٠ - ديوان أشجان الليل

١١ - ديوان من دواوين

